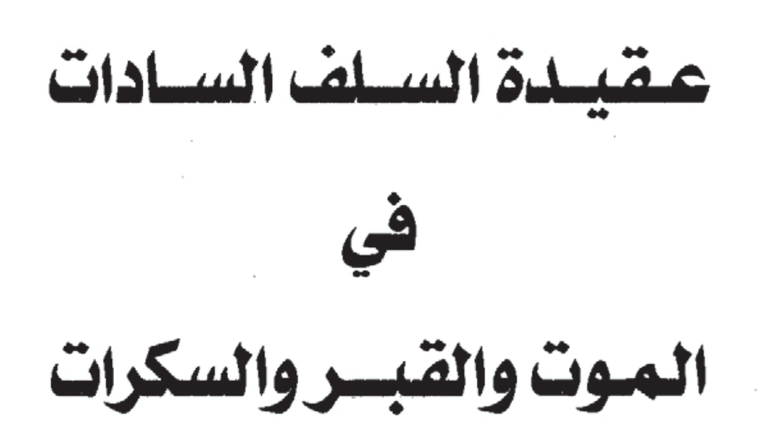


عقيدة السلف السادات

في

الموت والقبر والسكرات

«كن على الجادة وإن أبطأ بك السير

فإن أمير القوم يرعى القافلة»

عقيدة السلف السادات في
الموت والقبر والسكرات

• هذه عقيدة السلف في البرزخ والموت والسكرات.. من مات عليها لقي الخير كل الخير فتمسك بها.. إذا أتى نهر اللَّه بطل نهر معقل.. اقصد البحر وخل القنوات.. وإياك وبنيات الطريق من عقائد أهل البدع مهما زخرفوها.. عليك يا أخي بالكتاب والسنة وعقيدة سلف الأمة.. عليك بطريق السلف وإن قلّ عليه السالكون.. كن على الجادة وإن أبطأ بك السير فإن أمير القوم يرعى القافلة، وضع نصب عينيك قول سفيان: «لو أعلم أني أموت على السنة ما بكيت»... وهاك طرفًا من أزاهيرهم:

الموت

• الموت هو القيامة الصغرى وهو المعاد الأول وهو البرزخ:

• قال القرطبي في «التذكرة» (٤):

«الموت انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار».

قال الشيخ عمر سليمان الأشقر في كتابه «القيامة الصغرى» ص(١١ ـ ١٢):

«القيامة الصغرى هي الموت، فكل من مات فقد قامت قيامته، وحان حينه، ففي «صحيح البخاري»، و«مسلم» عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسألونه عن الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «**إن يعش هذا، لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم**»[١].

---

(١) «مشكاة المصابيح» (٣/٤٨).

قال ابن كثير: «والمراد انخرام قرنهم، ودخولهم في عالم الآخرة، فإن كل من مات فقد دخل في حكم الآخرة، وبعض الناس يقول: من مات فقد قامت قيامته، وهذا الكلام بهذا المعنى صحيح»[١] .

وقد أشار ابن كثير إلى أن هذا القول يقوله الفلاسفة، ويريدون به معنى فاسداً. فإن الملاحدة يريدون أن الموت هو القيامة ولا قيامة بعدها. يقول ابن كثير: «وقد يقول هذا بعض الملاحدة، ويشيرون به إلى شيء آخر من الباطل، فأما الساعة العظمى، وهي وقت اجتماع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فهذا ما استأثر اللَّه بعلم وقته»[٢] .

● قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح» ص(٩٩):

«وقد ذكر سبحانه وتعالى هاتين القيامتين ـ وهما الصغرى والكبرى ـ في سورة المؤمنين، وسورة الواقعة، وسورة القيامة، وسورة المطففين، وسورة الفجر وغيرها من السور. وقد اقتضى عدله وحكمته أن جعلها داري جزاء المحسن والمسيء ولكن توفية الجزاء إنما يكون يوم المعاد الثاني في دار القرار كما قال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقد اقتضى عدله وأوجبت أسماؤه الحسنى وكماله المقدس تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم، وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم، فلا بد أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللذة ما يليق به، ويذيق بدن الفاجر العاصي له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحقه. هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس» ا.هـ.

● وكما سُمِّي الموت بالقيامة الصغرى فيُسمّى أيضًا بالمعاد الأول:

---

(١) «النهاية» لابن كثير (١/ ٢٤).

(٢) المصدر السابق.

قال ابن القيم في كتابه «الروح» ص(٩٩):

«إن اللَّه سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزى فيهما للذين أساءوا بما علموا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

فالبعث الأول: مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول.

والبعث الثاني: يوم يرد اللَّه الأرواح إلى أجسادها، ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار، وهو الحشر الثاني، ولهذا في الحديث الصحيح.

وتؤمن بالبعث الآخر فإن البعث الأول لا ينكره أحد، وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب».

● والموت وما بعده برزخ بين الدنيا والآخرة.

قال الشيخ عمر الأشقر في «القيامة الصغرى» ص(١٣):

«البرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا**﴾ [الفرقان: ٥٣]، أي حاجزًا والبرزخ في الشريعة: الدار التي تعقب الموت إلى البعث. قال تعالى: ﴿**وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. قال مجاهد: هو ما بين الموت والبعث، وقيل للشعبي: مات فلان، قال: ليس هو في دار الدنيا، ولا في الآخرة»[١].

* البرزخ أول دار الجزاء

● وقال ابن القيم: «وعذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾. وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة»[٢].

(١) «التذكرة» للقرطبي ص(١٠٠).

(٢) «الروح» لابن القيم ص(١٠٠).

* الموت صفة وجودية وليس عدمًا:

● قال ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» ص(١٢٦):

● الموت صفة وجودية، خلافًا للفلاسفة ومن وافقهم. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]. والعدم لا يوصف بكونه مخلوقًا. وفي الحديث: أنه: «**يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار**»[١] . وهو وإن كان عرضًا فاللَّه تعالى يقلبه عينًا، كما ورد في العمل الصالح: «**أنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الحسن، والعمل القبيح على أقبح صورة**»[٢] . وورد في القرآن: «**أنه يأتي على صورة الشاب الشاحب اللون**»[٣] ، الحديث. أي قراءة القارئ[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد، فأخرجه البخاري في تفسير سورة مريم: باب ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة**﴾ (٨/٤٢٨/ح ٤٧٣٠)، وأخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها: باب النار يدخلها الجبارون (٤/٢١٨٨/ح ٢٨٤٩)، وأخرجاه أيضًا من حديث ابن عمر، فأخرجه البخاري في الرقاق: باب صفة الجنة والنار (١١/ ٤١٥/ ح ٦٥٤٨)، وأخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها: باب النار يدخلها الجبارون (٤/ ٢١٨٩/ ح ٢٨٥٠).

(٢) من حديث البراء بن عازب في ذكر عذاب القبر، وأخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

(٣) من حديث بريدة كما في «سنن ابن ماجه»، و«مسند أحمد»، وفيه: «وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب...» الحديث، أخرجه ابن ماجه في «الأدب» : باب ثواب القرآن (٢/ ١٢٤٢/ ح ٣٧٨١)، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨، ٣٥٢)، وأخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن من السنن: باب في فضل سورة البقرة وآل عمران (٢/ ٥٤٣/ ح ٣٣٩١)، وفيه بشير بن المهاجر لذا حكم عليه الشيخ الألباني بأن حديثه يحتمل التحسين ص(١٢٦)، وكذا الأرناؤوط ص(٩٤).

(٤) قوله وورد في القرآن: أي ورد في شأن القرآن، أي في شأن قراءة العبد، أي المقصود في الحديث، أن عمل الإنسان يأتيه، وأطلق على القراءة التي هي أفعال العباد قرآنًا، وليس المراد بالقرآن هنا: المكتوب بين دفتي المصحف، ويدل على أنه ليس المراد نفس القرآن: تعدد المجيء ويلزم منه الثواب، وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٧٩).

وورد في الأعمال: «**أنها توضع في الميزان**»[١]، والأعيان هي التي تقبل الوزن دون الأعراض. وورد في سورة البقرة وآل عمران: أنهما يوم القيامة: «**يظلان صاحبهما كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف**»[٢]، وفي «الصحيح»: «**أن أعمال العباد تصعد إلى السماء**»[٣].

● قال الحسن - رحمه الله - في قوله: ﴿**أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي**

---

(١) وقد يكون للأعراض موازين خاصة بها فالله أعلم.

(٢) هو قطعة من حديث بريدة والغياية والغمامة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها، والغياية أقل من الغمامة في الكثافة وأقرب إلى رأس صاحبها، وقوله: (أو فرقان من طير صواف): أي طائفتان من طير باسطات أجنحتها متصلاً بعضها ببعض.

(٣) كما في حديث رفاعة بن رافع الزرقي وفيه: «كنا نصلي يومًا وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: «سمع الله لمن حمده»، قال رجل وراءه: ربنا لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال: «من المتكلم؟» قال: أنا، قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول. وأخرجه البخاري في الأذان الباب بعد (فضل اللهم ربنا لك الحمد) (٢/ ٢٨٤/ ح ٧٩٩)، ورواه الترمذي، وأبو داود بلفظ: «لقد ابتدرها بضعة وثلاثين ملكًا أيهم يصعد بها»، وأخرجه الترمذي في أبواب الصلاة: باب ما جاء في الرجل يعطس في الصلاة (٢/ ٢٥٤/ ح ٤٠٤)، وأبو داود في الصلاة: باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء (١/ ٢٠٥/ ح ٧٧٣)، وله شاهد من حديث عبد الله بن أبي أوفى نحوه وفيه: «والله لقد رأيت كلامك يصعد في السماء حتى فتح باب فدخل فيه»، أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٥، ٣٥٦)، وفي حديث عبد الله بن السائب عند الترمذي أن رسول الله ﷺ كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر وقال: إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح». أخرجه في أبواب الصلاة من كتاب الوتر: باب ما جاء في الصلاة عند الزوال (٢/ ٣٤٢/ ح ٤٧٨)، وقال الترمذي: حسن غريب، وعلق أحمد شاكر: بل صحيح متصل الإسناد رواته ثقات، وأخرج الترمذي عن أنس مرفوعًا: «ما من مؤمن إلا وله بابان، باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله عز وجل: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين**﴾ تفسير الدخان (٥/ ٣٥٤ / ح ٣٢٥٥)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

صُدُورِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٥١]، قال: الموت»[1] .

● قال الشنقيطي ـ رحمه اللَّه ـ في «أضواء البيان» (٨/ ٣٨٨):

«الآية تدل على أن الموت أمر وجودي لا عدمي كما زعم الفلاسفة؛ لأنه لو كان عدميًّا، لما تعلق به الخلق.

الوفاة الكبرى والوفاة الصغرى أو الموت والنوم

النوم شبيه الموت، ولذلك يسميه علماؤنا بالوفاة الصغرى فالنوم وفاة، والقيام من النوم بعث ونشور ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ** ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وفي النوم تقبض أرواح العباد، ومن شاء الحق أن يمسك روحه في حال نومه أمسكها، ومن شاء بقاءها ردها إلى الأجل الذي حدده الحق، قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ [الزمر: ٤٢]. «فقد أخبر الحق أن كلاًّ من النفسين الممسكة والمرسلة توفيتا وفاة النوم، وأما التي توفيت وفاة الموت فتلك قسم ثالث، وهي التي قدمها بقوله: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾... فإن اللَّه ذكر توفيتين: توفي الموت، وتوفي النوم، وذكر إمساك المتوفاه، وإرسال الأخرى.

ومعلوم أنه يمسك كل ميتة سواء ماتت في النوم أو قبل ذلك، ويرسل من لم تمت، وقوله: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾ يتناول ما ماتت في اليقظة وما ماتت في النوم، فلما ذكر التوفيتين ذكر أنه يمسكها في إحدى

---

(١) «كتاب العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٩٢٥)، و«تفسير ابن جرير» (١٥/ ٩٨).

التوفيتين ويرسلها في الأخرى، وهذا ظاهر اللفظ بلا تكلف»[1] .

• معنى قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران: ٥٥]:

• قال ابن كثير في «تفسيره» ما ملخصه: «اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾، فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر تقديره «إني رافعك إلي ومتوفيك» يعني: بعد ذلك.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إني متوفيك أي مميتك. . .

وقال الأكثرون المراد بالوفاة هنا النوم[2] كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ**﴾ وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾ وكان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا**»[3] .

وعن الحسن أنه قال في قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ** ﴾: يعني وفاة النوم رفعه الله في منامه»ا.هـ.

فالمعاني الصحيحة في تفسير الآية ثلاثة:

١ ـ رأي الجمهور الذي اختاره ابن كثير ورواه عن الحسن. وهو الرأي

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٥/ ٤٥٢).

(٢) قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ في «فتح القدير» (١/ ٣٤٤): «إنما احتاج المفسرون إلى تأويل الوفاة بما ذكر؛ لأن الصحيح أن الله رفعه إلى السماء من غير وفاة كما رجحه كثير من المفسرين واختاره ابن جرير الطبري ووجه ذلك أنه قد صح في الأخبار عن النبي ﷺ ونزوله وقتله الدجال.

(٣) جزء من حديث حذيفة رواه البخاري في كتاب الدعوات: باب ما يقول إذا أصبح. وابن السني في «عمل اليوم والليلة».

الذي يفسر التوفي بالإنامة.

٢ ـ رأي قتادة: وهو أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والتقدير: إني رافعك ومتوفيك، أي: بعد النزول.

٣ ـ رأي ابن جرير[1] في أن المراد بالتوفي هو نفس الرفع. والمعنى إني قابضك من الأرض ومستوفيك ببدنك وروحك، وينسب هذا التفسير إلى ابن زيد وهذه الأقوال الثلاثة متفقة على أنه رفع حيًّا وإن كان بعضها أصح وأولى بالقبول من بعض، فأصحها الأول، وهو قول الجمهور، ويليه قول قتادة، ويليه قول ابن جرير والله أعلم»[2].

● قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

قال الشيخ الهراس: «وكيف يتوهم متوهم أن المراد بقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ هو رفع روحه وهو إنما ذكر لإبطال ما زعموه من قتله وصلبه ورفع الروح لا يبطل القتل والصلب بل يجامعهما، فإنهم لو قتلوه فرضًا لرُفعت روحه إلى الله، على أن في إخباره عز وجل بأنه رفعه إليه ما يشعر باختصاصه بذلك والذي يمكن أن يختص به عيسى هو رفعه حيًّا بجسده وروحه؛ لأن أرواح جميع الأنبياء بل المؤمنين ترفع إلى الله بعد الموت لا فرق بين عيسى وغيره فلا تظهر فيه الخصوصية ثم ختم الآية بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ

(١) في تفسيره «جامع البيان» (٦/ ٤٦١).

(٢) «فصل المقال في رفع عيسى عليه السلام حيًّا ونزوله وقتله الدجال» للشيخ محمد خليل هراس ص(١٢) ـ مكتبة السنة.

عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ يدل على أنه مشهد تجلّت فيه عزة اللَّه وحكمته ولا يتم ذلك إلا حيث يكون المشهد غريبًا مثيرًا، فأي غرابة أو إثارة في موته، ثم رفع روحه وهو كما قلنا عام في جميع المؤمنين»[١] .

● لا لابن حزم.. ولمحمد عبده ومحمد رشيد رضا والشيخ شلتوت:

ولا التفات إلى ما ذهب إليه ابن حزم[٢] وقوله بموت عيسى ورفعه وقوفًا مع لفظ ﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ فلم يخالف في الرفع وإنما خالف في الحياة.

ولا التفات إلى قول محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا والشيخ شلتوت ﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾ أي: مميتك حتف أنفك ثم أرفعك إليّ ونسب محمد عبده هذا القول إلى جمهور المفسرين حتى نشرت جريدة البشرى القاديانية التي تصدر في بيروت في عدديها ٥، ٦ أن الأزهر يعترف بوفاة المسيح الناصري بناء على فتوى الشيخ شلتوت التي نشرتها مجلة الرسالة في العدد (٤٦٢)، وقال فيها بموت عيسى عليه السلام، وأنه ليس في القرآن الكريم ولا السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وأنه حي إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض، أو قول «صاحب المنار»: «إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها»، وهذا مخالف أشد المخالفة لكلام السلف من أئمة التفسير والمحدثين ومنافٍ لعقيدة السلف.

(١) «فصل المقال» ص(١٣).
(٢) «المحلى» (١/ ٢٨).

● قال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير»:

«وأما رفع عيسى عليه السلام فاتفق أصحاب الأخبار والتفسير على أنه رفع ببدنه حيًّا»[١] .

● وقال في «الفتح» (٦/ ٢٦٧):

«إن عيسى رفع وهو حي علي الصحيح».

● وقال الإمام أبو حيان في «تفسيره» المطبوع على «البحر المحيط» (٢/ ٤٧٣): وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام حي في السماء».

● وقال ابن عطية الغرناطي: «وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حي».

● وقال الطحاوي: «ونؤمن بخروج الدجال الأعور العين ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء»... إلى أن قال: «والإيمان بأن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد»[٢] .

● ويقول أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين»:

«ويصدقون ـ أي أهل السنة ـ بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله»[٣] .

● ويقول الآجري في كتابه «الشريعة»:

«باب الإيمان بنزول عيسى بن مريم عليه السلام حكمًا عدلاً فيقيم الحق ويقتل الدجال».

---

(١) «تلخيص الحبير» ص(٣١٩).

(٢) «شرح الطحاوية» ص(٤٩٩).

(٣) «مقالات الإسلاميين» ص(٣٤٥).

قال: «والذين يقاتلون مع عيسى عليه السلام هم أمة محمد ﷺ والذين يقاتلون عيسى هم اليهود مع الدجال، فيقتل عيسى الدجال ويقتل المسلمون اليهود، ثم يموت عيسى ويصلي عليه المسلمون ويدفن مع النبي ﷺ ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما»[١].

● وقال السفاريني في «لوامع الأنوار البهية: «ومنها - أي من علامات الساعة العظمى - العلامة الثالثة: أن ينزل من السماء السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ونزوله ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة»[٢] ثم قال: «وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه».

● وأحاديث نزول عيسى بن مريم من السماء وقتله للدجال متواترة تواترًا معنويًّا وممن صرح بتواترها العلامة الطبري والنووي والقاضي عياض وابن حجر وابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير والعلامة الأُبِيّ وابن عطية وأبو حيان الأندلسي والشوكاني والألوسي ومحمد صديق حسن خان، ومحمد حبيب اللَّه الشنقيطي والسفاريني والكتاني والكشميري والألباني والشيخ أحمد شاكر والكوثري والغماري.

● عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«الأنبياء إخوة لعلات[٣] أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أوْلى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنه لم يكن نبي**

---

(١) «الشريعة» للآجري.

(٢) «لوامع الأنوار البهية» لمحمد بن أحمد السفاريني (٢/ ٩٤).

(٣) علات أي: ضرائر «الفتح» (٦/ ٤٨٩).

قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٢٩١) أولاد العلات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد وأراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة.

بيني وبينه وإنه نازل فاعرفوه رجل مربوع[١] إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصَّران[٢] كأن رأسه يقطر إن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويُهلك اللَّه في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك اللَّه في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمانة[٣] على الأرض حتى ترتع[٤] الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[٥].

الموت حق على الجن والإنس

● قال الشيخ الأشقر:

«الموت حتم لازم لا مناص منه لكل حي من المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ولو نجا أحد من الموت لنجا منه خيرة اللَّه من خلقه محمد ﷺ

---

(١) مربوع: أي معتدل القامة بين الطويل والقصير.

(٢) ممصّران: أي فيهما صفرة خفيفة.

(٣) الأمانة: أي الأمنة والسلام.

(٤) ترتع: أي تلعب.

(٥) رواه أحمد (٩٢٥٩)، وأبو داود (٤/ ١١٧)، وابن جرير (٩/ ٣٨٨)، وابن حبان (٨/ ٢٧٧)، والحاكم (٢/ ٥٩٥)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٥٨)، وصحح سند أحمد الشيخ أحمد شاكر وكذا سند الطبري. وأما الجزء الأول من الحديث فقد ثبت في روايات كثيرة.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقد واسى اللَّه رسوله بأن الموت سنته في خلقه ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

والموت حق على الإنس والجن، ففي «الصحيح» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون».

للموت وقت وأجل محدد

للموت وقت يأتي فيه، فلا يستطيع أحد أن يتجاوز الأجل الذي ضربه اللَّه، وقد قدر اللَّه آجال العباد، وجرى بذلك القلم في اللوح المحفوظ، وكتبته الملائكة الكرام والمرء في بطن أمه، فلا يتأخر المرء عما كتب له ولا يتقدم، وكل إنسان مات أو قتل أو غرق أو سقط من طائرة أو سيارة أو احترق أو غير ذلك من الأسباب، فإنه قد مات بأجله الذي قدره اللَّه وأمضاه، وقد دلت على ذلك نصوص كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، وقال: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠].

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر من «صحيحه»، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٩٠، ٤١٣، ٤٤٥).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٠٤٤/ ح ٢٦٥٣).

وفي «صحيح مسلم» عن عبد اللَّه بن مسعود قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ، وﷺ: «اللَّهم أمتعني بزوجي رسول اللَّه، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية».

قال: فقال النبي ﷺ: **«لقد سألت اللَّه لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة. لن يعجل شيء قبل أجله، ولن يؤخر اللَّه شيئًا بعد أجله، ولو كنت سألت اللَّه أن يعيذك من عذاب النار، وعذاب في القبر كان خيرًا وأفضل»**[(١)].

● وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«كتب اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء»**[(٢)].

● وعن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: «حدثنا رسول اللَّه ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق ـ قال: **«إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد...»**[(٣)] الحديث.

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«وكّل اللَّه بالرحم ملكًا، فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد اللَّه أن يقضي خلقها، قال: أي رب ذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟**

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر من «صحيحه»، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٩٠، ٤١٣، ٤٤٥).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٠٤٤/ ح ٢٦٥٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم والسياق له، وأبو داود والترمذي.

فيكتب كل ذلك في بطن أمه»[١] .

* معنى المحو والإثبات في الصحف، وزيادة الأجل ونقصانه:

● قد يشكل على بعض الناس مواضع في كتاب اللَّه وأحاديث رسول اللَّه ﷺ فيقول بعضهم: إذا كان اللَّه علم كل ما هو كائن، وكتب ذلك كله عنده في كتاب فما معنى قوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

وإذا كانت الأرزاق والأعمار والآجال مكتوبة لا تزيد ولا تنقص فما توجيهكم لقوله ﷺ : «**من سرّه أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[٢] .

وكيف تفسرون قول نوح لقومه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٣].

● وما قولكم في الحديث الذي فيه أن اللَّه جعل عمر داود عليه السلام مائة سنة بعد أن كان أربعين سنة؟ .

والجواب أن الأرزاق والأعمار نوعان:

● نوع جرى به القدر وكتب في أم الكتاب، فهذا لا يتغيّر ولا يتبدل، ونوع أعلم اللَّه به ملائكته فهذا هو الذي يزيد وينقص، ولذلك قال اللَّه تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ . وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي قدّر اللَّه فيه الأمور على ما هي عليه.

ففي كتب الملائكة يزيد العمر وينقص، وكذلك الرزق بحسب الأسباب،

---

(١) رواه البخاري «فتح» (١١/ ٤٧٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٨/ ح ٢٦٤٦)، والسياق للبخاري.
(٢) رواه البخاري (٤/ ٣٠١)، ومسلم (١٥/ ١١٤).

فإن الملائكة يكتبون له رزقًا وأجلاً، فإذا وصل رحمه زيد له في الرزق والأجل، وإلا فإنه ينقص له منهما[(١)] .

● [**والأجل أجلان** :

● **أجل مطلق**: يعلمه اللَّه، و«أجل مقيّد» وبهذا يتبيّن معنى قوله ﷺ : «**من سرّه أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»، فإن اللَّه أمر الملَك أن يكتب له أجلاً وقال: «إن وصل رحمه زدته كذا وكذا»، الملك لا يعلم أيزداد أم لا؟ لكن اللَّه يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر»[(٢)] .

● يقول ابن حجر العسقلاني: «الذي سبق في علم اللَّه لا يتغيّر ولا يتبدّل، والذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي، فيقع فيه المحو والإثبات، كالزيادة في العمر والنقص، وأما ما في علم اللَّه فلا محو فيه ولا إثبات والعلم عند اللَّه» [(٣)]][(٤)] .

● **معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[فاطر: ١١]** :

اختلف في معنى الآية على قولين:

● **أولهما**: أن ما يعمر من معمر فيطول عمره، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمّر طويلاً إلا في كتاب عنده مكتوب قبل أن تحمل

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٨/ ٥٤٠).
(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٤/ ٥١٧).
(٣) «فتح الباري» (١١/ ٤٨٨).
(٤) «القضاء والقدر» للدكتور عمر الأشقر ص(٦٦ ـ ٦٧).

به أمه، وقبل أن تضعه، ولا يزداد فيما كتب له ولا ينقص، وهو قول ابن عباس وغيره. والضمير في ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ على هذا القول عائد على الجنس، كما يقال: عندي ثوب ونصفه، أي: ونصف ثوب آخر.

● **والقول الثاني**: هو ما قاله سعيد بن جبير وغيره:

قال سعيد بن جبير: في أول الصحيفة مكتوب عمره، ثم يكتب بعد ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، حتى يأتي على أجله[١].

أي أن ما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته فذلك هو نقصان عمره، والضمير على هذا القول عائد على المعمر الأول.

ومعنى الكلام: ما يطول عمر أحد ولا يذهب من عمره شيء فينقص إلا وهو في كتاب عند اللَّه مكتوب.

● ذكرهما ابن جرير في «تفسيره» (١٢/ ١٢٢ ـ ١٢٣) وذهب إلى ترجيح القول الأول؛ لأنه أشبه وأظهر.

وذكرهما ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٥٠) ووافق ابن جرير في اختياره للقول الأول.

● وقد قال بذلك أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) وذكر أن التعمير والتقصير يراد بهما شيئان:

● **أحدهما**: أن هذا يطول عمره، وهذا يقصر عمره، فيكون تقصيره نقصًا له بالنسبة إلى غيره، كما أن المعمر يطول عمره فيكون التعمير زيادة له بالنسبة إلى الآخر.

---

(١) «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٤٧)، والماوردي في «تفسيره» (٣/ ٣٧١).

● **والثاني**: قد يراد بالنقص النقص من العمر المكتوب كما يراد بالزيادة الزيادة في العمر المكتوب.

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سرّه أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في عمره فليصل رحمه**»... ثم قال: «وقد قال بعض الناس: إن المراد به البركة في العمر بأن يعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيره إلا في الكثير، قالوا: لأن الرزق والأجل مقدران مكتوبان فيقال لهؤلاء: تلك البركة. وهي الزيادة في العمل والنفع ـ أيضًا مقدّرة مكتوبة وتتناول لجميع الأشياء.

فالجواب المحقق: «أن اللَّه يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك»[1].

وقت الموت من الغيب الذي استأثر اللَّه به

وقت الموت من الغيب الذي استأثر اللَّه بعلمه، قال تعالى: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَآ إلا هُوَ**﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [لقمان: ٣٤].

وقد روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا اللَّه ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**

(١) انظر: «تفسير الماوردي» (٣/ ٣٧٠)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ٣٣٣)، و«فتح الباري» (٤/ ٣٠١، ٣٠٢)، (١٠/ ٤١٦).

وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾»(1).

* حضور الشيطان عند الموت:

قال القرطبي: سمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر القرطبي، يقول: حضرت أخا شيخنا أبي جعفر أحمد بن محمد القرطبي بقرطبة، وقد احتضر، فقيل له: قل لا إله إلا اللَّه، فكان يقول: لا لا، فلما أفاق، ذكرنا له ذلك، فقال: أتاني شيطانان عن يميني وعن شمالي، يقول أحدهما: مت يهوديًا فإنه خير الأديان، والآخر يقول: مت نصرانيًّا فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما: لا لا...»(2).

ولكن هذا ليس لازمًا لكل أحد كما يقول ابن تيمية، بل من الناس من تعرض عليه الأديان قبل موته، ومنهم من لا تعرض عليه، وقد وقع ذلك لأقوام، وهذا كله من فتنة المحيا والممات التي أمرنا أن نستعيذ بها في صلاتنا(3)، وقد ذكر الشيخ ابن تيمية أن الشيطان أحرص ما يكون على إغواء الإنسان وقت موته؛ لأنه وقت الحاجة، واستدل بالحديث الذي في «الصحيح»: «**الأعمال بخواتيمها**»، وقال ﷺ: «**إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها**»، ولهذا روي: «أن

---

(1) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء وفي كتاب التفسير.

(2) «التذكرة» للقرطبي ص(٣٤).

(3) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٥).

الشيطان أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا فإنه إن فاتكم لن تظفروا به أبدًا»[(١)] .

* ملك الموت:

من اعتقاد أهل السنة والجماعة إيمانهم بملك الموت قبل إيمانهم بالملائكة الآخرين.

وملك الموت هو المتولي لقبض الأرواح واستخراجها. ولم يرد التصريح باسمه في الأحاديث الصحيحة، وإنما وردت تسميته بعزرائيل في بعض الآثار، عن قتادة وأشعث بن أسلم وغيرهما وهو المشهور.

قال ابن بطة: «الإيمان بملك الموت عليه السلام أنه يقبض الأرواح، ثم ترد في الأجساد في القبور وهو يتصف بصفات من القدرة والسلطان وعظم الخلق وغيرهما من الصفات التي جعلته قادرًا على قبض أرواح كثيرة في أماكن مختلفة بعيدة الأطراف في لحظة واحدة»[(٢)] .

• قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

قال ابن عباس: «خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب»[(٣)] .

وصح عن مجاهد أنه قال عن ملك الموت: «حُويت له الأرض فجُعلت

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٦).

(٢) «الشرح والإبانة» لابن بطة ص(٢٢٢)، و«البداية والنهاية» (١/ ٤٧)، و«شرح الطحاوية» ص(٤٤٠)، و«التذكرة» للقرطبي (١/ ٨٨)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ٩٤).

(٣) «العظمة» لأبي الشيخ (٣/ ٩٢٤)، و«العرش» لابن أبي شيبة، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص(٥٠٥)، وهو موقوف ورجال إسناده ثقات.

له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء»[(١)] .

● **قال ابن جرير الطبري:**

«إن قال قائل: أو ليس الذي يقبض الأرواح ملك الموت، فكيف قيل: ﴿**تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا**﴾ والرسل جملة وهو واحد، أو ليس قد قال: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾.

ثم أجاب عن ذلك بقوله: «قيل: جائز أن يكون اللَّه تعالى أعان الملك الموت بأعوان من عنده، فيقولون ذلك بأمر ملك الموت، فيكون التوفي مضافًا ـ وإن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت ـ إلى ملك الموت، إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره.

كما يضاف قتل من قتله أعوان السلطان وجلد من جلدوه بأمر السلطان وإن لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه ولا وَلِيه بيده، وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل»[(٢)] ا.هـ.

● وذهب آخرون إلى أن الذي يتولى قبض الأرواح هو ملك الموت نفسه فقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٥٧): «والظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة وأن له أعوانًا كما هو المتبادر من حديث البراء ابن عازب».

فهو يدل على أن ملك الموت هو الذي يلي قبض الأرواح وينزل معه ملائكة آخرون.

ورد عن قتادة أنه قال: تلي قبضها الرسل، ثم تدفعها إليه. وورد عن

---

(١) «تفسير الطبري» (٢١/ ٩٨)، و«الحبائك في أخبار الملائك» ص(٣٥).

(٢) «تفسير الطبري» (٧/ ٢١٦).

ابن عباس وإبراهيم النخعي أن ملك الموت هو الذي يلي قبض الأنفس.

● قال العلامة الشنقيطي:

«قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ الآية.

أسند في هذه الآية الكريمة التوفي إلى ملك واحد، وأسنده في آيات أخر إلى جماعة من الملائكة كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾، وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ الآية، وأسنده في آية أخرى إلى نفسه جل وعلا وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الآية.

والجواب عن هذا ظاهر، وهو أن إسناده التوفي إلى نفسه؛ لأن ملك الموت لا يقدر أن يقبض روح أحد إلا بإذنه ومشيئته تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾، وأسنده لملك الموت؛ لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وأسنده للملائكه لأن ملك الموت له أعوان من الملائكة تحت رئاسته، يفعلون بأمره وينزعون الروح إلى الحلقوم، فيأخذها ملك الموت، والعلم عند الله تعالى[2].

● **تنبيه:**

قال القرطبي في «التذكرة»: سُئل الإمام مالك بن أنس عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق مليًّا ثم قال: ألها نَفْس؟ قال: نعم. قال: ملك الموت يقبض أرواحها ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ا.هـ.

---

(١) قال ابن عباس: أعوان ملك الموت.

(٢) «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» للشنقيطي ص(٢٣٦) ـ مطبعة المدني.

* تخيير الأنبيـــاء عنـد المـــوت:

هذه خاصية الأنبياء وليست لأحد من البشر سواهم.

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خطب رسول اللَّه ﷺ الناس وقال: «**إن اللَّه خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند اللَّه!**»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يُخبر رسول اللَّه ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول اللَّه ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا».

يخيّر الأنبياء بين البقاء في الدنيا والانتقال إلى ذلك المقام، ولا شك أن كل رسول يفضل النعيم المقيم على الدنيا وما فيها.

ففي «صحيح البخاري» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخيّر**»، فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «**اللَّهم الرفيق الأعلى**»، قلت: إذن لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به، قالت: «فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها النبي ﷺ قوله: «**اللَّهم في الرفيق الأعلى**»[1] وجاء في إحدى رواياته[2]: «فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه: وأخذته بُحةٌ يقول: ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩]، قالت: فظننت أنه خيِّر يومئذ».

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق: باب من أحب لقاء اللَّه، «فتح الباري» (١١/ ٣٥٧)، وقد أخرجه أيضًا مسلم في «صحيحه»، ومالك في «موطئه»، والترمذي في «سننه»، وقد ساق روايات الحديث عن عائشة ابن الأثير في «جامع الأصول» (١١/ ٦٧).

(٢) وهي عند جميعهم.

* **فقء موسى عليه السلام عين ملك الموت:**

● عن أبي هريرة ﷺ قال: «أُرسل[١] ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكّه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت[٢] . قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطّى يده بكل شعرة سنة. قال: أي ربْ، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. قال: فسأل اللَّه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمْية بحجر.

قال أبو هريرة ﷺ: فقال رسول اللَّه ﷺ: **«لو كنتُ ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»**[٣] .

● قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٥١٠):

«قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وقالوا: إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟ والجواب أن اللَّه لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختبارًا وإنما لطم موسى ملك الموت؛ لأنه رأى آدميًّا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم لما قدّم لها المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه.

---

(١) عند أحمد، ومسلم: «جاء ملك الموت إلى موسى فقال: أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها» وعند الطبري: «كان ملك الموت يأتي الناس عيانًا، فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه».

(٢) زاد همام: «وقد فقأ عينه، فردّ اللَّه عليه عينه» وفي رواية: «فقال: يا رب عبدك موسى فقأ عيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه».

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وعبد الرزاق، والطبري.

وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لـهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملـك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له؟ ولخص الخطابي كلام ابن خزيمة وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة وأن اللَّه ردّ عين ملـك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند اللَّه؛ فلهذا استسلم حينئذ.

وقال النـووي: لا يمتنع أن يـأذن اللَّه لموسـى في هذه اللـطمة امتـحانًا للملطوم. وقال غيره: إنما لطمه؛ لأنـه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره، لما ثبت أنه لم يقبـض نبي حتى يخيّر، فلهذا لما خيّره فـي المرة الثانية أذعن، قيـل: وهذا أولى الأقوال بـالصواب، وفيـه نظر؛ لأنـه يعود أصل الـسؤال فيُقال: لم أقدم ملك الموت على قبض نبي اللَّه وأخلّ بالشرط؟ فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحانًا».

● وقال ابن حبان في «صحيحه»: «ذكر خبـر شنّع به على منتحلي سنن المصطفـى ﷺ مَن حُرِم التوفيـق لإدراك معناه»، ثم روى الحديـث وعقّب قائلاً: «إن اللَّه جلّ وعلاَ بعث رسول اللَّه ﷺ معلمًا لخلقه؟ فأنزله موضع الإبانـة عن مراده، فـبلغ ﷺ رسـالته، وبيّـن عن آياتـه بألفـاظ مجمـلة ومفسرة، عقلهـا عنه أصحابه أو بعضهم، وهذا الخبـر من الأخبار التي يُدرك معناه من لم يُحرم التوفيق لإصابة الحق.

وذاك أن اللّـه جل وعـلا أرسل ملـك الموت إلـى موسى رسـالة ابـتلاء واختبار، وأمـره أن يقول له: أجب ربك، أمـر اختبار وابتلاء، لا أمـرًا يريد اللَّه جل وعلا إمضـاءه، كما أمر خليله ﷺ بذبح ابنه أمـر اختبار وابتلاء، دون الأمر الذي أراد اللّـه جل وعلا إمضاءه...»، ثم ذكر نحـو ما قال ابن خزيمة وقال: «فلو كانت المرة الأولى عرفـه موسى أنه ملك الموت، لاستعمل

ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به، ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حمّالة الحطب، ورعاة الليل، يجمعون ما لا ينتفعون به، ويروون ما لا يُؤجرون عليه، ويقولون بما يبطله الإسلام، جهلاً منه لمعاني الأخبار، وترك التفقه في الآثار، معتمدًا منه على رأيه المنكوس، وقياسه المعكوس».

● وقال ابن حبان أيضًا: (١١٧/١٤): «هذه اللفظة: «أجب ربك» قد تُوهم مَن لم يتبحر في العلم، أن التأويل الذي قلناه للخبر مدخول، وذلك في قول ملك الموت لموسى: (أجب ربك) بيان أنه عرفه، وليس كذلك؛ لأن موسى عليه السلام لما شال يده ولطمه، قال له: (أجب ربك)، وتوهم موسى أنه يتعوّذ بهذه اللفظة، دون أن يكون رسول اللَّه إليه، فكان قوله: (أجب ربك) الكشف عن قصد البداية في نفس الابتلاء والاختبار الذي أريد منه» ا. هـ.

وهذا الحديث وأمثاله فرق ما بين أصحاب الحديث ـ الذين يُسلّمون لحديث النبي ﷺ ويقولون: ما جاءنا عن رسول اللَّه ﷺ فعلى العين والرأس ـ وبين أفراخ المعتزلة من العقلانيين الذين يحكمون عقولهم ويضعونها فوق النقل، وجهلوا أن الشرع يأتي بمحارات العقول لا بمحالات العقول، وجهلوا أن الشرع حاكم والعقل محكوم عليه.

هل أنتمُ إلا الفراش وقد رأى نارًا توهّجْ
فدنا فأحرق نفسه ولو اهتدى رشدًا لأبعدْ
فلتخسأ الحكماء عن رب له الأفلاك تسجدْ

* * *

القبــــور

القبر أول منــازل الآخــرة.

ضمّة القبـــــر

إن للقبر ضمّــة لا ينجو منها أحد صالحًا كان أو عاصــيًا، صغيرًا كان أو كبيرًا، وضمّة القبر غير عذاب القبر.

ففي «سنن النسائي» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قــال رسول اللّه ﷺ: «**هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضم ضمة، ثم فرج عنه**»[١] . وفي «مسند الإمام أحمد» عن ابن عمر أيضًا أن الرسول ﷺ قال: «**إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيًا منها لنجا سعد بن معاذ**» رواه أحمد في «مسنده»[٢] ، وفي مسندي الطبراني «الكبير» و«الأوسط» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الرسول ﷺ قال: «**لو نجا أحد من ضمة القبر، لنجا سعد بن معاذ، ولقد ضم ضمة، ثم روخي عنه**»[٣] . ومما يدل على أن ضمة القبر لازمة لكل إنسان أن الصبيان لا ينجون منها، ففي «مسند الطبراني الكبير» عن أبي أيوب الأنصاري بإسناد صحيح، وهو في «مسنده الأوسط»، وفي «الكامل» لابن عدي عن أنس أن الرسول ﷺ قال: «**لو أفلت أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي**»[٤] .

---

(١) رواه النسائي، في كتاب الجنائز: باب ضمة القبر وضغطته (٤/ ١٠٠)، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٤٩): وسنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) قال الشيخ ناصر الدين الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٢٣٦): إسناده صحيح.

(٣) قال في «صحيح الجامع» (٥/ ٧١): إسناده صحيح.

(٤) «صحيح الجامع» (٥/ ٥٦).

سؤال المَلَكين وفتنة القبر

● يؤمن أهل السنة والجماعة بسؤال المَلَكين وفتنة القبر والأخبار التي في فتنة القبر أخبار متواترة، نقل هذا التواتر ونص عليه:

● شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام ابن القيم، وابن أبي العز «شارح الطحاوية»، والسيوطي في «شرح الصدور»، والكتاني في «نظم المتناثر»، والألباني[١] .

● قال ابن القيم: «أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة، متواترة عن النبي ﷺ»[٢]

● ويقول «شارح الطحاوية»:

«وقد تواترت الأخبار عن رسول اللّه ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا» ا.هـ.

وهذه الفتنة عظيمة في هولها وخطرها تقرب من فتنة الدجال أعظم فتنة.

يقول ﷺ: **«ما من شيء لم أكن رأيته، إلا رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، ولقد أوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم، مِثلَ**

---

(١) قول الشيخ الألباني في تعليقه على «الآيات البينات» ص(٨٩).

(٢) «الروح» ص(٧٠).

أو قريبًا من فتنة المسيح الدجال...»[(١)] الحديث.

● وفي «سنن الترمذي» عن أبي هـريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا قبر الميت** ـ أو قال: أحدكم ـ **أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول، هو عبد اللّـه ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الـلّه، وأن محمداً عبـده ورسوله... وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون قولاً، فقلت مثله، لا أدري...»**[(٢)] .

وجاء فـي الحديث الـذي يرويه الـبراء بـن عازب عن الـرسول صلى الله عليه وسلم : «**فيأتيه ملكان شديد الانتهار فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتـنة تعرض علـى المؤمن، فذلـك حين يقول اللّـه عز وجل:** ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ ، **فيقـول: ربي اللَّه، وديـني الإسـلام، ونبي مـحـمد** صلى الله عليه وسلم ، **فينـادي مـنـاد من السماء: أن صدق عبـدي**»، وقال في العبـد الكـافـر أو الفـاجر: «**ويأتيـه ملكان شديدا الانتهـار، فينتهرانه، ويجلـسانه، فيقولان له: من ربك؟ فـيقول: هاه، هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه، هاه لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتـدي لاسـمه، فيقال: محمد، فيقول: هاه، هاه، لا أدري، سمعت الـناس يقولون ذاك، فيقـولان: لا دريت ولا تلوت**[(٣)] **فـينـادي**

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبـر (٣/ ٣٨٣)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وقـال محقق الكتاب الشيخ أحمد شاكر: لـم يخرجه من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذي، وقد رمز له الشيـخ ناصر الدين الألباني بالحسن في «صحيح الجامـع الصغـير» (١/ ٢٥٩)، وحسـنه في «ظـلال الجنة» (٨٦٤)، وأورده فـي «سلسـلة الأحاديث الصحيحة» (ح ١٣٩١). وقال: إسناده جيد رجاله كلهم ثقات رجال مسلم.

(٣) أي: لا دريت ولا تبعت الناس بأن تقول شيئًا يقولونه.

منادي أن كذب عبدي»[١] .

وعن أنس ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، إذا انصرفوا: أتاه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد؟ فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله... وأما الكافر أو المنافق**، وفي رواية: «**وأما الكافر والمنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال: لا دريت، ولا تليت...**» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي[٢] .

ولم يكن الرسول ﷺ يعلم في أول الأمر أن هذه الأمة تفتن في قبورها، ثم أوحى اللَّه له بهذا العلم، فقد حدَّث عروة بن الزبير عن خالته عائشة، قالت: دخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ ، وعندي امرأة من اليهود، وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسول اللَّه ﷺ ، وقال: «**إنما تفتن اليهود**»، قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول اللَّه ﷺ : «**هل شعرت أنه أوحي إلي تفتنون في القبور**» قالت عائشة: فسمعت رسول اللَّه ﷺ ، بعد: يستعيذ من عذاب القبر»[٣] .

---

(١) **حديث صحيح**: وسبق تخريجه.

(٢) «جامع الأصول» (١١/ ١٧٣).

(٤) رواه مسلم في «صحيحه»، كتاب المساجد: باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (ح٥٨٤).

تنبيه هام: قال الشيخ الألباني في تحقيقه للآيات البينات في عدم سماع الأموات ص(٨١) عن منكر ونكير قال: «ثبت ذكرهما باسمهما في حديث أبي هريرة مرفوعًا وله شاهد من حديث البراء عند البيهقي في «الشعب» (١/ ١٨١)، وآخر موقوف على ابن عباس، رواه الطبراني في «الأوسط» وحسّن إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٤).

وقال ابن الألوسي في «الآيات البينات على عدم سماع الأموات» ص(٨٩ - ٩٠): «وأنكر الجبائي وابنه، والبلخي تسمية الملكين منكرًا ونكيرًا، مع الاعتراف بهما، وإنما المنكر ما =

● قال الحافظ ابن كثير: «وهما فَتَّانَا الـقبر موكلان بسؤال الميت في قبره عن ربه ودينـه ونبيه ويمتحـنان البر والفاجر وهـما أزرقان أفرقان لهـما أنياب وأشكال مزعـجة وأصوات مفزعة أجـارنا اللَّه من عذاب الـقبر وثبتنـا بالقول الثابت»(١) ا.هـ.

* سؤال القـبر للروح والبـدن معًا، وعودة الروح إلـى الجسد وقت السؤال:

● قال «شارح الطحاوية» ص(٤٥١):

«وليـس السؤال في الـقبر للـروح وحدها، كمـا قال ابن حزم وغـيره، وأفسد مـنه قول من قـال: إنه للبـدن بلا روح! والأحاديث الـصحيحـة ترد القولين. وكذلك عذاب القبر يكون للنفـس والبدن جميعًا، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به».

● قال ابـن حجـر في «الـفتـح» (٣/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) في قـصة أصـحاب القليب ووقوف النبي ﷺ عليهم:

«قد أخذ ابن جرير وجـماعة من الكرّامية من هذه الـقصة أن السؤال في القبر يقع على البدن فقط، وأن اللَّه يخلق فيه إدراكًا بحيث يسمع ويعلم ويلذ ويألم.

يصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكـير تقريع الملكين له». وقال الألباني معلقًا: «ثبوت ذكرهـما في الأحاديث الصـحيحة بدون تسـمية، حتى بلـغت مبلغ التـواتر، وقد ساقها السيوطـي في «شرح الصدور» ص(٤٨ ـ ٥٩)، وأما التسمية فهـي ثابتة في حديث أبي هريرة، والبراء، فمن أنكرها بعد ثبوتها فقد جهل!».

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٤٤).

وذهب ابن حزم وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عود إلى الجسم.

وخالفهم الجمهور فقالوا: تعاد الروح إلى الجسد أو بعضه كما ثبت في الحديث، ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن بذلك اختصاص، ولا يمنع من كون الميت قد تتفرق أجزاؤه؛ لأن اللَّه قادر أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد ويقع عليه السؤال، كما هو قادر على أن يجمع أجزاءه، والحامل للقائلين بأن السؤال يقع على الروح فقط أن الميت قد يشاهد في قبره حال المسألة لا أثر فيه من إقعاد ولا غيره، ولا ضيق ولا سعة، وكذلك غير المقبور كالمصلوب.

وجوابهم أن ذلك غير ممتنع في القدرة، بل له نظير في العادة وهو النائم فإنه يجد لذة وألمًا لا يدركه جليسه، بل اليقظان قد يدرك ألمًا أو لذة لما يسمعه أو يفكر فيه - ولا يدرك ذلك جليسه، وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد وأحوال ما بعد الموت على ما قبله، والظاهر أن اللَّه تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم إبقاءً عليهم لئلا يتافنوا، وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمر الملكوت إلا من شاء اللَّه. وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور كقوله: «**إنه ليسمع خفق نعالهم**»، وقوله: «**يضربانه بين أذنيه**»، وقوله: «**فيقعدانه**»، وكل ذلك من صفات الأجساد، وذهب أبو الهذيل ومن تبعه إلى أن الميت لا يشعر بالتعذيب ولا بغيره إلا بين النفختين، قالوا: وحاله كحال النائم أو المغشي عليه لا يحس بالضرب ولا بغيره إلا بعد الإفاقة، والأحاديث الثابتة في السؤال حالة تولي أصحاب الميت عنه ترد عليهم».

- وممن ذهب إلى أن السؤال والعذاب على الأجساد دون الأرواح

جماعة من الحنابلة.

قال الشيخ الألباني في تعليقه على «الآيات البينات» ص(٨٩):

«قال الحافظ ابن رجب (١/ ق٨١): «وممن ذكر ذلك من أصحابنا ابن عقيل في «كتاب الإرشاد» له وابن الزاغوني، وحكي عن ابن جرير الطبري أيضًا... لكن أنكره الجمهور كما قال ابن القيم ـ في «الروح» ـ ص(٥٠)».

* سؤال الملكين عن أصول التوحيد:

يُسأل العبد في قبره عن اللَّه عز وجل، وعن الإسلام، وعن رسول اللَّه ﷺ ويُسأل عن عمله، ويُسأل عن كتاب اللَّه عز وجل كما جاء في حديث البراء.

فأما المؤمن فيثبته اللَّه بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: هاه[1] هاه لا أدري! سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

* هل يُفتن الكافر في قبره؟

«دلت الأحاديث التي سقناها على أن الكفار يفتنون في قبورهم، وقد خالف في ذلك الحكيم الترمذي وابن عبد البر والسيوطي[2]، واحتج الحكيم الترمذي على عدم السؤال بأن الأمم الماضية إن رفضت الاستجابة لرسلها عوجلت بالعذاب، بخلاف هذه الأمة، فقد أمسك عنها العذاب، وبعث الرسول ﷺ بالسيف، فمن دخل في الإسلام مخافة القتل، ثم نافق عذب في قبره، وهذا الذي قاله فيه نظر، فإن اللَّه لم يهلك مكذبي الأمم بعد نزول

(١) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٨٧): هي كلمة تُقال في الضحك وفي الإبعاد وقد تقال للتوجع وهو أليق بمعنى الحديث واللَّه أعلم.

(٢) «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٠).

التوراة[١] ، واحتج ابن عبد البر بقوله عليه السلام في الحديث الصحيح: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها**»، ومنهم من يرويه. تسأل[٢] ، والأحاديث الصحيحة ترد هذا الفهم، وتدل على أن هذا ليس خاصًّا بالمؤمنين، وليس خاصًا بهذه الأمة. وقد ذهب إلى أن السؤال عام عبد الحق الإشبيلي، وابن القيم، والقرطبي، والسفاريني وغيرهم[٣] »[٤] .

● قال الإمام ابن القيم في كتابة «الروح» ص(١١٢ ـ ١١٥) في «المسألة الحادية عشرة»: [إن السؤال في القبر هل هو عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار أو يختص بالمسلم والمنافق؟

فقال أبو عمر بن عبد البر في «كتاب التمهيد»: والآثار الدالة تدل على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق، من كان منسوبًا إلى أهل القبلة ودين الإسلام بظاهر الشهادة.

وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام، فيثبت اللَّه الذين آمنوا ويرتاب المبطلون، والقرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول، وأن السؤال للكافر والمسلم، قال اللَّه تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وقد ثبت في «الصحيح» أنها نزلت في عذاب القبر حين يسأل: من ربك وما دينك ومن نبيك؟

وفي «الصحيحين» عن أنس بن مالك، عن النبي صلى اللَّه عليه وآله

---

(١) انظر: «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ١٠).
(٢) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ١٠)، و«تذكرة القرطبي» (١٤٧).
(٣) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ١٠)، و«تذكرة القرطبي» (١٤٧).
(٤) «القيامة الصغرى» ص(٤٦).

وسلم أنه قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم**» وذكر الحديث.

زاد البخاري: «**وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد يصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**». هكذا في البخاري. وأما المنافق والكافر بالواو».

ثم قال بعد سوقه للأدلة من حديث البراء وأبي سعيد:

«وهذا صريح في أن السؤال للكافر والمنافق، وقول أبي عمر ـ رحمه اللَّه ـ: وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، فيقال له: ليس كذلك بل هو من جملة المسئولين وأولى بالسؤال من غيره، وقد أخبر اللَّه في كتابه أنه يسأل الكافر يوم القيامة. قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [القصص: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأعراف: ٦] فإذا سئلوا يوم القيامة فكيف لا يسألون في قبورهم فليس لما ذكره أبو عمر ـ رحمه اللَّه ـ وجه».

* سؤال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها:

● قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح» (١١٦ ـ ١١٧):

«وأما المسألة الثانية عشرة وهي أن سؤال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها؟.

فهذا موضع قد تكلم فيه الناس، فقال أبو عبد اللَّه الترمذي: إنما سؤال

الميت في هــذه الأمة خاصة؛ لأن الأمم قبلنا كــانت الرسل تأتيهم بــالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل واعــتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما بــعث اللَّه محمدًا صلى اللَّه عليــه وآله وسلم بالرحمة إمامًا للخلــق، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنــبيــاء: ١٠٧]. أمسك عنهــم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ الإيمان في قلبه فأمهلــوا فمن ها هنا ظهر أمر النفاق، وكانوا يســرون الكفر ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر، فلمــا ماتوا قيض اللَّه لهم فتاني القبر، ليستخرج ســرهم بالسؤال وليميز اللَّــه الخبيث من الطيب، فيثــبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثــابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل اللَّــه الظالمين ويفعل اللَّه ما يشاء.

وخالف في ذلك آخرون مــنهم عبد الحق الإشبيلي والــقرطبي، وقالوا: السؤال لــهذه الأمة ولغــيرها، وتوقــف في ذلك آخرون مــنهم أبو عــمر بن عبد البــر فقال: في حديث زيــد بن ثابت، عن النــبي صلى اللَّه عــليه وآله وسلم أنه قال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها**». ومنهم من يرويه: تسأل.

وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك، فهذا أمر لا يقطــع عليه. وقــد احتج من خــصه بهذه الأمة بــقوله صلــى اللَّه علــيه وآله وسلم: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها**». وبقوله: «**أوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم**»، وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة.

قالوا: ويدل على قــول الملكين له: «ما كنت تقول فــي هذا الرجل الذي بعث فيكــم؟ فيقول: المؤمن أشهد أنه عــبد اللَّه ورسوله، فهذا خــاص بالنبي صلى اللَّه عــليه وآله وسلم، وقوله فــي الحديث الآخر: «**إنكــم بي تمتحــنون وعني تسألون**»، وقال آخرون ولا يدل هذا على اختصاص السؤال بهذه الأمة

دون سائر الأمم فإن قوله: «**إن هذه الأمـــة**»، إما أن يراد به أمة الـناس، كما قال تـعالـى: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّـةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَآئِرٍ يَطِيـرُ بِجَنَاحَيْـهِ إِلآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**﴾ [الأنعام: ٣٨].

وكل جنس مـن أجناس الحيوان يسمى أمـة، وفي الحديث: «**لـــولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها**». وفيه أيضًا حديث النبي الذي قرصته نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحـى اللَّه إليه من أجل أن قرصتك نملة واحدة أحرقت أمـة من الأمم تسبح اللَّـه. وإن كان المراد به أمته ﷺ الـذي بعث فيهم لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم، بل قد يكون ذكرهم إخبارًا بأنهم مسئولون في قبورهم، وأن ذلك لا يـختص بمن قبلهم لفضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، وكذلك قولـه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**أوحـي إلي أنكم تفتنون في قبوركم**». وكذلك إخباره عن قول الملكين: «**ما هذا الرجل الذي بـعث فيـكم؟**» هو إخبار لأمته بما تمتحن بـه في قبورها، والظاهر واللَّه أعلم أن كل نبي مع أمـته كذلك وأنهم معذبون في قبورهـم بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة. واللَّه سبحانه وتعالى أعلم» ا.هـ.

* هل يفتن غير المكلفين من الأطفال والمجانين؟

● قال الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه «الروح» ص(١١٧ ـ ١١٩):

«أما المسألة الثالثة عشرة وهي أن الأطفال هل يمتحنون في قبورهم؟

اختلف الناس في ذلك على قولين: هما وجهان لأصحاب أحمد.

وحجة من قال: إنهم يـسـألون أنه يشـرع الصـلاة عليـهم والدعـاء لهم وسؤال اللَّه أن يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر.

كما ذكر مالك في موطئه عن أبي هريرة ﷺ: «أنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم صلى على جنازة صبي فسمع من دعائه: اللَّه قه عذاب القبر».

واحتجوا بما رواه علي بن معبد عن عائشة ﷺ، أنه مر عليها بجنازة صبي صغير، فقيل لها ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ فقالك: هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر.

واحتجوا بما رواه هناد بن السري: ثنا أبو معاوية، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ﷺ، قال: إن كان ليصلي على المنفوس ما إن عمل خطيئة قط، فيقول: اللَّهم أجره من عذاب القبر. قالوا: واللَّه سبحانه يكمل لهم عقولهم ليعرفوا بذلك منزلتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه. قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الكثيرة، التي فيها أنهم يمتحنون في الآخرة.

وحكاه الأشعري عن أهل السنة والحديث: فإذا امتحنوا في الآخرة لم يمتنع امتحانهم في القبور.

قال الآخرون: السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل، فيسأل هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟ فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فأما الطفل الذي لا تمييز له بوجه ما فكيف يقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ ولو رد إليه عقله في القبر، فإنه لا يسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به، ولا فائدة في هذا السؤال، وهذا بخلاف امتحانهم في الآخرة، فإن اللَّه سبحانه يرسل إليهم رسولاً ويأمرهم بطاعة أمره وعقولهم معهم، فمن أطاعه منهم نجا، ومن عصاه أدخله النار، فذلك امتحان بأمر يأمرهم به ويفعلونه ذلك الوقت لا إنه سؤال عن أمر

مضى لهم في الدنيا من طاعة أو عصيان، كسؤال الملكين في القبر.

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل، على ترك طاعة أو فعل معصية قطعًا، فإن اللَّه لا يعذب أحدًا بلا ذنب عمله، بل عذاب القبر قد يراد به الألم الذي يحصل للميت بسبب غيره، وإن لم يكن عقوبة على عمل عمله، ومنه قوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه**»، أي: يتألم بذلك ويتوجع منه لا أنه يعاقب بذنب الحي ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ [الأنعام: ١٦٤]. وهذا كقول النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**السفر قطعة من العذاب**» فالعذاب أعم من العقوبة.

ولا ريب أن في القبر من الآلام والهموم والحسرات ما قد يسري أثره إلى الطفل، فيتألم به فيشرع للمصلي عليه أن يسأل اللَّه تعالى له أن يقيه ذلك العذاب. واللَّه أعلم» ا. هـ.

● قال الشيخ عمر سليمان الأشقر:

«هل يفتن غير المكلفين؟

الفتنة عامة لجميع المكلفين إلا النبيين فقد اختلف فيهم[1]، وإلا الشهداء والمرابطين ونحوهم ممن جاءت النصوص دالة على نجاتهم من الفتنة.

واختلف في غير المكلفين من الصبيان والمجانين، فذهب جمع من العلماء إلى أنهم لا يفتنون منهم القاضي أبو يعلى وابن عقيل، ووجهة نظر هؤلاء أن المحنة تكون لمن كلف، أما من رفع عنه القلم فلا يدخل في المحنة، إذ لا معنى لسؤاله عن شيء لم يكلف به.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٧) كذا سيأتي مفصلاً في فتاوى شيخ الإسلام.

وقال آخرون: بل يفتنون، وهذا قول أبي الحكيم الهمداني، وأبي الحسن ابن عبدوس، ونقله عن أصحاب الشافعي، وقد روى مالك وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى على طفل، فقال: «**اللَّهم قه عذاب القبر وفتنة القبر**»، وهذا القول موافق لقول من قال: إنهم يمتحنون في الآخرة، وأنهم مكلفون يوم القيامة، كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد»[1] ا.هـ.

● قال ابن القيم في كتابه «الروح» ص(١١٠):

«وقد اختلف في الأنبياء هل يُسألون في قبورهم؟ على قولين. وهما وجهان في مذهب أحمد وغيره» ا.هـ.

● **تنبيه**: سيأتي ذكر الذين لا يفتنون في قبورهم وهم:

١ ـ من يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة من المسلمين.

٢ ـ من مات مرابطًا. ٣ ـ من مات بداء البطن.

٤ ـ من مات شهيدًا. قال صلى الله عليه وسلم: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**».

قال ابن القيم في «الروح»: قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيف على رأسه، فلم يفرّ فلو كان منافقًا لما صبر لبارقة السيف على رأسه، فدل على أن إيمانه هو الذي حمله على بذل نفسه للَّه وتسليمها له وهاج من قلبه حمية الغضب للَّه ورسوله وإظهار دينه وإعزاز كلمته، هذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للقتل فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره».

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٧، ٢٧٧).

عذاب القبر حق ومنكرُه زنديق وأحاديثه متواترة

أنكر الزنادقة قديمًا وحديثًا عذاب القبر ونعيمه، وقالوا: بأنه خزعبلات وشككوا الجهلة في ثبوته في الكتاب والسنة حتى تردد كثير من الناس في هذه العقيدة الثابتة الراسخة وإنا للَّه وإنا إليه راجعون[1] .

ورحم اللَّه من قال: كان النفاق على عهد رسول اللَّه ﷺ فأما الآن فإما الإسلام وإما السيف.

وأنكر عذاب القبر ونفاه مطلقًا الخوارج وبعض المعتزلة: «كضرار بن عمرو وبشر المريسي ومن وافقهما، وخالفهم في ذلك أكثر المعتزلة وجميع أهل السنة وغيرهم وأكثروا من الاحتجاج له. وذهب بعض المعتزلة كالجياني إلى أنه يقع على الكفار دون المؤمنين»[2] .

● قال ابن القيم: «إن نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع»[3] .

وقد ترجم البخاري في كتاب الجنائز لعذاب القبر[4] فقال: باب ما جاء في عذاب القبر، وساق في الترجمة قوله تعالى: ﴿ **إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ** ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿ **سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾ [التوبة: ١٠١]. وقوله تعالى: ﴿ **وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ** ﴿٤٥﴾

(١) «حياة القبر في ضوء الكتاب والسنة» للدكتور ياسر برهامي ص(٤).
(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٧٥).
(٣) «الروح» ص(١٠٢).
(٤) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣).

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ ـ ٤٦].

● والآية الأولى التي ساقها البخاري [الأنعام: ٩٣]، «وجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئًا من ذلك ولا يسمعون شيئًا من ذلك التقريع والتوبيخ ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه، ولا يعلمون بشيء مما يقاسي من الشدائد، فلأن يُفعل له في قبره أعظم منه ولا يعلمه من كشف عليه أولى وأظهر؛ لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم[١].

● الآية الثانية: [التوبة: ١٠١] تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة، العذاب الأول: ما يصيبهم اللَّه به في الدنيا إما بعقاب من عنده وإما بأيدي المؤمنين، والعذاب الثاني: عذاب القبر، قال الحسن البصري: «سنعذبهم مرتين: عذاب الدنيا، وعذاب القبر»[٢].

وقال الطبري: «والأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتمل أحد ما تقدم ذكره من الجوع أو السبي أو القتل والإذلال أو غير ذلك»[٣].

قال ابن جرير: سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين: إحداهما في الدنيا والآخرى في القبر.

قال ابن عباس: العذاب الثاني في القبر.

---

(١) «معارج القبول» للشيخ حافظ حكمي.

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣).

(٣) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣).

وقال مجاهد: سنعذبهم مرتين بالجوع وعذاب القبر.

وقال قتادة: عذابًا في الدنيا وعذابًا في القبر.

وهو قول الحسن، وابن جريج[1].

● **والآية الثالثة**: حجة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر، فإن الحق تبارك وتعالى قرر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيًا، وهذا قبل يوم القيامة؛ لأنه قال بعد ذلك: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾، قال القرطبي: «الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر»[2].

● **الآية الرابعة**: ومن الإشارات القرآنية الواضحة الدالة على فتنة القبر وعذابه قوله تبارك وتعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ففي الحديث الذي يرويه البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾**، وفي رواية أخرى: وزاد: **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت في عذاب القبر**»[3].

● **الآية الخامسة**: قوله تعالى: ﴿**فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الطور: ٤٥ ـ ٤٧]، وهذا

---

(١) «الطبري» (٦/ ٩ ـ ١١).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٢٣٣).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، «فتح الباري» (٣/ ٢٣١).

يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر؛ لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب في الدنيا وقد يقال وهو أظهر: إن من مات منهم عذب في البرزخ، ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ»[١].

قال ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٣٦ ـ ٣٧):

«عن البراء: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قال: عذاب القبر.

وعن قتادة: أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾.

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابًا دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة؛ لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش...».

● **الآية السادسة**: قوله تعالى: ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [السجدة: ٢١]، وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء؛ لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعى به رجوعهم من الكفر ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه، فهم منها عذاب القبر فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية

---

(١) «الروح» لابن القيم ص(١٠٢) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٢٠): قال: «رواه ابن جرير وابن المنذر».

يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال من العذاب الأدنى ولم يقل ولنذيقنهم العذاب الأدنى. فتأمله.

وهذا نظير قول النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**فيفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها**» ولم يقل فيأتيه حرها وسمومها، فإن الذي وصل إليه بعض ذلك وبقي له أكثره والذي ذاقه أعداء اللَّه في الدنيا بعض العذاب الأدنى، وبقي لهم ما هو أعظم منه»[(١)] .

● قال مجاهد: الأدنى في القبور وعذاب الدنيا ذكره ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ١١٠).

● **الآية السابعة**: قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ [طه: ١٢٤].

قال رسول اللَّه ﷺ: «**عَذابَ القَبرِ**»[(٢)] .

● **الآية الثامنة**: قال تعالى: ﴿**وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا**﴾ [الإسراء: ٧٤ ـ ٧٥].

قال الحسن البصري: هو عذاب القبر. وقال عطاء: عذاب القبر[(٣)] .

● **الآية التاسعة**: قوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي**

---

(١) «الروح» ص(١٠٢) وهو مروي عن البراء بن عازب ومجاهد وأبي عبيدة يعني به عذاب القبر كما في «معارج القبول».

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٣٨) من حديث أبي هريرة وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وقال الحافظ ابن كثير (٣/ ١٦٩): رواه البزار بإسناد جيد. وقال السيوطي في «الإكليل» (١٧٧): إسناده جيد. وورد موقوفًا أيضًا على أبي هريرة، وابن مسعود وغيرهما راجع «إثبات عذاب القبر» للبيهقي ص(٦٠)، و«الزهد» (١/ ٢١٤) لهناد بن السري.

(٣) «إثبات عذاب القبر» للبيهقي ص(١٠٣).

﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

في حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ : «إذا أُقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾»، وفي رواية أخرى: وزاد: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت في عذاب القبر»[١] .

● **الآية العاشرة**: قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً﴾ [نوح: ٢٥].

قال فخر الدين الرازي في «مفاتيح الغيب»: «تمسّك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله: ﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً﴾ وذلك من وجهين:

الأول: أن الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأُدْخِلُواْ نَاراً﴾ تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء.

الثاني: أنه قال: ﴿فَأُدْخِلُواْ﴾ على سبيل الإخبار عن الماضي. وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك»[٢] ا.هـ.

● قال القرطبي في «تفسيره»: ﴿فَأُدْخِلُواْ نَاراً﴾ أي: بعد إغراقهم.

قال القشيري: وهذا يدل على عذاب القبر[٣] .

● قال الألوسي في «روح المعاني»:

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، «فتح الباري» (٣/ ٢٣١).

(٢) «مفاتيح الغيب» للرازي (١٥/ ٧٥١).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٦٧٩٠).

«﴿فَأُدْخِلُواْ نَـارًا﴾ هي نار البرزخ والمراد: عذاب القبر. ومن مات في ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير مثلاً أصابه ما يصيب المقبور من العذاب»[(١)] ا.هـ.

● قال الشيخ أبو بكر الجزائري في «أيسر التفاسير»:

« ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ أي: بمجرد ما يغرق الشخص وتخرج روحه يدخل النار في البرزخ»[(٢)].

● **الآية الحادية عشرة:** قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴿٢٨﴾ **فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ [النحل: ٢٨ ـ ٢٩].

● قال العلامة ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٨):

«يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم...

وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾» ا.هـ.

● **الآية الأخيرة:** ﴿ **فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ** ﴿٨٣﴾ **وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ** ﴿٨٤﴾ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ** ﴿٨٥﴾ **فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ**

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٦٧٩٠).

(٢) «أيسر التفاسير» للشيخ الجزائري (٥/ ٤٤٤).

﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ
وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ
أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ
﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٣: ٩٤].

وقد استدل بهذه الآيات الإمام ابن القيم على عذاب القبر في كتابه «الروح» ص(١٠٢ ـ ١٠٣).

* * *

عذاب القبر في السنة المطهرة

● اعلم يا أخي أن الأحاديث الواردة في عذاب القبر متواترة، وهي أخبار ثابتة توجب العلم وتنفي الشك والريب، وإنكار المتواتر كفر.

● ولقد نص على التواتر جمع من أهل العلم منهم:

● شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية: في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٣)، و«الروح» ص(٧٠) يقول ـ رحمه اللَّه ـ في «الروح»: «أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة، متواترة عن النبي ﷺ».

● وابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية.

يقول شارح الطحاوية: «وقد تواترت الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول بل إن الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا»[1].

● والسيوطي في «شرح الصدور» ص(١١٧) قال:

«باب فتنة القبر وسؤال الملكين: قد تواترت الأحاديث بذلك.

● وجزم بتواتر أحاديث عذاب القبر الكتاني في «نظم المتناثر» ص(١١٣، ١١٤).

● قال الشيخ حافظ حكمي:

«وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث في ذلك

(١) «شرح الطحاوية» ص(٤٥٠).

مبلغ التواتر، إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقاده عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، منهم أنس بن مالك وعبد اللَّه بن عباس والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وابنه عبد اللَّه وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت أبي بكر وأبو أيوب الأنصاري وأم خالد وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وسمرة بن جندب وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وجابر بن عبد اللَّه وسعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وأبو بكرة وعبد الرحمن بن سمرة وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص وأبوه عمرو وأبو قتادة وعبد اللَّه بن مسعود وأبو طلحة وأسماء أيضًا وعبد الرحمن بن حسنة وتميم الداري وحُذيفة وأبو موسى والنعمان بن بشير وعوف بن مالك»[1].

وهذه جملة من الأحاديث في إثبات عذاب القبر نلقم بها المبتدعة والزنادقة حجرًا:

(١) حديث أنس رضي الله عنه:

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **العبدُ إذا وضع في قبره وتولّى وذهب أصحابه حتى أَنَّه لَيَسْمَعُ قرعَ نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أَنَّهُ عبد اللَّه ورسوله. فيقال انظر إلى مقعدك من النَّار أبدلك اللَّه به مقعدًا من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعًا. وأَمَّا الكافرُ أو المنافقُ فيقول: لا أدري، كُنْتُ أقول ما يقول الناسُ. فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تليت، ثم يُضربُ بمطرقةٍ من حديد ضربة بين أذنيه فيصيحُ صَيْحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين**»[2] رواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه وزاد فيه:

---

(١) «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٢٢ ـ ٧٢٣) ـ دار ابن القيم.

(٢) البخاري (٣/ ٢٣٢) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.

«قال قتادة: وذكر لنا أَنَّـهُ يفسح له في قبره سبعون ذراعًا ـ يـعني المؤمن ـ ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون»(١). ولهما عنه ﷺ عن النبي ﷺ: «**وأعوذ بك من عذاب القبر**»(٢). ولمسلم عنه ﷺ أن النبي قال: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع**»(٣).

(٢) حديث عبد اللَّه بن عباس ﷺ:

عن ابن عباس ﷺ: «مرّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إنَّهما ليعذَّبان، وما يعـذبان في كبـير**»، ثم قـال: «**بَلَى أَمَّا أحدهـما فكان يسعى بالنَّـميمة، وأما الآخرُ فكان لا يستتر من بوله**»، ثم قال: «أَخَذَ عودًا رطبًا فكسره باثنتين ثم غرز كل واحدٍ منهما عـلى قبر ثم قال: «**لعلّه يخفف عنهـما ما لم ييبسا**» رواه فـي مواضع في صحيحه. ورواه مسلم أيضًا وغيره(٤).

(٣) وعن ابن عباس ﷺ:

أنَّ رسول اللَّه ﷺ: «كـان يعلمهم هذا الـدعاء كما يُعلِّـم السورةَ من القرآن قـولوا: «**اللَّهم إنَّا نعوذ بك من عذاب جـهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»(٥).

---

(١) «مسلم (٤/ ٢٢٠٠/ح ٢٨٧٠) في الجنة وصفة نعيمهـا وأهلها: باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه.

(٢) «البـخاري (١١/ ١٧٦) فـي الدعـوات: باب التـعوذ مـن فتـنة المحيـا والممـات، ومسـلم (٤/ ٢٠٧٩/ح ٢٧٠٦) في الذكر والدعاء: باب التعوذ من العجز والكسل وغيره.

(٣) مسلم (٤/ ٢٢٠٠/ح ٢٢٦٨) في الجنة وصـفة نعيمها وأهلها: باب عرض مـقعد الميت من الجنة والنار عليه.

(٤) البخـاري (١/ ٣١٧) في الوضوء: باب مـن الكبائر أن لا يـستتر مـن بوله وغيره، ومـسلم (١/ ٢٤٠/ح ٢٩٢) في الإيمان: باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

(٥) مسلم (١/ ٤١٣/ح ٥٩٠) في المساجد: باب ما يستعاذ منه في الصلاة. ورواه مالك في =

(٤) حديث البراء بن عازب رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أتيَ ثم شهد أن لا إله إلا اللّه وأنَّ محمداً رسولُ اللّه فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾** [إبراهيم: ٢٧] رواه في مواضع ووافقه عليه مسلم وغيره[(١)].

وروى الإمام أحمد عنه رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول اللّه ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحَدْ، فجلس رسول اللّه ﷺ وجلسنا حوله كأنَّ على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا باللّه من عذاب القبر**» ـ مرتين أو ثلاثًا ـ ثم قال: «**إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاع من الدنيا واقفالٍ إلى الآخرة نزل إليه ملائكة منَ السماء...**» الحديث[(٢)].

وقد سبق ذكره في فصل مستقل.

= «الموطأ» (١/ ٢١٥)، والترمذي (٥/ ٥٢٤/ح ٣٤٩٤) في الدعوات: باب الاستعاذة، والنسائي (٨/ ٢٧٦ و٢٧٧) في الاستعاذة: باب الاستعاذة من فتنة الممات، وابن ماجه (٢/ ١٢٦٢/ ح ٣٨٤٠) في الدعاء: باب ما تعوذ منه رسول اللّه ﷺ، قال ابن الأثير: رواه الجماعة إلا البخاري «جامع الأصول» (٤/ ٣٧٠)، وانظر: «تحفة الأشراف» (٥/ ٢٧/ ح ٥٧٥٠).

(١) البخاري (٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (٤/ ٢٢٠١/ ح ٢٨٧١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النَّار عليه.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧)، وأبو داود (٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠/ ح ٤٧٥٣، ٤٧٥٤) في السنة: باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، والنسائي (١/ ٢٨٢)، وابن ماجه (١/ ٤٩٤/ ح ١٥٤٨) في الجنائز: باب ما جاء في الجلوس في المقابر، والطيالسي (ح ٧٥٣)، والآجري في الشريعة ص(٣٦٧ ـ ٣٧٠)، والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٤٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقرّه الذهبي، وهو كما قالا. والبيهقي في «عذاب القبر» (ح ٢٠).

(٥) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«إن رسول اللَّه ﷺ كان يرينا مصارعَ أهل بدرٍ بالأمس يقول: هذا مصرعُ فلان غداً إنْ شاء اللَّه تعالى. قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحقِّ ما أخطأوا الحدود التي حَدَّ رسول اللَّهِ ﷺ. قال فجعلوا في بئرٍ بعضهم على بعض، وانطلق رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: «**يا فلانَ ابن فلانَ ويا فلانَ ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم اللَّه ورسولُهُ حقًّا؟ فإني وجدتُ ما وعدني اللَّه حقًّا**». قال عمر: يا رسول اللَّه كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: «**ما أنْتُمْ بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليَّ شيئًا**»(١).

(٦) حديث آخر لعمر بن الخطاب:

عن عمر رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان يتعوَّذُ من الجبن والبخل وعذاب القبر وفتنة الصَّدر»(٢).

(٧) حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما:

عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنَّ أحَدكمْ إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيِّ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإنْ كان من أَهْلِ النار فمن أهلِ النَّارِ، فيقال: هذا مقعدك حتى**

---

(١) مسلم (٤/ ٢٢٠٢/ح ٢٨٧٣) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عنه.

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٢)، وأبو داود (٢/ ٩٠/ح ١٥٣٩) في الصلاة: باب الاستعاذة، والنسائي (٨/ ٢٥٥) في الاستعاذة: باب الاستعاذة من فتنة الصدر: باب الاستعاذة من فتنة الدنيا، والاستعاذة من البخل، وابن ماجه (٢/ ١٢٦٣/ح ٣٨٤٤) في الدعاء: باب ما تعوذ منه رسول اللَّه ﷺ، وابن حبان (٦٠٥ ـ ٦٠٦/ح ٢٤٤٥ ـ موارد) وهو حديث حسن.

يبعثُكَ اللَّه يومَ القيامة»[١] .

(٨) وعنه رضي الله عنه قال:

«اطلعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على أهلِ القليبِ فقال: «**وجدتُم ما وعدَكُمْ ربُّكُم حقًّا؟**» فقيل له: تدعو أمواتًا؟ فقال: «**ما أنتُمْ بأسمع منهُمْ ولكن لا يجيبون**»[٢] .

(٩) حديث عائشة رضي الله عنها:

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ يهوديَّةً جَاءَتْ تسألها فقالت لها: أعاذكِ اللَّه من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم أيعذب الناس في قبورهم؟ فقال رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم عائذًا باللَّه من ذلك ـ ثم ذكر حديثَ الكسوفِ بطوله وفيه آخره ـ ثُمَّ أمرهم أن يتعوذُوا من عذاب القبر» ورواه مسلم بنحوه[٣] .

(١٠) وعنها رضي الله عنها:

أنَّ يهوديةً دخلتْ عليها فذكرت عذابَ القبر، فسألت عائشةُ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال: «**عذاب القبر حق**» ـ قالت عائشة: فما رأيتُ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بعدُ صلّى صلاة إلا تعوَّذَ من عذاب القبر» ووافقه عليه مسلم وغيره[٤] .

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٢٤٣) في الجنائز: باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وفي بدء الخلق، وفي الرِّقاق، ومسلم (٤/ ٢١٩٩/ ح ٢٨٦٦) في الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٣٢) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (٢/ ٦٤٣/ ح ٩٣٢) في الجنائز: باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٣) رواه البخاري (٢/ ٥٣٨) في الكسوف، باب: التعوذ من عذاب القبر، ومسلم (١/ ٤١٠/ ح ٥٨٤). وفي المساجد: باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

(٤) رواه البخاري (٣/ ٢٣٢) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (١/ ٤١١/ ح =

(١١) وعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ وعندي امرأة من اليهود وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت فارتاع رسول اللَّه ﷺ وقال: «**إنما تفتن يهود**». قالت عائشة فلبثنا ليالي. ثم قال رسول اللَّه ﷺ : «**هل شعرت أَنَّهُ أوحيَ إليَّ أَنَّكم تفتنون في القبور**». قالت عائشة رضي الله عنها: «فسمعتُ رسول اللَّه ﷺ بعدُ يستعيذ من عذاب القبر»[(١)].

(١٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهودِ المدينة فقالتا: إنَّ أهلَ القبور، يعذَّبون في قبورهم. قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل عليَّ رسولُ اللَّه ﷺ فقلت له: يا رسول اللَّه إنَّ عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهلَ القبور يعذبون في قبورهم، فقال: صدقتا إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم، ثم قالت: فما رأيته بعدُ في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر»[(٢)] .

(١٣) وعنها رضي الله عنها:

أنَّ النبي ﷺ كان يقول: «**اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ من الكسلِ والهرمِ والمأثمِ والمغرم ومن فتنةِ القبرِ وعذاب القبرِ ومن فتنةِ النار وعذابِ النارِ ومن شرِّ فتنةِ الغنى، وأعوذُ بكَ من فتنةِ الفقر وأعوذ بكَ من فتنةِ المسيح الدَّجَّال. اللَّهمَّ اغسل**

= ٥٨٦) في المساجد: باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

(١) رواه مسلم (١/ ٤١٠/ح ٥٨٤) في المساجد: باب استحباب التعوذ من عذاب القبر. وقد تقدم

(٢) مسلم (١/ ٤١١/ح ٥٨٦) في المساجد: باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

عنّي خطاياي بماءِ الثلج والبَردِ، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرق والمغرب»[١] .

(١٤) ولمسلم عنها من حديثها في الكسوف، وفيه قوله ﷺ في خطبته: «**ولقد رأيتُ جهنمَ يحطمُ بعضُها بعضًا حينَ رأيتموني تأخرتُ، ورأيتُ فيها ابن لُحيّ وهو الذي سيب السوائب**»[٢] .

(١٥) حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها:

عن عروة بن الزبير أنهُ سمع أسماءَ بنت أبي بكر رضي الله عنها تقول: «قام رسول اللّه ﷺ خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء، **فلما ذكر ذلك** ضج المسلمون ضجة»[٣] .

(١٦) وعنها رضي الله عنها:

حديث الكسوف بطوله، وفيه: «فلما انصرف رسول اللّه ﷺ حمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: « **ما من شيءٍ كنت لم أرهُ إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار، لقد أوحي إليّ أنكم تفتنون في القبور مثل ـ أو قريبًا ـ من فتنة الدجال** ـ لا أدري أيتهما قالت أسماء ـ **يؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن** ـ أو الموقن، لا أدري أي ذلك قالت أسماء ـ **فيقول: محمد رسول اللّه**

---

(١) رواه البخاري (١١/١٧٦) في الدعوات: باب التعوذ من المأثم والمغرم: وباب الاستعاذة من فتنة الغنى: وباب التعوذ من فتنة الفقر، ومسلم (١/٤١١/ح ٥٨٩) في الذكر والدعاء: باب التعوذ من شر الفتن.

(٢) رواه مسلم (٢/٦٢٢/ح ٩٠٤) في الكسوف: باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٣٢) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر.

ﷺ جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له: نم صالحًا، فقد علمناك كنتَ لموقنًا، وأما المنافق - أو المرتاب، لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته»(١). قوله: «لا أدري أي ذلك إلخ...» التردد فيه من فاطمة بنت المنذر الراوية عن أسماء رضي الله عنها.

(١٧) حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: «خرج النبي ﷺ وقد وَجَبَتِ الشمسُ فسمع صوتًا، فقال: يهودُ تعذب في قبورها»(٢) رواه مسلم.

(١٨) حديث أم خالد رضي الله عنها:

«عن ابنة خالد بن سعيد بن العاص أنَّها سمعت النبي ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر»(٣).

(١٩) حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا خرجت روحُ المؤمن تلقاها ملكان يُصعدانها» قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: «ويقول أهل

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢٨٨ - ٢٨٩) في الوضوء: باب من لم يتوضأ إلا من الغشي المثقل، وفي العلم، وفي الكسوف، وفي السهو، وفي الجمعة، وفي الأذان، وفي العتق، وفي الاعتصام، ومسلم (١/ ٦٢٤/ ح ٩٠٥) في الكسوف: باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف.

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٤١) في الجنائز: باب التعوذ من عذاب القبر، ومسلم (٤/ ٢٠٠/ ح ٢٨٦٩) في صفة الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٤١) في الجنائز: باب التعوذ من عذاب القبر، وفي الدعوات: باب التعوذ من عذاب القبر (١١/ ١٧٤).

السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض، صلَّى اللَّه عليك وعلى جسد كنت تعمرينه: فيـنطلق به إلى ربه عز وجل. ثم يقول: انطـلقوا به إلى آخر الأجل. قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه» قال حماد: وذكـر نتنها وذكر لعنًا: «ويقول أهلُ السمــاء: روح خبيثة جاءت من قبـل الأرض. قال: فيقال انطلـقوا به إلى آخر الأجل، قال أبو هريرة: فرد رسول اللَّه ﷺ ريـطة كانت عليه على أنفه هكذا»[١].

(٢٠) وعنه رضي الله عنه قال:

«كان رسول اللَّـه ﷺ يدعو: «**اللَّهم إني أعوذ بك مـن عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجَّال**»[٢].

(٢١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا قبر الميتُ ـ أو قال أحدكم ـ أتاه ملكان أسودانِ أزرقانِ يـقال لأحدهمـا: المنكـر والآخر النَّكير فيـقولان: ما كـنت تقول فـي هذا الرجل؟ فـيقول ما كـان يقول: هو عـبد اللَّه ورسـوله أشهدُ أن لا إلـه إلا اللَّه وأنَّ محمداً عبـدهُ ورسولُه. فيقولان قد كنا نعـلم أنَّكَ تقول هذا. ثم يفسـح له في قبره سبعونَ ذراعًـا في سبعين ثم يـنور له فيه، ثم يـقال له: نم فيقول: أرجـع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان نمْ كنومَةِ العروس الذي لا يوقظه إلا أحبَّ أهليه إليه حتى يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا**

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٠٢/ح ٢٨٧٢) في الجنة وصفة نعيمها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٢) البخاري (٣/٢٤١) في الجنائز: باب التعوذ من عذاب القبر، ومسلم (١/٤١٢/ح ٥٨٨) في المساجد: باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

أدري. فيقولان: قد كـنَّا نعلم أنَّكَ تقول ذلك. فيـقال للأرض التئمي عليه، فـتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك»[1] .

(٢٢) وعنه رضي الله عنه:

عن النـبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الميت يحضره الملائكـة فإذا كان الرجل الصالح قالـوا: اخرجي أيـتها الـنفسُ الـطيبـة كانت فـي الجسدِ الـطيب، اخـرجي حمـيدة وأبشـري بروحٍ وريحان، وربٍّ غـير غضـبان. قال: فـلا يزال يقال لـها ذلك حـتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال فلان. فيقولونَ مرحبًا بالروحِ الـطيبـةِ كانت في الجـسد الطيـب، ادخلي حـميدة وأبشـري بروح وريحـان ورب غيـر غضـبان ـ قال: فلا يـزال يقال لها ذلك حـتى ينتهي بـها إلى السماء التي فيها اللَّه عز وجل. وإذا كان الـرجلُ السُّوءُ والعياذ باللَّه قالوا: اخرجي أيتهـا النفسُ الخبيثة كـانت في الجسـد الخبيث، اخـرجي ذميمـة وأبشري بجـحيم وغَساقٍ وآخر مـن شكله أزواج. فلا يزالُ يقال لـها ذلك حتى تخرج ثم يـعرج بها السمـاءِ فيستفتـحِ لها فيقـال من هذا فيقـال هذا فلانُ فيقولـون: لا مرحبًا بالـنفس الخبيثـة كانت في الجسد الخبيـث، ارجعي ذميمـةً فإنه لا تفتح لك أبـوابُ السماء، فيرسلُ من السماءِ ثم يصير إلى القبر»[2] .

---

(١) رواه الترمذي (٣/ ٣٨٣/ح ١٠٧١) في الجنائز: باب ما جاء من عذاب القبر. وقال: حديث حسـن غريب، وابـن أبي عاصم فـي «السنـة» (٢/ ٤٠٢/ح ٨٦٤)، والآجري ص(٣٦٥)، وابن حبان ص(١٩٧/ ح ٧٨٠ ـ موارد) وهو حديث حسـن. وقال الألباني: إسناده حسن، وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٦٤) ورواه ابن ماجه من حديث أبي بكر بـن أبي شيبة عن شبابة عن ابن أبي ذئب (٢/ ١٤٢٦/ ح ٤٢٦٨) في الزهد: باب ذكر القبر والبلى وإسناده صحيح. وأخرجه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص(٤٩) وقال: صحيح ا.هـ.

(٢٣) وعنه ﷺ:

عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنَّ المؤمنَ إذا قُبضَ أتته ملائكةُ الرحمة بحريرةٍ بيضاءَ فيقولون: اخرجي إلى روح اللَّه، فتخرج كأطيب ريح مسكٍ، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضًا يشمونه حتى يأتوا به باب السماءِ فيقال: ما هذه الريح الطيبة التي جاءَت من قبل الأرض؟ ولا يأتون السماء إلا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواحَ المؤمنين فلهم أشد فرحًا به من أهل الغائب بغائبهم. فيقولون: ما فَعَلَ فلان؟ فيقولون: دعوهُ حتى يستريح فإنه كان في غمٍّ فيقول: قد مات أما أتاكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية. وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي إلى غضب اللَّه تعالى فتخرج كأنتنِ ريح جيفة فيذهب به إلى باب الأرض**» زاد في رواية: «**وأما الكافر إذا قبضت نفسه وذهب بها إلى باب الأرض تقول خزنة الأرض ما وجدنا ريحًا أنتن من هذه فيبلغ الأرض السفلى**»(١) .

(٢٤) وعن أبي هريرة ﷺ:

قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: «**ذلك إذا قيل له في القبر: من ربكَ، وما دينُكَ، ومَنْ نبيُّكَ؟ فيقول: ربي اللَّهُ، وديني الإسلامُ، ونبيي محمد ﷺ جاءنا بالبينات من عند اللَّه فآمنت به وصدقت. فيقال له: صدقت، على هذا عشتَ وعليه مت وعليه تبعث**»(٢) .

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٩٨)، والحاكم (١/ ٣٥٣)، وقال: هذه الأسانيد كلها صحيحة ووافقه الذهبي. وقال الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢٩٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٢٨٣)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٢١٥)، وابن مردويه «الدر المنثور» (٥/ ٣٢) وسنده حسن . وقال الشيخ محمود شاكر: هذا خبر صحيح الإسناد.

(٢٥) وعنه رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، إن الميت ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه مدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل فيؤتى عن يساره فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، فيؤتى من رجليه فيقول فعل الخيرات: ما قبل مدخل، فيقال له: اجلس، فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال: أخبرنا عما نسألك، فيقول: دعني حتى أصلي، فيقال له: إنَّكَ ستفعَل فأخبرنا عما نسألك، فيقول: وعَمَّ تسألوني؟ فيقال: أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه، وما تشهد به عليه؟ فيقول: أمحمدٌ؟ فيقال له: نعم. فيقول: أشهدُ أنَّهُ رسول اللَّه وأنَّهُ جاءنا بالبينات من عند اللَّه فصدقناه، فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعليه تبعثُ إن شاء اللَّه تعالى. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا وينور له ويفتح له باب إلى الجنة فيقال له: انظر إلى ما أعدَّ اللَّهُ لك فيها، فيزداد غِبطةً وسروراً، ثم تُجعل نسمتُهُ في النسم الطيب، وهي طيرٌ خضر يعلق بشجر الجنة، ويعاد الجسد إلى ما بدأ من التراب، وذلك قول اللَّه عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ورواه ابن حبان وذكر جواب الكافر وعذابه[١] .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٨٤)، وهناد في «الزهد» (ح ٣٣٨)، وابن جرير (١٣/ ٢١٥ - ٢١٦)، وابن حبان ص(١٩٧ - ١٩٨/ح ٧٨١ - موارد)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣٠١ - ٣٠٢/ح ٢٦٥١)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص(٦١ - ٦٢/ح ٦٧)، وفي «الاعتقاد» (ح/ ١٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٩)، وابن المنذر، وابن مردويه «الدر المنثور» (٥/ ٣١) وهو حديث حسن وقد صححه الحاكم، وأقره الذهبي، وهو كذلك لشواهد.

(٢٦) وعنه:

عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه قال: «إنّ المؤمن يُنزل به الموت ويعاين ما يعاين فيودُّ لو خرجت - يعني نفسه - واللَّهُ يُحبُّ لقاءَهُ. وإنَّ المؤمنَ يصعدُ بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض، فإذا قال: تركت فلانًا في الأرض أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فلانًا قد مات، قالوا: ما جيء به إلينا. وإن المؤمن يجلس في قبره فيُسأل من ربك؟ فيقول: ربي اللَّه عز وجل. ويسأل من نبيك؟ فيقول: محمد ﷺ نبيي، فيقال: ماذا دينك؟ قال ديني الإسلام. فيفتح له باب في قبره فيقول أو يقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة. وإذا كان عدوًا للَّه نزل به الموت وعاين ما عاين فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبدًا واللَّه يبغض لقاءه، فإذا جلس في قبره أو أجلس فيقال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري، فيقال: لا دريت؛ فيفتح له باب إلى جهنم ثم يضرب ضربة تسمعها كل دابة إلا الثقلين، ثم يقال له: نم كما ينام المنهوش» قلت لأبي هريرة: ما المنهوش؟ قال: الذي تنهشه الدواب والحيَّات، ثم يضيق عليه قبره، ثم قال: لا نعلم رواه إلا الوليد ابن مسلم، وفي بعض النسخ ابن قاسم[١].

(٢٧) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

عن أبي سعيد عن النبي ﷺ: **«أنه ذكر رجلاً فيمن سلف وفيمن كان**

---

(١) رواه البزار (١/ ٤١٤/ ح ٨٧٤) «كشف الأستار» قال الهيثمي: ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي فإني لم أعرفه «المجمع» (٣/ ٥٦) قلت: لئن لم يعرفه هو فقد عرفه غيره، ومن عرف حجة على من لم يعرف فقد ذكره الخطيب، وقال: كان ثقة «تاريخ بغداد» (٩/ ٩٣). وليس من رواته الوليد بن مسلم بل هو ابن قاسم كما هو في «كشف الأستار» وكذلك ابن كثير (٢/ ٥٥٣).

قبلكم قال كلمة - يعني أعطاهُ اللَّه مالاً وولدًا - **فلما حضرتْهُ الوفاة قال لبنيه: أيُّ أب كنتُ لكم؟ قالوا خير أب. قال: فإنه لم يبتئر عند اللَّه خيرًا وإن يقدر اللَّه عليه يعذِّبه فانظروا إذا متُّ فأحرقوني حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني** - أو قال: فاسحكوني - **فإذا كان يوم ريح عاصف فاذروني فيها**» . فقال نبيُّ اللَّه ﷺ : «**فأخذ مواثيقهم على ذلك وربِّي. ففعلوا ثم أذروه في يومٍ عاصف، فقال اللَّه عز وجل: كن، فإذا هو رجل قائم، قال اللَّه: أي عبدي ما حملكَ على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك، أو فرق منك. قال: فما تلافاه أن رحمه عندها**» وقال مرة أخرى: «**فما تلافاه**» فحدثت به أبا عثمان فقال: سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه: «**اذروني في البحر**»[(١)] أو كما حدَّث - وفي رواية له عن أبي سعيد قال: «**ففعلوا فجمعه اللَّه عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك. فتلقاه برحمة**»[(٢)] .

(٢٨) وعنه رضي الله عنه:

قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا وُضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإنْ كانت صالحة قالت: قَدِّموني قدِّموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أَين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق**»[(٣)] .

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥١٤ - ٥١٥) في الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي التوحيد، ومسلم (٤/ ٢١٠٩/ح ٢٧٥٦) في التوبة: باب في سعة رحمة اللَّه تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٥١٤) في الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والرقاق: باب الخوف من اللَّه وفي التوحيد، ومسلم(٤/ ٢١١١/ح ٢٧٥٧) في التوبة: باب في سعة رحمه اللَّه تعالى.

(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٤٤) في الجنائز: باب كلام الميت على الجنازة وفي (٣/ ١٨١) في الجنائز: باب حمل الرجال الجنازة دون النساء، وباب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني.

(٢٩) وعنه رضي الله عنه:

عن أبـي سعيد رضي الله عنه قـال: «شهدنـا مع رسول الـلّه صلى الله عليه وسلم جنازة فـقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «**يا أيُّها الناس، إنَّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن وتفرَّق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق من حديد فأقعده فقال: ما تقول في هـذا الرجل؟ فإن كـان مؤمنًـا قال: أشهـدُ أن لا إله إلا اللّه وأن مـحمدًا عـبدُهُ ورسولُهُ، فيقول له: صدقتَ. ثم يفتح له بـاب إلى النار فيقول: كان هذا منزلك لو كفرت بربك، فأمَّا إذ آمنـتَ فهذا منزلك، فيفتح له بابًا إلى الجـنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن، ويفسح له في قبره. وإن كان كافرًا أو منافقًا يقول له: ما تقول في هذا الرجـل؟ فيقول: لا أدري سمعتُ الناسَ يقولون شـيئًا، فيقول: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت. ثم يفتح له بابًا إلى الجنة فيقول: هذا منزلك لو كُنتَ آمنتَ بربكَ، فـأمَّا إذ كفرت به فإنَّ اللّه عز وجـل أبدلك به هذا، فيفتـح له بابًا إلى النار، ثم يقمعه قمعة بالمطراق فيصيح صيحةً يسمعها خلق اللّه عز وجل كُلُّهم غير الـثقـلـين**». فقال بعض القـوم: يا رسول اللّه ما أحَدٌ يقوم علـيه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلـك، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾(١) .

(٣٠) حديث عثمان رضي الله عنه:

عن عثمان رضي الله عنه قال: «كان النـبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل وقفَ

---

(١) رواه أحمد (٣/٣و ٢٣٣ و٣٤٦)، وابن أبـي الدنيا في «ذكر الموت»، وابن أبـي عاصم في «السـنة» (٢/٣٠٤/ح ٨٦٥)، والـبزار «كشـف الأستـار» (١/٤١٢/ح ٨٧٢)، وابن جـرير (٨/ ٢١٤)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص(٤٣) (ح/ ٣٢٠)، وهو صحيح لشواهده. رجاله رجال الصحيح غير عباد بن راشد روى له البخاري مقرونًا على ضعف فيه، وسنده لا بأس به كما قال ابن كثير.

عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنَّهُ الآن يُسألُ**»[١] قال ابن حجر: صححه الحاكم.

(٣١) حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه:

قال أبو سعيد ولم أشهده من النبي ﷺ في حائطٍ لبني النجَّارِ على بغلةٍ له ونحنُ معهُ إذ حادت به فكادَت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ـ قال كذا كان يقول الجريري ـ فقال: «**مَنْ يعرفَ أصحابَ هذه الأقبر؟**» فقال رجلٌ: أنا. قال: «**فمتى ماتَ هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراكِ. فقال: «**إنَّ هذه الأمَّةُ تُبتلى في قبورِها، فلولا أن لا تدافنوا ندعوتُ اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا باللَّه من عذابِ النار**». قالوا: نعوذُ باللَّه من عذابِ النار. فقال: «**تعوذُوا باللَّه من عذاب القبر**». قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب القبر. قال: «**تعوذُوا باللَّه منَ الفتنِ ما ظهر منها وما بطن**». قالوا: «نعوذُ باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: «**تعوذُوا باللَّهِ من فتنة الدجَّال**». قالوا: نعوذ باللَّه من فتنة الدجال»[٢].

***

(١) رواه أبو داود (٣/ ٢١٥/ ح ٣٢٢١) في الجنائز: باب الاستغفار عند القبر للميت. والحاكم (١/ ٣٧٠)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا وأخرجه البيهقي (٤/ ٥٦) وفي «إثبات عذاب القبر» ص(١٢٤) (ح ٢١١و ٢١٢).
وانظر: «تلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ١٣٥) وقال النووي: إسناده جيد «المجموع» (٥/ ٢٩٢). وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(١٥٦).

(٢) رواه مسلم (ح ٢٨٦٧) في الجنة وصفة نعيمها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وأحمد (٥/ ١٩٠).

(٣٢) حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما:

قال أبو الزبير أنهُ سأل جابر بن عبد اللَّـه عن فتاني القبر فـقال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقولُ: «**إنَّ هذه الأمَّةُ تبتلى في قبـورها، فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عـنه أصحابـه جاء ملكٌ شـديدٌ الانتهار فـيقول له: مـا كنتَ تقـولُ في هذا الرجل؟ فأمَّا المؤمنُ فيقول: إنَّه رسولُ اللَّه وعبدُهُ. فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كـان لك في النـار قد أنجاك اللَّـه منه، وأبـدلك بمقعـدك الذي ترى من الـنارِ مقعدك الذي تـرى من الجنة. فيراهما كليـهما. فيقولُ المؤمنُ. دعونـي أبشرُ أهلي. فيقال له: اسكن. وأمَّا المـنافقُ فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقـال له: ما كنتَ تقولُ في هذا الـرجل؟ فيقـول: لا أدري، أقول كما يـقول الناس. فـيقال له: لا دَرَيـتَ، هذا مقعدك الذي كانَ لك في الجنة أبدلك مكانه مقعدك من النار**. قال جابرٌ: فسمعتُ النبي ﷺ يقول: «**يُبعث كلُّ عبدٍ في القبر على ما مات عليه، المؤمنُ على إيمانه، والمنافقُ على نفاقِه**»(١) .

(٣٣) ولمسلم عنه من حديث الكسوف وفيه: «**وَعُرِضَتْ عليّ النارُ، فرأيتُ فيها امرأةً من بني إسرائـي تعذب في هرةٍ لها ربطتهـا فلم تطعمها ولم تدعـها تأكلُ من خَشَاشِ الأرضِ، ورأيتُ أبا ثمـامة عمرو بن مالك يجرُّ قصـبه في النار** ـ وفـي رواية ـ **لقد جيء بالنارِ وذلك حين رأيتموني تأخَّرْتُ مخافةَ أن يصيبني من لَفْحها.**

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٤٦)، والـبيهقي فـي «إثبات عذاب الـقبر» ص(١٢٦ ـ ١٢٧) (ح ٢١٦)، وأخرجه ابن أبـي الدنيا، والطبراني فـي «الأوسط» «الدر المنثور» (٥/ ٣٤)، وأخرجـه مسلم الجزء الأخيـر قوله: «يبعـث كل عبد على مـا مات عليه» (٤/ ٢٢٠٦/ح ٢٨٨٧) فـي الجنة وصفـة نعيمـها وأهلـها: باب الأمر بـحسن الـظن باللَّـه. وقال الألبـاني في «ظلال الجـنة» ص(٤٠٤)، وهذا إسناد جيد في الشواهد والمتابعات وجملة «يبعث كـل عبد على ما مات عليه» قد أخرجها مسلم (٨/ ١٦٥).

وحتَّى رأيتُ فيها صاحبَ المحجنِ يجُرُّ قصبه في النار، كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فُطِنَ له قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غُفل عنه ذهب به. وحتى رأيتُ فيها صاحِبَةَ الهِرَّةِ التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكلُ من خشاش الأرضِ حتى ماتت جوعًا...»[1] الحديث.

(٣٤) حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

عن سعد رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا هؤلاء الكلمات كما تعلم الكتابة: «اللَّهم إني أعوذُ بكَ من البُخلِ، وأعوذُ بكَ من الجُبنَ، وأعوذُ بك من أن أُردَّ إلى أَرذَلِ العُمُرِ، وأعوذُ بك من فتنةِ الدنيا وعذاب القبر»[2] .

(٣٥) حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه:

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «لا أقولُ لكم إلا كما كان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول، كان يقول: «اللَّهم إني أعوذُ بك من العجزِ والكسلِ، والجُبن والبخل والهَرم، وعذابِ القبرِ. اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللَّهم إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجابُ لها»[3] رواه النسائي.

---

(١) رواه مسلم (١/ ٦٢٤/ح ٩١٥) في الكسوف: باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف، وقد تقدم بعضه، وأبو داود، والنسائي، والبيهقي.

(٢) رواه البخاري (١١/ ١٧٩) في الدعوات: باب الاستعاذة من أرذل العمر: وباب التعوذ من البخل، وباب التعوذ من عذاب القبر، وباب التعوذ من فتنة الدنيا، وفي الجهاد: باب ما يتعوذ به من الجبن. والنسائي، وأحمد في «مسنده»، وابن حبان، وابن خزيمة في «صحيحه»، وابن أبي شيبة.

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠٨٨/ح ٢٧٢٢) في الذكر: باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، والنسائي (٨/ ٢٦٠) في الاستعاذة: باب الاستعاذة من العجز، وأحمد في «مسنده»، وابن أبي شيبة، والبغوي، والبيهقي.

(٣٦) حديث أبي بكرة رضي الله عنه:

عن النبي ﷺ أَنَّهُ كان يـقول في أثر الصلاة: «**اللَّـهم إني أعوذُ بـك من الكُفرِ، وعذابِ القبر**»(١) .

(٣٧) حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

عن عـبد اللَّه بـن عمرو رضي الله عنهما قـال: سمعـت رسول اللَّه ﷺ يـقول: «**اللَّهم إني أعوذُ بـك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم، وأعوذ بـك من شر المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من عذابِ القبر وأعوذ بك من عذاب النار**»(٢) .

(٣٨) حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه:

رواه مسلم في قصة وفاته مطولاً، وفيه: «**فإذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحةٌ، ولا نارٌ، فإذا دفنتموني فشنُّوا عليَّ التراب شنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور ويـقسم لحـمها، حـتى أستأنـس بكم، وأَنْـظُر ماذا أراجـع به رُسُلَ ربـي عز وجل**»(٣) .

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٦ و ٣٩)، والنسـائي(٨/ ٢٦٢) في الاستعاذة، باب الاستعـاذة من الفقر، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، في« اليوم والليلة» ص(١٤٦/ ح٢٢)، وابن حبان (٢/ ١٨٣ الإحسان) وابـن السني في «الـيوم واللـيلـة» ص(٢٤ ـ ٢٥/ ح٦٩)، والحاكم في «المـستدرك» (١/ ٢٥٢) ، وقال: هذا حديث صحـيح على شرط مسلم، ووافقه الـذهبي. وهو حديث حسن، وابـن خزيمة، والبيـهقي في «إثبات عـذاب القبر» وابن أبـي عاصم في السـنة وقال الألبانـي: إسناده صحـيح على شرط مـسلم، وأخرجه ابـن حبان (٣/ ٣٠٣) وقال شـعيب الأرناؤط: إسناده قوي.

(٢) رواه أحمـد (٢/ ١٨٥ و ١٨٦)، والنسائـي (٨/ ٢٦٩) في الاستعـاذة، باب الاستعـاذة من الهـرم، والبـيهـقي في «إثبات عـذاب القـبر» ص(١٦٦) وإسنـاده حسـن وشواهـده في «الصحيحين» عن عائشة وأنس رضي الله عنهما

(٣) رواه مسلم في «الإيمان» باب كون الإسلام يهدم ما قبله.

(٣٩) حديث أم مبشر رضي الله عنها:

عن أم مبشر رضي الله عنها قالت: « دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم قد ماتوا في الجاهلية، قالت: فخرج فسمعته يقول: « **استعيذوا بالله من عذاب القبر** » قلت: يا رسول الله وللقبر عذاب؟ قال: «**إنهم ليعذَّبون عذابًا في قبورهم تسمعه البهائم**»[1] .

(٤٠) حديث أبي قتادة رضي الله عنه:

عن أبي قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية قال: إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له: من ربك؟ فيقول: اللَّه عز وجل. فيقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد بن عبد اللَّه صلى الله عليه وسلم . فيقال له ذلك مرات، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك من النار لو زغت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له: انظر إلى منزلك من الجنة إذ ثبتَّ. وإذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له: من ربك، ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون، فيقال له: لا دريت. ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال: انظر إلى مجلسك من الجنة لو ثبت. ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك إذا زغت. فذلك قوله تعالى﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ [إبراهيم: ٢٧][2] .

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٦٢)، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح المجمع(٣/ ٥٩)، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم «ابن كثير» (٢/ ٥٥٤)، وابن منده والطبراني في «الأوسط» «الدر المنثور» (٥/ ٣٠). وإبراهيم بن يوسف هو بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي، وأبو إسحاق هو السبيعي. وعامر قال عنه الحافظ: مقبول. قلت: وثقه ابن حبان، وروى عنه عدة =

(٤١) حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه:

عن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: كان نبيُّ اللَّه ﷺ إذا أمسى قال: «**أمسينا وأمسى الملكُ للَّه، والحمدُ للَّه إله إلا اللَّه وحده لا شريك له**»، قال: أراه قال: فيهن: «**له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير. رب أسألك خيرَ ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، ربِّ أعوذ بك من عذاب في النار وعذابٍ في القبور**»، وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: «**أصبحنا وأصبح الملك للَّه**»(١). حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن الحسن بن عبيد اللَّه إلخ بنحوه، وفيه: «**اللَّهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوءِ الكبر وفتنةِ الدنيا وعذاب القبر**»(٢).

(٤٢) حديث أبي طلحة الأنصاري:

قال قتادة أخبرنا أنس بن مالك، عن طلحة: «أن نبيَّ اللَّه ﷺ أمر يوم بدرٍ بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقُذِفوا في طوى من أطواء بدرٍ خبيثٍ مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ. فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته، فشُدَّ عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجة، حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يا فلان ابن فلان، يا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم**

= وأخرج له مسلم في «صحيحه» فحديثه حسن إن شاء اللَّه تعالى.

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٨٨/ح ٢٧٢٣) في الذكر والدعاء: باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٨٩/ح ٢٧٢٣) في الذكر والدعاء: باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

أطعتم اللَّه ورسولهُ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟» قال: فقال عمر: يا رسول اللَّه ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال رسول اللَّه ﷺ: **«والذي نفس محمدٍ بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»**[١]. قال قتادة: أحياهم اللَّه تعالى حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا.

(٤٣) حديث عبد الرحمن بن حسنة رضي الله عنه:

عن عبد الرحمن بن حسنة رضي الله عنه: «انطلقتُ أنا وعمرو بن العاص إلى النبي ﷺ، فخرج ومع درقة ثم استتر بها ثم بال، فقلنا انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمع ذلك فقال: **«ألم تعلموا ما لقي صاحب بني إسرائيل، كانوا إذا أصابهم البولُ قطعوا ما أصابه البول منهم فنهاهم فعذب في قبره»**، ورواه النسائي، وابن ماجه[٢].

(٤٤) حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

قال: سمعته يقول: إن رجلاً حضره الموت لَمَّا يئس من الحياة أوصى أهله إذا متُّ فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا، ثم أوروا نارًا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) في المغازي: باب قتل أبي جهل، ومسلم (٤/ ٢٢٠٤/ ح ٢٨٧٥) في الجنة وصفة نعيمها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وأحمد، وابن حبان في «صحيحه».

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٩٦)، وأبو داود (١/ ٦/ ح ٢٢) في الطهارة: باب الاستبراء من البول، والنسائي (١/ ٢٦ ـ ٢٨) في الطهارة: باب البول إلى السترة يستتر بها، وابن ماجه (١/ ١٢٤/ ح ٣٤٦) فيه: باب التشديد في البول. وعبد الواحد بن زياد في حديثه عن الأعمش مقال: وتابعه عند أحمد، وابن ماجه، والنسائي أبو معاوية فسنده صحيح جدًا، ورواه البيهقي، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٧٥)، (١/ ١٢٢)، والحاكم (١/ ١٨٤) وصححه، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٣٩٧) ـ(ح ٣١٢٧) في الإحسان، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

إلى عظمي فخذوهــا فاطحنوها فذروني في اليم في يــومٍ حار أو راح، فجمعه اللَّه فقال: لــم فعلت؟ قال: خشيتك. فغــفر له». قال عقبة وأنا سمــعته يقول: حدثنا موسى، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عبد الملك، وقال: «في يوم راح»(١).

(٤٥) حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

عن أبي موسى رضي الله عنه أن الــنبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الميتُ يعذبُ بـبكاء الحي، إذا قالت النـائحةُ: وا عضداه، وا ناصراه، وا كاسـباه، جُبِذَ الميت وقيل أنـت عضدها، أنت ناصرها، أنـت كاسبها؟**». ولفظ الترمذي: «**ما من ميت يموت فـيقوم باكيه فيـقول: وا جـبلاه وا سـنداه أو نـحو ذلـك إلا وُكِّلَ بـه ملـكان يـلهـزانه: أهـكذا كنت؟**»(٢).

(٤٦) حديث عوف بن مالك رضي الله عنه:

عن عــوف بن مالك رضي الله عنه قــال: «صلّى رسول الــلَّه صلى الله عليه وسلم على جـنازةٍ فحفظت من دعــائه وهو يقول: «**اللَّهم اغفر له وارحمـه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماءِ والثلج والـبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوبَ الأبيض من الدنسِ، وأبدِلهُ داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجًا خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عـذاب القبر ومن عذاب النار**» قال: حتى تمـنيت أن أكون ذلك الميت. وفي رواية: «**وقه فتنة القبر وعذاب النار**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٣١٢ ـ ٣١٣) في الرقاق: باب الخوف من اللَّه.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٤١٤)، والترمذي (٣/ ٣٢٦/ح ١٠٠٣) في الجنائز: باب ما جاء في كراهية البكاء على الميت، وابن ماجه (١/ ٥٠٨/ح ١٥٩٤) فيه: باب ما جاء في الميت يعذب بما نيح عليه والحاكم (٢/ ٤٧١) وصـححه. وسنده حسن فيه. موسى بن أبـي موسى الأشعري قال عنه الحافظ مقبول. وللحديث شواهد قد تقدم بعضها.

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٢/ح ٩٦٣) في الجنائز: باب الدعـاء للميت في الصلاة، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد في «مسنده»، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر».

(٤٧) ونختم بحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه وهو نص في عذاب البرزخ:

في «صحيح البخاري» عن سمرة بن جندب قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: **«من رأى منكم الليلة رؤيا؟»** قال: فإن رأى أحد رؤيا قصها فيقول: **«ما شاء الله»**. فسألنا يومًا فقال: **«هل رأى أحد منكم رؤيا؟»** قلنا: لا، قال: **«لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي وأخرجاني إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعله بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر فيشدخ بها رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دار لم أر قط أحسن منها، فيها شيوخ وشبان ثم صعدا بي فأدخلاني دارًا هي أحسن**

وأفضل، قلت: طـوفتماني الليلة فأخـبراني عما رأيت، قالا: نعم الـذي رأيته يشق شدقه كـذاب يحدث بالـكذب فتحمـل عنه حتـى تبلغ الآفاق فـيصنع بـه إلى يوم القيامة. والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه اللَّه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار، يفعل به إلى يوم القيـامة. وأما الذي رأيت في النقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر فآكـل الربا، وأما الشيخ الذي في أصل الشجرة فإبـراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار فـمالك خازن النار، والدار الأولى دار عامة المؤمـنين، وأما هـذه الدار فدار الشـهداء، وأنا جـبريل وهـذا ميكائـيل فرفـع رأسه فرفعت رأسي فإذا قصر مثل السحابة قالا: ذلك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك»(١) .

● قال الإمام ابن القيم:

«وهذا نص في عذاب الـبرزخ فإن رؤيا الأنبياء وحي مطابـق لما في نفس الأمر»(٢) .

عذاب القبر هو عذاب البرزخ

● قال في «شرح الطحاوية»:

اعلم أن عـذاب القبر هو عـذاب البرزخ، فكـل من مات وهو مسـتحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا ونسف في الهـواء، أو صلب أو غرق في البحر ـ وصل إلـى روحه وبدنه من

(١) رواه البخاري في «صحيحـه» كتاب التعبير: باب تعبير الرؤيا بعـد صلاة الصبح، وفي صفة الصلاة، وفـي التهجـد، وفي الجنائز، وفـي البيوع، وفي الجـهاد، وفي بدء الخـلق، وفي الأنبياء. ورواه مسلم، وأحمد [طرفًا يسيرًا من أوله].

(٢) «الروح» لابن القيم ص(٧٨ ـ ٧٩).

العذاب ما يصل إلى المقبور[١] .

وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك ـ فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا اللَّه. بل سوء الفهم عن اللَّه ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد[٢] . واللَّه المستعان.

فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وقد جعل اللَّه لكل دار أحكامًا تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم ـ صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعًا.

فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم[٣] .

● **قال الإمام ابن القيم:**

إنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه

---

(١) «الروح» ص(١٠٦).

(٢) «الروح» ص(١١٣).

(٣) «الروح» ص(١١٤، ١١٥).

وهو ما بين الدنيا والآخرة، وقال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، وسمي عذاب القبر ونعيمه، وأنه روضة أو حفرة نار، باعتبار غالب الخلق. فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رمادًا، وذري بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك. فأمر اللّه البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم فإذا هو قائم بين يدي اللّه، فسأله ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك يا رب وأنت أعلم، فما تلافاه أن رحمه، فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال، حتى لو علق الميت على رءوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه، ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه، فيجعل اللّه النار على هذا بردًا وسلامًا، والهواء على ذلك نارًا وسمومًا، فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء، ولا يستعصي عليه منها شيء أراده، بل هي طوع مشيته مذللة منقادة لقدرته، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته[1].

• عذاب القبر أول عذاب الآخرة:

قال الإمام ابن القيم:

«عذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها وهو مشتق منه

---

(١) «الروح» ص(٩٨ ـ ٩٩).

وواصل إلى أهل البرزخ هناك، كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة في غير موضع دلالة صريحة كقوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**فيفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها، وفي الفاجر فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها**».

ومعلوم قطعًا أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب، كما تأخذ الروح حظها. فإذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب إلى مقعده الذي هو داخله، وهذان البابان يصل منهما إلى العبد في هذه الدار أثر خفي محجوب بالشواغل والغواشي الحسية والعوارض، ولكن يحس به كثير من الناس وإن لم يعرف سببه ولا يحسن التعبير عنه، فوجود الشيء غير الإحساس به والتعبير عنه. فإذا مات كان وصول ذلك الأثر إليه من ذينك البابين أكمل، فإذا بعث كمل وصول ذلك الأثر إليه فحكمة الرب تعالى منتظمة لذلك أكمل انتظام في الدور الثلاث»[1] .

• عذاب القبر للروح والبدن معًا:

قال شارح الطحاوية ص(٤٥١):

«عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصله به.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة. تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما تكون

---

(١) «الروح» ص(١٠٠ ـ ١٠١).

الروح منفردة عن البدن، وهل يكون العـذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام»(١) .

وقال ابن القيم في «الروح»:

فإذا عرفت هذه الأقوال الباطلة فلتـعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عـذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبـقى بعد مفـارقة البدن منـعمة أو معـذبة، وأنها تتـصل بالبدن أحـيانًا ويحصـل له معها الـنعيم أو العـذاب، ثم إذا كان يوم القـيامة الكبـرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقامـوا من قبورهم لرب العالمين. ومعـاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى(٢) .

• تنوع عذاب القبر:

يتنوّع العذاب في القبر فمنهـم من يُضرب بمطراق من حديد، ومنهم من يجلس كـهيئة المنهوش، ومنـهم من يُضيق عليـه القبر حتى تختـلف أضلاعه، ومن يُفرش له من النار، ومن يُمثل له عمله الخبيث على هيئة رجل قبيح الوجه والثـياب منتن الـريح يجلـس معه فـي قبره، وقد صـحّ هذا عن رسول الـلَّه ﷺ .

أسباب عذاب القبر

• قال القرطبي في «التذكرة» (١٤٦):

«قال أبو محمد عبد الحق: اعلم أن عذاب القـبر ليس مختصًا بالكافرين، ولا موقوفًا على المنافقين، بل يشاركهم فـيه طائفة من المؤمنين، وكل على حاله

(١) «الروح» ص(٦٧ ـ ٦٨) نقلاً عن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) «الروح» ص(٦٩).

من عمله، وما استوجبه من خطيئته وزلله»، والأدلة على أن المؤمن قد يعذب في قبره بسبب ذنوبه كثيرة».

● **قال الإمام ابن القيم:**

«ما الأسباب التي تعذب بها أصحاب القبور؟ فجوابها من وجهين: **مجمل ومفصّل:**

أما المُجْمَل: فإنهم يعذبون على جهلهم باللَّه وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب اللَّه روحًا عرفته وأحبته وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدنًا كانت فيه أبدًا فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب اللَّه وسخطه على عبده. فمن أغضب اللَّه وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب اللَّه وسخطه عليه. فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب.

وأما الجواب المفصل: فقد أخبر النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبورهما يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراء من البول، فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه، وإن كان صادقًا. وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابًا، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهًا على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشد عذابًا.

وفي حديث شعبة: أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس. فهذا مغتاب وذلك نمام. وحديث ابن مسعود ﵁: في الذي ضرب سوطًا امتلأت القبر عليه به نارًا لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور، ومر على مظلوم فلم ينصره. وحديث سمرة في «صحيح البخاري»: في تعذيب من يكذب الكذبة

فتبلغ الآفاق. وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به بالنهار. وتعذيب الزناة والزواني. وتعذيب آكل الربا كما شاهدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في البرزخ. وحديث أبي هريرة ﷺ الذي فيه: «**رضخ رءوس أقوام بالصخر لتثاقل رءوسهم عن الصلاة، والذين يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكاة أموالهم. والذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم. والذين تقرض شفاههم بمقاريض من حديد لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب**»، وتقدم حديث أبي سعيد وعقوبة أرباب تلك الجرائم: «**فمنهم من بطونهم أمثال البيوت وهم على سابلة آل فرعون وهم أكلة الربا. ومنهم: من تفتح أفواههم فيلقمون الجمر حتى يخرج من أسافلهم، وهم أكلة أموال اليتامى. ومنهم: المعلقات بثديهن وهن الزواني. ومنهم: من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم وهم المغتابون. ومنهم: من لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم وهم الذين يغمزون أعراض الناس. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن صاحب الشملة التي غلها من المغنم أنها تشتعل عليه ناراً في قبره. هذا وله فيها حق فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق له فيه؟**».

• فعذاب القبر من معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله[1]:

• فالنمام والكذّاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والموضع في الفتنة.

• والداعي إلى البدعة.

• والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به والمجازف في كلامه.

---

(١) تتمة كلام الإمام ابن القيم.

- وآكل الربا.
- وآكل أموال اليتامى ظلمًا.
- وآكل السحت من الرشوة والبرطيل[١] ونحوهما.
- وآكل مال أخيه المسلم حق أو مال المعاهد.
- وشارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة[٢].
- والزاني واللوطي.
- والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر.
- وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه.
- والمحلل والمحلل له.
- والمحتال على إسقاط فرائض اللَّه وارتكاب محارمه.
- ومؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم.
- والحاكم بغير ما أنزل اللَّه.
- والمفتي بخلاف ما شرعه اللَّه.
- والمعين على الإثم والعدوان.
- وقاتل النفس التي حرّم اللَّه.
- والملحد في حرم اللَّه.
- والمعطل لحقائق أسماء اللَّه وصفاته الملحد فيها.
- والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول اللَّه ﷺ.
- والنائحة والمستمع إليها.

---

(١) البرطيل: الرشوة.

(٢) الحشيش.

● ونوّاحي جهنم وهم المغنون الغناء الذي حرمه اللَّه ورسوله والمستمع إليهم.

● والذين يبنون المساجد على القبور يوقدون عليها القناديل والسرج.

● والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه، وهضم ما عليهم إذا بذلوه.

● والجبارون والمتكبرون.

● والمراءون.

● والهمازون واللمازون.

● والطاعنون على السلف.

● والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرّافين، فيسألونهم ويصدقونهم.

● وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم.

● والذي إذا خوّفته باللَّه وذكرته لم يرعو ولم ينزجر، فإذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه.

● والذي يهدى بكلام اللَّه ورسوله فلا يهتدي ولا يرفع به رأسًا، فإذا بلغه عمن يُحسن به الظن ممن يصيب ويخطئ عضّ عليه بالنواجذ ولم يخالفه.

● والذي يُقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه وربما استثقل به فإذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سره وتواجد وهاج من قلبه دواعي الطرب وود أن المغني لا يسكت.

● والذي يحلف باللَّه ويكذب فإذا حلف بالبندق أو برأس شيخه أو قريبه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولو هدد وعوقب.

● والذي يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر.

● والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك.

● والفاحش اللسان البذيء الذي تركه الخلق إتقاء شره وفحشه.

● والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر اللَّه فيها إلا قليلاً.

● ولا يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه.

● ولا يحج مع قدرته على الحج.

● ولا يؤدي الحقوق مع قدرته عليها.

● ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة.

● ولا يبالي بما حصل المال من حلال أو حرام.

● ولا يصل رحمه.

● ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم.

● بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، ويرائي العالمين.

● ويمنع الماعون.

● ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه.

فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها.

ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات. وفي باطنها الدواهي والبليات. تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها. ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها. تاللَّه لقد وعظت فما تركت لواعظ مقالاً. ونادت يا عمار الدنيا لقد عمرتم داراً موشكة بكم زوالاً، وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً. عمرتم بيوتًا لغيركم منافعها

وسكناها. وخربتم بيوتًا ليس لكم مساكن سواها. هذه دار الاستباق ومستودع الأعمال وبيدر الزرع وهذه محل للعبر رياض من رياض الجنة أو حفر من حفر النار»(١) .

● **وقال ابن القيم:**

«يُنعم المؤمن في البرزخ على حسب أعماله، ويعذب الفاجر فيه على حسب أعماله، ويختص كل عضو بعذاب يليق بجناية ذلك العضو:

ـ فتقرض شفاهُ المغتابين الذين يُمزقون لحومَ الناس ويقعون في أعراضهم بمقاريض من نار.

ـ وتسجر بطونُ أكلةِ الربا بالحجارة ويسبحون في أنهار من الدم كما يسبحون في الكسب الخبيث.

ـ وتُرض رؤوس النائمين عن الصلاة المكتوبة بالحجر العظيم.

ـ ويُشق شدقُ الكذاب الكذبةَ العظيمةَ بكلاليب الحديد إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينيه إلى قفاه، كما شقت كلمته النواحي.

ـ ويُعلقُ النساءُ الزواني بثديهن.

ـ وتُحبسُ الزناةُ والزواني في التنورِ المحمي عليه، فيعذب محل المعصية منهم، وما هو إلا سافل.

ـ وتُسلطُ الهمومُ والغموم والأحزان والآلام النفسانية على النفوس البطالة التي كانت مشغوفة باللهو واللعب والبطالة، فتصنع الآلام في نفوسهم كما تصنع الهوام والديدان في لحومهم، حتى يأذن الله تعالى بانقضاء

---

(١) «الروح» لابن القيم ص(١٠٣ ـ ١٠٦).

أجل العالم ولهى الدنيا...»[١].

ومما سبق من كلام ابن القيم يتبين لنا.

● أن أحوال العصاة في عذاب القبر تختلف باختلاف معاصيهم فالجزاء من جنس العمل.

● وأن عذاب القبر من معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله.

الأسباب المفصلة لعذاب القبر

١ ـ الشرك بالله والكفر به:

قال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

والمراد بالنار هنا نار القبر فقد قال الله عز وجل بعدها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

● وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وذلك أن الكافر إذا احتُضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم وغضب الرحمن الرحيم فتفرقَ روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ...﴾ الآية[٢].

(١) «تحفة المودود بأحكام المولود» لابن القيم ص(٢١٥).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/١٥٦).

● وفي حديث البراء بن عازب عند الكلام عن العبد الكافر في فتنة القبر وسؤال الملكين.

قال: «... ويأتيه ملكانِ شديدا الانتهارِ، فينتهرانه ويجْلسانه. فيقولانِ له: من ربك؟ فيقولُ: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما دينُك؟ فيقولُ: هَاه هاه لا أدري. فيقولان: فما تقُولُ في هذا الرّجُل الذي بُعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه. فيُقالُ: محمدًا. فيقول: هاه هاه لا أدري سمعتُ الناس يقولون ذلك. قال: فيقالُ: لا دريتَ ولا تلوت. فيُنادي مُنادٍ من السماءِ أن كذبَ، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار...» الحديث.

* والأدلة من السنّة على أن الكفر سبب لعذاب القبر:

● **حديث زيد بن ثابت**[(١)] رضي الله عنه **قال:**

«بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائطٍ لبني النجار، على بغلةٍ لهُ، ونحنُ معهُ، إذ حادت به فكادت تُلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**» فقال رجل: أنا. قال: « **فمتى مات هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «**إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يُسمعكم من عذابِ القبرِ الذي أسمعُ منهُ...**» الحديث.

وقوله في الحديث: «ماتوا في الإشراك» دليل على أن الشرك سبب في عذاب القبر.

● **حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:**

«دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم نخلاً لبني النجار فسمع أصوات رجال من بني

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٦٧) (٦٧): باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه.

النجار ماتُوا في الجاهلية يُعذبون في قبورهم فخرج رسول اللَّه ﷺ فزعًا، فأمر أصحابهُ أن يتعوذوا من عذابِ القبرِ»[1].

● **حديث أم مبشر رضي الله عنها قالت:**

«دخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ وأنا في حائطٍ من حوائط ببني النجار فيه قبور منهم قد ماتُوا في الجاهلية فسمعهُم وهم يعُذبون فخرج وهو يقُولُ: «**استعيذوا باللَّه من عذاب القبر**».

قلتُ: يا رسول اللَّه: إنهم ليُعذبون في قبورِهِم.

قال: «**نعم! عذابًا تسمعهُ البهائمُ**»[2].

● **حديث عائشة رضي الله عنها في حديث الكسوف الطويل:**

وفيه: «... **ولقد رأيتُ جهنَّمَ تحطمُ بعضها بعضًا حينَ رأيتموني تأخرتُ، ورَأيتُ فيها ابنَ لحي وهو الذي سيب السوائب**»[3]. وفي رواية: «**يجرّ قصبه في النار**» أي: يجرّ أمعاءه.

● **حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال:**

«خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمسُ فسمعَ صوتًا فقال: «**يهُودٌ**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٥، ٢٩٦)، وعبد الرزاق (٦٧٤٢، ٦٧٤٤)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٢٢٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٥٥): «ورجال أحمد رجال الصحيح» ا.هـ.

(٢) أخرجه ابن حبان «موارد» (٧٨٧)، وأحمد (٦/ ٣٢٦)، وقال الألباني في «تخريج السنة» لابن أبي عاصم (٨٧٥): إسناد صحيح على شرط مسلم» ا.هـ.

(٣) رواه البخاري كتاب التفسير (٤٦٢٤): باب ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ**﴾ مختصرًا. ومسلم: كتاب الكسوف (٩٠١) (٣): باب صلاة الكسوف والرواية الأخرى عنه. والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يُحمل عليها شيء.

تعذبُ في قبورِهَا»(١) .

● وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

«لما كان يومُ الأحزابِ قـال رسول اللَّه ﷺ : «ملأ اللَّهُ قبورهُـمْ وبيوتهُمْ نارًا، كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمسُ»(٢) .

٢ ـ النفاق سبب من أسباب عذاب القبر:

والمنافقون أولى الناس بعذاب القبر، كيف لا وهم أصحاب الدرك الأسفل من النار.

● قال الـلَّه تعـالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١].

قال قتـادة والربيع بن أنـس في قوله تـعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ : «إحداهما في الدنيا والأخرى هي عذابُ القبرِ».

● وفي أحاديث سؤال الملكين وفتنة القبـر عند الكلام على الكافر فقد ورد التصريح باسم المنافق أو المرتاب في بعض الروايات.

كما في حديث أنس: «... وأما الكافرُ والمنافقُ فيُقالُ له...» الحديث.

وفي حديث أسماء: «... وأما المنافقُ أو المرتاب فيقالُ له...» الحديث.

وفي حديث أبي هريرة: «... وإن كان مُنافقًا قال...» الحديث.

---

(١) البخاري كتاب الجنـائز (١٣٧٥): باب التعوذ من عذاب القبر، ومسـلم كتاب الجنة (٢٨٦٩) (٦٩): باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه. وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

(٢) البخاري كتاب الجهـاد (٢٩٣١): باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلـزلة، ومسلم كتاب المساجد (٦٢٧) (٢٠٢): باب التغليظ في تفويت صلاة العصر.

وفـي حديـث جابـر: «... وأما المـنافقُ فـيقعُـدُ إذا تولى عـنهُ أصحـابهُ..» الحديث.

٣ ـ عدم الاستبراء من البول.

٤ ـ المشي بين الناس بالنميمة:

فعن ابن عباس[(١)] رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بحائط [(٢)] من حيطان المدينة فسمعَ صوتَ إنسانينِ يُعذبان في قبورهما، فقال النبيُ ﷺ: «**إنهما ليُعذبان، وما يُعذبان فـي كبيرٍ**»، ثم قـال: «**بلى وإنهُ لكبيرٌ، كـان أحدهُمَا لا يستتر**[(٣)] **مـن بوله**: وفي رواية: **البول، وكان الآخرُ يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدةٍ، رطبةٍ**، وفي رواية: **بعسيب**[(٤)] **رطب فكسرها كسرتين**، وفي الرواية: **فشقها نصفين، فوضعَ على كل قبرٍ منهمَا كسرةً**، فقيل له: يا رسول اللّه لم فعلت هذا؟

قال ﷺ: «**لعلهُ أن يُخففَ عنهما ما لم تيبسا**».

● قال الخطابي في «معالم السنن» في قوله ﷺ: «**وما يعذبان في كبير**»: «معناه أنهما لم يعذبا في أمر كان يكبـر عليهما أو يشق فعله لو أرادا أن يفعلا، وهو التنزه من البول وترك الـنميمة، ولم يرد أن المعـصية في هاتين الخـصلتين ليست بكبيرة في حق الدين وأن الذنب فيهما سهل هين»[(٥)].

---

(١) حديث ابـن عباس أخرجه الـبخاري كتاب الجـنائز (١٣٧٨): باب عذاب الـقبر من الغـيبة والبول، ومسلم كتاب الطهارة (٢٩٢) (١١١): باب الدليل على نجاسة البول وغيرهما.

(٢) حائط: بستان.

(٣) لا يستتـر عند ابن عساكر، ولا يـستبرئ أو لا يستنـزه، ولأبي نعيم: «لا يتوقـى». ومعنى الاستتار: أي لا يجعل بينه وبين بوله سترة يعني: لا يتحفظ عنه فتوافق رواية لا يستنزه. كما في «الفتح» (١/ ٣٨١).

(٤) عسيب: هي الجريدة التي لم ينبت فيها خوص فإن نبت فهي السعفة.

(٥) «معالم السنن» للخطابي (١/ ٢٧).

قال المنذري[١] : «ولخوف توهم مثل هذا استدرك فقال ﷺ : «**بلى إنه كبير**».

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أكثرُ عذابِ القبرِ منَ البولِ**»[٢] .

ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : «**إن عامة عذاب القبر من البولِ فتنزهوا منهُ**»[٣] .

ـ وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اتقوا التبول فإنهُ أولُ ما يُحاسب به العبدُ في قبرِه**»[٤] .

ـ فعن عبد الرحمن بن حسنة سمع رسول اللّه ﷺ يقول: «**ألم تعلمُوا ما لقي صاحب بني إسرائيل كانُوا إذا أصابهُمُ البولُ قطعوا ما أصابَهُ البولُ فنهاهُم، فعُذِّبَ في قبرِهِ**»[٥] وهذا الرجل من بني إسرائيل عذب في قبره؛ لأنه نهاهم

---

(١) «الترغيب والترهيب» للمنذري (٨٦١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٦)، وابن ماجه كتاب الطهارة (٣٤٨): باب التشديد في البول واللفظ له، والبيهقي (٢/ ٤١٢)، والدارقطني (١/ ١٢٨) وقال: صحيح، والحاكم (١/ ١٨٣)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٥٥).

(٣) أخرجه البزار «كشف الأستار» (٢٤٣)، والدارقطني (١/ ١٢٨)، وقال: لا بأس به، وقال الحافظ في «تلخيص الحبير» (١/ ١٠٦): «رواه عبد بن حميد في «مسنده»، والحاكم، والطبراني وغيرهم بإسناد حسن» ا.هـ. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٥٢).

(٤) أخرجه الدارقطني (١/ ١٢٧) وقال: المحفوظ مرسل. وقال الحافظ في «تلخيص الحبير» (١/ ١٠٦): «ونقل عن أبي زرعة أنه المحفوظ، وقال أبو حاتم: رويناه من حديث ثمامة عن أنس والصحيح إرساله» ا.هـ. وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٥٣).

(٥) أخرجه النسائي في كتاب الطهارة: باب البول إلى السترة.

عن أمر واجب وهو التنزه من البول.

ـ وقال قتادة: «كان يُقالُ: عَذَابُ القبرِ من ثلاثةِ أثلاثٍ: ثُلث مِنَ الغيبةِ، وثلث من النميمةِ، وثلث من البولِ»(١).

● قال الحافظ ابن حجر: «وللبول بالنسبة إلى عذاب القبر خصوصية وذلك بسبب ترك التحرز منه»(٢).

فالقبر أول منزل من منازل الآخرة، وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب.

ومقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث. ومقدمة الدماء: النميمة والوقيعة في الأعراض.

وهما أيسر أنواع الأذى فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما.

وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله: الصلاة، ومن حقوق العباد: الدماء.

٥ ـ الغيبة:

وفيها الحديث: عدم الاستبراء من البول. وقد روي هذا الحديث من وجوه متعددة.

وفي حديث أبي بكرة: **«وأما الآخر فيُعذَّب في الغيبة»**(٣).

---

(١) انظر: «عذاب القبر» للبيهقي ص(٢٦١)، وابن رجب في «أهوال القبور» ص(٦٥).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٣٨١).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥، ٣٩)، وابن ماجه كتاب الطهارة (٣٤٩): باب التشديد في البول، والطيالسي (٨٦٧).

قال العراقي: (٣/ ١٤٠) لأحمد، والطبراني بإسناد جيد ا.هـ.، وقال الحافظ في «الفتح» (١/ ٣٨٤): إن رواية أبي بكرة عند أحمد، والطبراني بإسناد صحيح ا.هـ. وصحح الحديث الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٦٦).

والغيبة: ذكرك أخاك بما يكرهه لو بلـغه سواء ذكرته بنقص في دينه أو بدنه أو نسبه أو ثوبه أو داره أو دابته.

٦ ـ أذى الناس باللسان:

● من حديث أبي هريـرة في بعض رواياته: «**كان أحدهـما لا يستـتر من البول، وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة**»[١].

وأذى النـاس باللسـان يكون بـالفحش، والـسب، واللـعن، والسخـرية، والاستهزاء والكذب عليهم، والاستطالة في أعراضهم، والهجاء.

٧ ـ الكذب:

● في حديـث سمرة بن جـندب ﷺ: «... **فانطـلقنا، فـأتينا عـلى رجلٍ مُستلق لقفاهُ، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيُشرشرُ شدقهُ إلى قـفاهُ، ومنخرهُ إلى قفاهُ، وعينُه إلى قفاهُ، ثـم يتحولُ إلى الجانب الآخر فيفعلُ به مثل ما فعل بالجانـب الأول، فما يفرغُ من ذلك الجانبِ حتىَ يصح ذلك الجانبُ كما كان ثم يعودُ عليه فيفعلُ مثل ما فعل المرة الأولى...**» الحديث.

الكلوبُ: حديدة معوجة ينزع بها الشيء أو يعلق.

يُشرشِرُ: أي يقطع.

ثم جاء البيان في آخر الحديث بقول الملكين للرسول ﷺ:

«... **وأما الرجلُ الذي أتيـتَ عليه يُشرشرُ شدقهُ إلى قفاهُ، ومـنخرهُ إلى قفاهُ، وعينهُ إلى قفاهُ، فإنهُ الرجل يغدو من بيتِه فيكذبُ الكذبة تبلغُ الآفاقَ...**» الحديث.

وفي روايـة[٢]: «**أما الذي رأيتهُ يُشق شدقهُ فكذابٌ يـحدثُ بالكذبة فتُحملُ**

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» «موارد» (١٤٠)، وصححه الحافظ في «الفتح» (١/ ٣٨٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز: باب (٩٣).

عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصنعُ به ما رأيت إلى يوم القيامة...» الحديث.

وصدق الرسول الكريم ﷺ إذ يقول: «**وإن الكذب يهدي إلى الفُجورِ وإن الفجُور يهدي إلى النار**» فهذا جزاء الكذب في البرزخ.

قال ابن العربي: «شرشرة شدق الكاذب إنزال العقوبة بمحل المعصية، وعلى هذا تجري العقوبة في الآخرة بخلاف الدنيا».

٨ ـ هجر القرآن بعد تعلّمه.

٩ ـ النوم عن الصلاة المكتوبة:

● في حديث سمرة:

«**... وأنا أتينا على رجلٍ مُضطجعٍ، وإذا آخر قائمٌ عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغُ رأسهُ فيتدهدهُ الحجرُ ها هنا، فيتبعُ الحجر، فيأخذُهُ فلا يرجعُ إليه حتى يصح رأسهُ كما كان، ثم يعودُ عليه فيفعلُ به مثلَ ما فعل المرة الأولى!...**».

«**يَثْلَغُ رأسَهُ**»: أي يشدخه ويشقه.

«**يَتَدَهْدَهُ**»: أي يتدحرج والمراد أنه دفعه من علو إلى أسفل وتدهده إذا انحط.

ثم جاء البيان في آخر الحديث بقول الملكين للرسول ﷺ:

«**... وأما الرجلُ الأول الذي أتيتَ عليه يُثلغُ رأسه بالحجرِ، فإنه الرجل يأخذُ القرآنَ فيرفضهُ وينامُ عن الصلاة المكتوبة**»[1].

وفي رواية[1]: «**والذي رأيته يُشدخُ رأسه فرجلٌ علمهُ اللّه القرآنَ، فنام عنهُ**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز: باب (٩٣).

بالليلِ ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعلُ به إلى يوم القيامةِ».

والحديث يدل على أن من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل، ولا يعمل به بالنهار يعذب في قبره كما قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح»[١] .

● قال ابن حجر: قال ابن هبيرة: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة؛ لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه، فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن عوقب في أشرف أعضائه وهو الرأس.

وقال أيضًا: يحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرين ترك القراءة وترك العمل[٢] .

● قال الإمام ابن القيم:

هجر القرآن أنواع:

إحداها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين أن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به.

وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا

---

(١) «الروح» ص(١٠٤).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٥١).

﴿هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ [الفرقان: ٣٠]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض»[١] ا.هـ.

● أما النوم عن الصلاة المكتوبة وترك صلاتها مع جماعة المسلمين بل يثقل رأسه على الفراش، فجزاؤه أن يثلغ ويرضخ هذا الرأس الذي هذا فعله وشأنه، وهكذا يُعذّب إلى قيام الساعة، فقد جاء في بعض الروايات: «... **فيفعل به إلى يوم القيامة**»[٢].

قال ابن العربي: «جعلت العقوبة في رأس هذه النومة عن الصلاة والنوم موضعه الرأس»[٣] ا.هـ.

١٠ ـ أكْل الربا وعذاب صاحبه في القبر:

وفي الحديث السابق أيضًا: «... **فانطلقنا فأتينا على نهرٍ حسبتُ أنه كان يقولُ أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجلٌ سابحٌ يسبحُ، وإذا على شط النهر رجلٌ قد جمع عندهُ حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابحُ يسبحُ ما يسبحُ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عندهُ الحجارة فيفغر**[٤] **له فاه فيُلقمهُ حجراً فينطلق يسبح ثم يرجعُ إليه، كلما رجَعَ إليه فَغَرَ له فاهُ فالقمهُ حجراً**...» الحديث.

وفي آخر الحديث: «**وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا**».

* * *

---

(١) «الفوائد» لابن القيم ص(٨٢).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٥١).

(٣) «فتح الباري» (١٢/ ٤٤١).

(٤) يفغر: أي يفتح.

١١ - الزنـــــا:

وفي الحديث السابق كـذلك: «... **فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال: وأحسبُ أنه كان يقول: فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ، قال: فطلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفلَ منهم إذا أتاهم ذلك اللهبُ ضوضوا...**»[١].

وفي حديث أبي أمامة[٢] ﵁ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ إذ أتاني رجلان، فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلاً وعرًا، فقالا: اصعد، فقلت: إني لا أطيقهُ فقالا: أنا سنُسَهله لك، فصعدتُ حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، قلتُ: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواءُ أهل النار...**».

وفيه: «**ثم انطلق فإذا بقومٍ أشد شيء انتفاخًا وأنتنهُ ريحًا، قلتُ: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزانون والزواني...**» الحديث.

وأيضًا هذا الحديث من رؤيا الأنبياء التي هي وحي مطابق في نفس الأمر ويعتبر نصًّا في عذاب البرزخ.

وهو يشبه حديث سمرة كما قال الحافظ[٣].

---

(١) ضوضوا: أي صاحوا.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٤٨٧١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٩٨٦)، وعنه ابن حبان «موارد» (١٨٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٣٠) مختصرًا، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (١١)، وعزاه السيوطي في «شرح الصدور» ص(١٧١) للطبراني، وابن مردويه في «تفسيره» أيضًا، وقال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٤٤١) بعد ما عزاه للطبراني: «بسند جيد» ا.هـ. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٤٢٠).

(٣) «فتح الباري» (١٢/ ٤٤١).

● قال ابن القيم: «الكفر والمعاصي والفسوق كله غموم، وكلما عزم العبد أن يخرج منه أبت عليه نفسه وشيطانه ومألفه، فلا يزال في غم ذلك حتى يموت، فإن لم يخرج من غم ذلك في الدنيا بقي غمه في البرزخ وفي القيامة، وإن خرج من غمه وضيقه ها هنا خرج من هناك، فما حبس العبد عن اللَّه في هذه الدار حبسه عنه بعد الموت، وكان معذبًا به هناك، كما كان قلبه معذبًا به في الدنيا، فليس العشاق والفجرة والظلمة في لذة في هذه الدار، وإنما هم يعذبون فيها، وفي البرزخ وفي القيامة، ولكنّ سكر الشهوة وموت القلب حال بينهم وبين الشعور بالألم، فإذا حيل بينهم وبين ما يشتهون أحضرت نفوسهم الألم الشديد، وصار يعمل فيها بعد الموت نظير ما يعمل الدود في لحومهم، فالآلام تأكل أرواحهم غير أنها لا تفنى، والدود يأكل جسومهم»[١] ا.هـ.

● قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٢/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦):

«مناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يُفضحوا؛ لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى.

قال الكرماني: مناسبة العقوبات المذكورة فيه للجنايات ظاهرة إلا الزناة ففيها خفاء، وبيانه أن العري فضيحة كالزنا، والزاني من شأنه طلب الخلوة فناسب التنور، ثم هو خائف حذر حال الفعل كأن تحته النار».

١٢ ـ أمر الناس بالبر ونسيان النفس:

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال ﷺ: «**رأيتُ ليلة أسري بي رجالاً تُقرضُ شفاهُهُم بمقاريضَ من نارٍ، فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخُطباءُ من**

(١) «روضة المحبين» لابن القيم ص(٤٤٠ ـ ٤٤١).

أمتكَ، يأمرون الناسَ بالبر وينسونَ أنفُسهمُ، وهُمْ يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟!»(١) .

وعند البيهقي: «أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت وفت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرءون كتاب اللَّه ولا يعملون به»(٢) .

قال زبيد اليامي: أسكتتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة، وهي: مَن كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوبّخ نفسه.

قال هلال بن العلاء: طلب العلم شديد، وحفظه أشد من طلبه، والعمل به أشد من حفظه، والسلامة منه أشد من العمل به.

١٣ ـ الإعراض عن ذكر اللَّه:

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]:

قال: «عَذابُ القبرِ»(٣) .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠، ١٨٠، ٢٣٠، ٢٣٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٩١).

(٢) حسن: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس، وحسّنه في «صحيح الجامع» (١٢٨).

(٣) أخرجه ابن حبان «موارد» (٧٨١)، والبيهقي في «الاعتقاد» (١٠٨)، والحاكم (١/ ٣٨١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي ا. هـ.

وإسناده حسن؛ لأنه من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومحمد بن عمرو حسن الحديث وليس من رجاله مسلم.

وأخرجه البزار (٢٢٣٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٦٧): «فيه من لا أعرفه».

وقال الحافظ ابن كثير (٣/ ١٦٩): رواه البزار بإسناد جيد. ا هـ. =

● قال الحافظ ابن القيم:

«وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا ريب أنه من المعيشة الضنك، والآية تتناول ما هو أعم منه، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، فإن عمومها من حيث المعنى فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر اللَّه الذي أنزله على رسوله ﷺ في دنياه وفي البرزخ ويوم معاده»[(١)].

١٤ـ الإفطار في رمضان من غير عذر:

● عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعيّ وأتيا بي جبلاً فقالا لي: اصعد.**

فقلت: إني لا أطيقه.

فقالا: إنا سنسهله لك.

قال: فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة، فقلت: ما هذه الأصوات؟

قال: هذا عواء أهل النار. ثم انطلق بي فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا، قال: قلت: من هؤلاء؟!

= وقال السيوطي في «الإكليل» (١٧٧): إسناده جيد. ا هـ.

وأخرجه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٥٧، ٥٨)، وكذا ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٤/ ٣١١).

وأخرجه البيهقي من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا ورواه الحاكم (١/ ٣٨٨)، وابن أبي حاتم كما في «الإكليل» للسيوطي، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر».

وقال الحافظ ابن كثير (٣/ ١٦٩): والموقوف أصح.

وورد موقوفًا أيضًا على أبي هريرة، وابن مسعود، وغيرهما أخرجه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص(٦٠) وهناد بن السري في «الزهد» (١/ ٢١٤).

(١) «الداء والدواء» ص(١٣٧، ١٦٣، ١٦٤).

قال: هم الذين يفطرون قبل تحلّة صومهم(١) .

فقال أبو أمامة: خابت اليهود والنصارى.

ـ قال سليم بن عامر: لا أدري أشيئًا سمعه أبو أمامة من رسول اللَّه ﷺ أم شيئًا من رأيه ـ «**ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا، وأسوءه منظرًا، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء قتلى الكفار. ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخا، وأنتنه ريحًا، وأسوءه منظرًا كأن ريحهم المراحيض، قلت: مَن هؤلاء؟**

قال: هؤلاء الزانون والزواني.

ثم انطلق بي فإذا بنساء ينهشن ثديهن الحيات، قلت: من هؤلاء؟

قال: هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن، ثم انطلق بي فإذا بغلمان يلعبون بين نهرين، قلت: مَن هؤلاء؟

قال: هؤلاء ذراري المؤمنين.

ثم شرف بي شرفًا فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم، قلت: من هؤلاء؟

قال: هذا جعفر، وزيد، وابن رواحة.

ثم شرف بي شرفًا آخر فإذا بنفر ثلاثة، قلت: مَن هؤلاء؟

قال: هذا إبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم وهم ينتظرونك»(٢) .

١٥ ـ أَخْذ الغلول:

دل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ في الرجل الذي أخذ الغلول فقال

---

(١) أي: يفطرون قبل وقت الإفطار.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى»، وابن حبان، وابن خزيمة (٣/ ٢٣٦): باب رقم (٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٩٠، ٢١٠، ٤٣٠)، وعزاه السيوطي للضياء في «المختارة».
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقد احتج البخاري بجميع رواته غير سليم بن عامر، وقد احتج به مسلم.

النبي ﷺ عنه: «**والذي نفسي بيده! إن الشملة التي أخذها يومَ خيبر من المغانم لم تُصبها المقاسمِ، لتشتعل عليه ناراً**»(١).

والغلول: هو أخذ الغازي شيئًا من الغنيمة دون عرضه على ولي الأمر لقسمته.

والشملة: هي الثوب يتوشح به.

١٦ ـ جرّ الإزار خيلاء:

يدل على ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجلٌ يجر إزارهُ إذ خُسف به، فهو يتجلجلُ إلى يوم القيامة**»(٢).

والتجلجل: أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق.

فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطربًا متدافعًا.

١٧ ـ الامتناع عن إرضاع الأولاد بغير عذر:

وقد مرّ حديث أبي أمامة: فكما حرمن أولادهن من الرضاع من ثديهن تنهشها الحيات جزاء وفاقًا في البرزخ.

١٨ ـ السرقة:

دل على ذلك حديث جابر في صلاة الكسوف.

وفيه قول النبي ﷺ: «**... وحتى رأيتُ فيها صاحب المحجن يجر قصبهُ في النار كان يسرقُ الحاج بمحجنه فإن فطنَ له قال: إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به...**»(٣) الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي (٤٢٣٤): باب غزوة خيبر، ومسلم كتاب الأيمان (١١٥) (١٨٣): باب غلظ تحريم الغلول.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس: باب من جرّ ثوبه من الخيلاء.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الكسوف: باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

بمحجنه: المحجن عصا معقفة الطرف.

١٩ ـ حبس الحيوان وتعذيبه وعدم رحمته:

ففي حديث جابر في صلاة الكسوف: قال النبي ﷺ:

«... وحتى رأيتُ فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تُطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاشِ الأرض حتى ماتت جوعًا...» الحديث.

«خشاش الأرض»: هي الحشرات والهوام.

● قال البيهقي في «إثبات عذاب القبر»:

«ورأى حين صلى صلاة الخسوف من يجر قصبه في النار، ومن يعذب في السرقة، والمرأة التي كانت تعذب في الهرة وقد صاروا في قبورهم رميمًا في أعين أهل زمانه، ولم ير من صلى معه من ذلك ما رأى»[(١)] .

٢٠ ـ النياحة على الميت:

في حديث عمر قال ﷺ: **«إن الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه»**[(٢)] .

وفي رواية: **«الميت يُعذّب في قبره بما نيح عليه»**[(٣)] .

وفي رواية: **«من نيح عليه يُعذَّب بما نيح عليه»**[(٤)] .

والبكاء المذكور في الحديث الأول ليس المراد به مطلق البكاء بل بكاء خاص وهو النياحة كما وضحته الروايات الأخرى.

ثم إن ذلك محمول على من أوصى بالنوح عليه أو لم يوص بتركه مع

---

(١) «إثبات عذاب القبر» للبيهقي ص(٩٧) نشر دار الجيل، ومكتبة التراث الإسلامي.

(٢) البخاري كتاب الجنائز (١٢٩٢): باب ما يكره من النياحة على الميت، مسلم كتاب الجنائز (٩٢٧) (١٦): باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٣) مسلم كتاب الجنائز (٩٢٧) (١٧): باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٤) البخاري كتاب الجنائز (١٢٩١): باب ما يكره من النياحة على الميت من حديث المغيرة بن شعبة.

علمه بأن الناس يفعلونه عادة.

فلهذا قال عبد اللَّه بن المبارك: «إذا كان ينهاهم في حياته ففعلوا شيئًا من ذلك بعد وفاته لم يكن عليه شيء، والعذابُ عندهم يعني العقاب»(١).

٢١ ـ ما يخاف من عذاب القبر في الدَّيْن:

حبس المدين في قبره بدينه:

ومما يضر الميت في قبره ما عليه من دين، فعن سعد بن الأطول رضي الله عنه: «أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لي نبي اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**إن أخاك محبوس بدينه، فاذهب فاقض عنه**»، فذهبت فقضيت عنه، ثم جئت، قلت: يا رسول اللَّه، قد قضيت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة، وليست لها بينة، قال: «**أعطها فإنها محقة**» وفي رواية: «**صادقة**»(٢).

فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ذلك الصحابي محبوس بسبب دينه، ويمكن أن يُفسر هذا الحبس الحديث الآخر حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**إنه مأسور بدينه عن الجنة**»، ففي الحديث الذي يرويه سمرة بن جندب «أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة، وفي رواية صلى الصبح، فلما انصرف قال: «**أههنا من آل فلان أحد؟**» فسكت القوم، وكان إذا ابتدأهم بشيء سكتوا، فقال ذلك مرارًا، ثلاث لا يجيبه أحد، فقال رجل: هو ذا، قال: فقام رجل يجر إزاره من مؤخر

---

(١) راجع أحكام الجنائز للألباني ص(٢٨، ٢٩).

(٢) قال الشيخ ناصر الدين الألباني في «أحكام الجنائز» ص(١٥)، أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٢)، وأحمد (٤/ ١٣٦)، (٥/ ٧)، والبيهقي (١٠/ ١٤٢)، وأحد إسناديه صحيح، والآخر مثل إسناده عند ابن ماجه، وصححه البوصيري في «الزوائد»، وسياق الحديث والرواية الثانية للبيهقي، وهي والزيادات لأحمد في رواية.

الناس، فقال له النبي ﷺ: «**ما منعك في المرتين الأولين أن تكون أجبتني؟**»، **أما إني لم أنوه باسمك إلا لخير، إن فلانًا** - لرجل منهم - **مأسور بدينه عن الجنة، فإن شئتم فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب اللَّه، فلو رأيت أهله ومن يتحرون أمره قاموا فقضوا عنه، حتى ما أحد يطلبه بشيء**»(١).

● عن جابر بن عبد اللَّه قال: «توفي رجل فغسّلناه وحنطناه وكفنّاه، ثم أتينا به النبي ﷺ ليصلي عليه فخطّ خطًّا، ثم قال: «**هل عليه دَيْن؟**». قلنا: نعم. قال: «**صلّوا على صاحبكم**»، فقال أبو قتادة: يا رسول اللَّه دَيْنه عليّ؟، فقال النبي ﷺ: «**هما عليك حقّ وبرء الميت؟**»، قال: نعم. فصلى عليه، ثم لقيه في الغد فقال: «**ما فعل الديناران؟**». فقال: يا رسول اللَّه إنما مات أمس. ثم لقيه من الغد فقال: «**ما فعل الديناران؟**»، فقال: يا رسول اللَّه قد قضيتهما. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**الآن بردت عليه جلده**»(٢).

* * *

---

(١) قال الشيخ ناصر الدين الألباني في «أحكام الجنائز» ص(١٥)، أخرجه أبو داود (٢/ ٨٤)، والنسائي (٢/ ٢٣٣)، والحاكم (٢/ ٢٥، ٢٦)، والبيهقي (٦/ ٤/ ٧٦)، والطيالسي في «مسنده» (رقم ٨٩١، ٨٩٢)، وكذا أحمد (٥/ ١١، ١٣، ٢٠) بعضهم عن الشعبي عن سمرة، وبعضهم أدخل بينهما سمعان بن مُشَنّج، وهو على الوجه الأول صحيح على شرط الشيخين، كما قال الحاكم ووافقه الذهبي، وعلى الوجه الثاني صحيح فقط، وقد ذكر الشيخ هناك من أخرج الروايات والزيادات.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٠)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٧٤، ٧٥)، والحاكم (٢/ ٥٨)، والدارقطني في «السنن» (٢/ ٧٩) (٢٩٣). وقال الحاكم عقبه «صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وللحديث شاهد من رواية الزهري عن أبي سلمة. عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٦٧٣١)، ومسلم (١٦١٩) (١٤)، وأبو داود (٣٣٤٣)، والترمذي (١٠٧٠)، والنسائي (٤/ ٦٥، ٦٦، ٦٧)، وابن ماجه (٢٤١٥)، ولقد بوب البيهقي في «إثبات عذاب القبر»: باب ما يخاف من عذاب القبر في الدَيْن.

هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟

● **قال الإمام ابن القيم:**

«**جوابها أنه نوعان:**

● **نوع دائم:** سوى ما ورد في بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين، فإذا قاموا من قبورهم قالوا: ﴿**يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا**﴾.

ويدل على دوامه قوله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ [غافر: ٤٦]، ويدل عليه ما تقدم في حديث سمرة، الذي رواه البخاري في رؤيا النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وفيه: «**فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة**». وفي حديث ابن عباس في قصة الجريدتين، لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا. فجعل التخفيف مقيدًا بمدة رطوبتهما فقط. وفي حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة: «**ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شيء**». وقد تقدم. وفي «الصحيح» في قصة الذي لبس بردين وجعل يمشي يتبختر فخسف اللَّه به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة».

وفي حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «**ثم يفتح له باب النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة**». رواه الإمام أحمد في بعض طرقه ثم يخرق له خرقًا إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة.

● **النوع الثاني: إلى مدة ثم ينقطع:**

وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة، ثم يزول عنه العذاب. وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة تصل إليه من بعض

أقاربه أو غيرهم[١] ، وهذا كما يشفع الشافع في المعذب في الدنيا، فيخلص من العذاب بشفاعته، ولكن هذه شفاعة قد لا تكون بذلك بإذن المشفوع عنده، واللَّه سبحانه وتعالى لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشفوع له، ولا تغتر بغير هذا، فإنه شرك وباطل يتعالى اللَّه عنه، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه. ولا يشفعون إلا لمن ارتضى. ما من شفيع إلا من بعد إذنه. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له. قل للَّه الشفاعة جميعًا له ملك السموات والأرض[٢] .

● و«العذاب يستمر إذا كان العبد كافرًا أو منافقًا نفاق كفر، وإن كان مسلمًا عاصيًا فيختلف لاختلاف كبر المعصية وصغرها وحصول العفو عن بعض العصاة دون بعض، فقد يعذب بعض العصاة وقد لا يستمر التعذيب على بعض العصاة، وقد يرفع عن بعض»[٣] .

النار التي في القبور ليست من نار الدنيا

● **قال الإمام ابن القيم:**

«إن النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا، فيشاهده من شاهد نار الدنيا، وخضرها وإنما هي من نار الآخرة وخضرها وهي أشد من نار الدنيا، فلا يحس به أهل الدنيا فإن اللَّه سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى يكون أعظم حرًا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك. بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان

---

(١) هذا على مذهب الإمام ابن القيم في وصول ثواب القراءة من الغير.
(٢) «الروح» لابن القيم ص(١١٩ ـ ١٢٠).
(٣) «فتاوى الحافظ ابن حجر» نقلاً عن كتاب «القبر» للشيخ أشرف عبد المقصود ص(١٦).

أحدهما إلى جنب الآخر وهذا في حفرة من حر النار لا يصل حرها إلى جاره، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره، وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا اللَّه من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا إلا من وفقه اللَّه وعصمه، فيفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور، فإذا شاء اللَّه سبحانه أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيبه عن غيره، إذ لو اطلع العباد كلهم لزالت كلمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس كما في «الصحيحين» عنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع**».

ذكر الحكمة في ستر العذاب من الناس دون البهائم

ولما كانت هذه الحكمة منفية في حق البهائم، سمعت ذلك وأدركته كما حادت برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب في قبره.

وحدثني صاحبنا أبو عبد اللَّه محمد بن الرزيز الحراني أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان قال: فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور، فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج، والميت في وسطه، فجعلت أمسح عيني وأقول: أنائم أنا أم يقظان؟ ثم التفت إلى سور المدينة، وقلت: واللَّه ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش، فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل، ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فإذا به مكاس[1] قد توفي ذلك

(١) المكّاس: هو جابي المال.

اليوم، فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحيانًا لمن شاء اللَّه أن يريه ذلك[1] .

عذاب القبر يظهر أحيانًا ويُسمعه اللَّه من يشاء

إن اللَّه تبارك وتعالى إذا شاء أطلع بعض عباده في دار الدنيا على عذاب أهل القبور، وقد شاهده أناس كثيرون وسمعوا أصوات المعذبين في قبورهم ورأوهم بعيونهم يعذبون في قبورهم في آثار معروفة[2] .

- **سماع النبي ﷺ أصوات المعذَّبين:**

وقد أعطى اللَّه رسوله القدرة على سماع المعذبين في قبورهم، ففي الحديث الذي يرويه مسلم في «صحيحه» عن زيد بن ثابت ﷺ قال: «بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار، على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به[3] ، فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**» فقال رجل: أنا، قال: «**فمتى مات هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا** [4] ، **لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**»[5] وفي «صحيحي» البخاري ومسلم و«سنن النسائي» عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ: «خرج رسول اللَّه

(١) «الروح» لابن القيم.

(٢) «الروح» ص(٩٦)، و«شرح الطحاوية» (٤٠١).

(٣) حادت به: أي مالت عن الطريق ونفرت.

(٤) لا تدافنوا: أي مخافة أن لا تدافنوا.

(٥) رواه مسلم في «صحيحه»، كتاب الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه(٤/ ٢١٩٩).

ﷺ بعدما غربت الشمس، فسمع صوتًا، فقال: «**يهود تعذب في قبورها**»[١].

ويدل على سماع الرسول ﷺ للمعذبين في قبورهم الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن ابن عباس وفيه أن الرسول ﷺ مرّ بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير...**» الحديث.

سماع غير النبي ﷺ أصوات المعذَّبين

● قال الشيخ عمر الأشقر:

«لم يزل بعض الناس يتحدثون عن سماعهم أو رؤيتهم للمعذبين في قبورهم، ومن هؤلاء ثقات أعلام لا مطعن في دينهم وأمانتهم، يقول ابن تيمية في ذلك: «قد يكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومنامًا، ويعلمون ذلك ويتحققونه، وعندنا من ذلك أمور كثيرة»[٢].

وقال في موضع آخر في معرض رده على المكذبين بعذاب القبر: «وإذا عرف أن النائم يكون نائمًا وتقعد روحه وتقوم وتمشي، وتذهب وتتكلم وتفعل أفعالا وأمورًا بباطن بدنه مع روحه، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب، مع أن جسده مضطجع، وعينيه مغمضة، وفمه مطبق، وأعضاؤه ساكنة، وقد يتحرك لقوة الحركة الداخلة، وقد يقوم ويمشي ويتكلم ويصيح، لقوة الأمر في باطنه، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره، فإن روحه تقعد، وتجلس، وتسأل، وتنعم، وتعذب، وتصيح وذلك متصل ببدنه، مع كونه مضطجعًا في

---

(١) «جامع الأصول» (١١/ ١٧٢).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٧٦).

قبره، وقد يـقوى ذلك حتى يظهر ذلـك في بدنه، وقد يرى خارجًـا من قبره، والعذاب عليه، وملائكة العذاب موكلـة به، فيتحرك بدنه، ويمشي ويخرج من قبره، وقـد سمع غير واحـد أصوات المعذبين فـي قبورهم، وقد شـوهد من يخرج من قبره وهـو معذب، ومن يقعد بدنه أيضًا إذا قـوي الأمر، لكن ليس هذا لازمًا في حق كل ميت، كما أن قعود بـدن النائم لما يراه، ليس لازمًا لكل نائم، بل هو بحسب قوة الأمر»[١] .

الأسباب المُنجية من عذاب القبر

● **قال ابن القيم**:

«فجوابها أيضًا من وجهين: مجمل ومفصل.

● **أمـا المجـمـل**: فهو تجنب تلك الأسباب التـي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجـل عندما يريد النوم للَّه ساعة يحاسب نفـسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصـوحًا بينه وبين اللَّه، فينام على تلك التوبة ويعـزم على أن لا يعاود الذنب إذا استـيقظ، ويفعل هذا كل لـيلة، فإن مات من ليـلته مات على توبة وإن اسـتيقظ استيقـظ مستقبلاً للعـمل مسرورًا بتأخيـر أجله، حتى يستقـبل ربه ويستدرك ما فـاته وليس للعبد أنـفع من هذه النومة، ولا سـيما إذا عقب ذلك بذكر الـلَّه واستعمال السـنن التي وردت عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد اللَّه به خيرًا وفقه لذلك، ولا قوة إلا باللَّه.

● **أما الجواب المُفَصَّل**: فنذكر أحاديث عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٢٥) و«القيامة الصغرى» ص(٥٢ ـ ٥٣).

وسلم فيما ينجي من عذاب القبر:

١ـ التوحيد:

ففي حديث البراء المشهور عند الكلام على العبد المؤمن عندما يسأله الملكان.

قال: «... **ويُجلسانه فيقولان لهُ: من ربك؟ فيقولُ: ربي اللَّهُ.**

فيقولان له: ما دينُكَ؟، فيقولُ: ديني الإسلامُ.

فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعثَ فيكم؟، فيقولُ: هو رسول اللَّه ﷺ.

فيقولان له: وما عملُك؟ فيقول: قرأتُ كتاب اللَّه، فآمنتُ به، وصدقتُ.

فينتهرهُ فيقولُ: من ربك؟ ما دينُك؟ من نبيك؟

وهي آخرُ فتنة تُعرضُ على المؤمن، فذلك حين يقول اللَّه عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [إبراهيم: ٢٧][١] .

٢ ـ طاعة اللَّه وفعل الصالحات:

● قال ابن القيم: «وقد جاء فيما ينجي من عذاب القبر حديث فيه الشفاء، رواه أبو موسى المديني وبين علته في كتابه في «الترغيب والترهيب» وجعله شرحًا له رواه من حديث الفرج بن فضالة، ثنا هلال أبو جبلة، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: خرج علينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال: «**إني رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاء بره بوالديه فرد ملك الموت عنه. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر اللَّه فطير**

---

(١) «الروح» ص(١٠٦ ـ ١٠٧).

الشياطين عنه. ورأيـت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة الـعذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم. ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشًا كلما دنا من حوض منع وطرد، فجـاءه صيام شهـر رمضان فأسقـاه وأرواه. ورأيت رجلاً من أمـتي ورأيت النبيين جلوسًا حلـقًا حلقًا، كلما دنا إلى حلقة طرد ومنع، فـجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعـده إلى جنبي. ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظـلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، وهو متحير فيه فجاءه حجه وعمـرته فاستخرجـاه من الظلمة وأدخـلاه في النور. ورأيت رجلاً مـن أمتي يتقي وهج النار وشرورها فجاءته صدقته فصارت سترًا بينه وبين النار وظللا على رأسه. ورأيت رجـلاً من أمتي يكـلم المؤمنين ولا يكـلمونه فجـاءته صلته لـرحمه فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان وصولاً لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخـله في ملائكة الرحمة. ورأيت رجلاً من أمتي جاثيًا عـلى ركبتيه وبينـه وبين اللَّه حجاب فجاءه حـسن خلقه فأخذه بيـده فأدخله على اللَّه عز وجل. ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من اللَّـه عز وجل فأخذ صحيفتـه فوضعها في يمينه. ورأيـت رجلاً من أمتي خف ميزانـه فجاءه أفراطه فثقـلوا ميزانه. ورأيت رجلاً مـن أمتي قائمًا علـى شفير جهنم فجاءه رجاؤه من اللَّه عز وجل فـاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلاً من أمتـي قد هـوى في النـار فجاءتـه دمعـته التـي قد بـكى من خـشية الـلَّه عـز وجل فاستنـقذته من ذلك. ورأيت رجـلاً من أمتي قائمًا عـلى الصراط، يرعد كـما ترعد السعـفة في ريح عاصـف فجاءه حسن ظـنه باللَّه عـز وجل فسكن روعـه ومضى. ورأيت رجلاً مـن أمتي يزحف علـى الصراط يحبـو أحيانًا ويتـعلق أحيانًا فـجاءته صلاته علي فـأقامته على قدميه وأنـقذته. ورأيت رجلاً من أمتي انـتهى إلى أبواب

الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا اللَّه ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة» قال الحافظ أبو موسى: هذا حديث حسن جدًّا، رواه عن سعيد ابن المسيب، وعمر بن ذر، وعلي بن زيد بن جدعان، ونحو هذا الحديث مما قيل فيه أن رؤيا الأنبياء وحي على ظاهرها في هذه الرواية فذكر العقوبة وأتبعها بما ينجي صاحبها من العمل. وراوي هذا الحديث عن ابن المسيب هلال أبو جبلة مدني، لا يعرف بغير هذا الحديث. ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه هكذا ذكره الحاكم أبو أحمد، والحاكم أبو عبد اللَّه أبو جبل بلا هاء وحكياه عن مسلم، ورواه عن الفرج بن فضالة وهو وسط في الرواية ليس بالقوي ولا المتروك، ورواه عنه بشر بن الوليد الفقيه المعروف بأبي الخطيب، وكان حسن المذهب جميل الطريقة وسمعت شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث، وقال: أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث»(١) .

● وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن الميت إذا وضع في قبرِه إنهُ ليسمعُ خفقَ نعالهم حين يولوا عنهُ فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيامُ عن يمينه، وكانت الزكاةُ عن يسارِه، وكان فعل الخيراتِ من الصدقة والصلة والمعروف والإحسانِ إلى الناس عند رجليه.**

فيؤتى من رأسه فتقولُ الصلاةُ: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتى عن يمينه فيقولُ كالصيام: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتى عن يساره فتقولُ الزكاة: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتي من قبل رجليه فيقولُ فعلُ الخيراتِ من الصدقةِ والصلةِ والمعروفِ إلى الناسِ ما قبلي مدخلٌ...»(٢) الحديث.

---

(١) «الروح» ص(١١٠ ـ ١١٢).

(٢) ابن حبان (٧٨١)، والحاكم (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، والبيهقي في «الاعتقاد» (٢٢١)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

فطاعة اللَّه عز وجل هي خير ما يقدمه المسلم لنفسه في قبره.

● فعن مجاهد في قول اللَّه عز وجل: ﴿**فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾ [الروم: ٤٤] قال: «في القبر»[١].

وتأمل قوله في حديث البراء الطويل في سؤال الملكين:

«**وأنت فبشرك اللَّه بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجيءُ بالخير: فيقولُ أنا عملك الصالح فواللَّه ما علمتك إلا كنت سريعًا في إطاعة اللَّه، بطيئًا في معصية اللَّه فجزاك اللَّهُ خيرًا، ثم يفتح لهُ باب من الجنةِ...**» الحديث.

٣ ـ الرباط في سبيل اللَّه:

والرباط ملازمة ثغر من ثغور المسلمين فارسًا كان أو راجلاً، ومن مات مرابطًا نجّاه اللَّه من عذاب القبر، تدل على ذلك أحاديث منها:

(١) حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «**رباطُ يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان**»[٢].

(٢) حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل اللَّه، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر**»[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في «تفسيره» (٢١/ ٥٢)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر»، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٩٧).

(٢) رواه مسلم (١٩١٣) (١٦٣)، والنسائي (٦/ ٣٩)، والترمذي(١٦٦٥)، والحاكم(٢/ ٨٠)، وأحمد (٤٤٥، ٤٤١).

(٣) رواه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) وصححه، والحاكم (٢/ ١٤٤)، وأحمد(٦/ ٢٠) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من مات مرابطًا في سبيل اللَّه، أجرى اللهُ عليه عمله الصالح الذي كان يعمل عليه، وأجرى عليه رِزقه، وأمن من الفتان، وبعثه اللَّهُ يوم القيامة آمنًا من الفزع»**[١].

(٤) حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من مات مرابطًا في سبيل اللَّه، أمنه اللَّه من فتنة القبرِ»**[٢].

٤ ـ الشهادة في سبيل اللَّه:

من مات وقتل شهيدًا في سبيل اللَّه نجّاه اللَّه من فتنة الملكين وعذاب القبر وفي ذلك أحاديث عطرة وردت عن رسول اللَّه ﷺ منها:

(١) حديث عبادة بن الصامت وكذا من حديث قيس الجذامي ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«للشهيد عند اللَّه ست خصال: يُغفرُ له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعدهُ من الجنة، ويُجارُ من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحورِ العين، ويشفعُ في سبعين إنسانًا من أقاربه»**[٣].

(٢) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: **«كفى ببارقة السيوفِ على رأسهِ فتنة»**[٤].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٧٦٧) كتاب الجهاد: باب فضل الرباط في سبيل اللَّه وفي «الزوائد»: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني، والطيالسي، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (٦٤٢١).

(٣) الحديث أخرجه الترمذي (١٦٦٣) كتاب فضائل الجهاد: باب في ثواب الشهيد، وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وأحمد (٤/ ١٣١) من حديث المقدام بن معديكرب، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٣٥، ٣٦).

(٤) أخرجه النسائي (٢٨/٩١)، وقال الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٣٦): وسنده صحيح. ا.هـ.

• قال الشيخ الألباني : (تنبيه): ترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصًا من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة بدليل قوله ﷺ : «**من سأل اللَّه الشهادةَ بصدق، بلغهُ اللَّه منازلَ الشهداءِ، وإن مات على فراشه**»[(١)] ،[(٢)] .

وقوله ﷺ : «**كَفى ببارقةِ السيوفِ على رأسهِ فتنة**» معناه واللَّه أعلم: قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيف على رأسه، فلم يفر فلو كان منافقًا لما صبر لبارقة السيف على رأسه، فدل على أن إيمانه هو الذي حمله على بذل نفسه للَّه وتسليمها له وهاج من قلبه حمية الغضب للَّه ورسوله وإظهار دينه وإعزاز كلمته، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للقتل فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره»[(٣)] .

٥ ـ الموت بداء البطن:

وهو الاستسقاء وانتفاخ البطن، وقيل: هو الإسهال، وقيل: الذي يشتكي بطنه، وفي هذا أحاديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**ما تعدون الشهيد فيكم؟**»، قالوا: يا رسول اللَّه مَن قُتل في سبيل اللَّه فهو شهيد، قال: «**إن شهداء أمتي إذًا لقليل**»، قالوا: فمن هم يا رسول اللَّه؟ قال: «**مَن قُتل في سبيل اللَّه فهو شهيد، ومن مات في سبيل اللَّه فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد**»[(٤)] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٩) (١٥٧) كتاب الإمارة: باب استحباب طلب الشهادة في سبيل اللَّه، من حديث سهيل بن حنيف.

(٢) «أحكام الجنائز» للألباني ص(٥١).

(٣) قاله ابن القيم في «الروح» ص(١٠٩).

(٤) رواه مسلم.

● وعن عبد اللَّه بن يسار قال: كنتُ جالسًا وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطة، فذكروا أن رجلاً توفي، مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازتِهِ فقال أحدهما للآخر: ألم يقُل رسول اللَّه ﷺ: **«من يقتلُهُ بطنُهُ فلن يعذب في قبره؟»** فقال الآخر: بلى وفي رواية «صدقت»(١).

تنبيه:

يلحق بالشهيد الذي لا يعذب في قبره كل أنواع الشهادة أو من له أجر الشهيد الذي نص عليه رسول اللَّه ﷺ، ولا دخل للقياس في هذا.

٦ ـ الموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة:

عن عبد اللَّه بن عمرو قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من مسلمٍ يموتُ يوم الجمعةِ أو ليلة الجمعةِ إلا وقاهُ اللَّه فتنة القبرِ»**(٢).

قال الحكيم الترمذي: «ومن مات يوم الجمعة فقد انكشف الغطاء عما له عند اللَّه تعالى؛ لأن يوم الجمعة لا تسجر فيه جهنم وتغلق أبوابها ولا يعمل سلطان النار ما يعمل في سائر الأيام، فإذا قبض اللَّه عبدًا من عبيده، فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلاً لسعادته وحسن مآربه، وأنه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب اللَّه له السعادة عنده فلذلك لم يقه فتنة القبر؛ لأن

---

(١) النسائي (٤/٩٨)، والترمذي (١٠٦٤) وحسنه، وابن حبان «موارد» (٧٢٨)، وأحمد (٤/٢٦٢) قال الألباني في «أحكام الجنائز» (٣٨): وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٧٤) كتاب الجنائز: باب ما جاء فيمن مات يوم الجمعة، وقال: حديث حسن غريب. وأخرجه أحمد (٦٥٨٢ ـ ٦٦٤٦)، والفسوي في «المعرفة» (٢/ ٥٢٠) من طريقين عن عبد اللَّه بن عمرو. وقال الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٥٠): «وله شواهد عن أنس» وجابر بن عبد اللَّه، وغيرهما فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح.
وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٤٩)، و«مشكاة المصابيح» (١٣٦٧).

سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن»(١) .

٧ ـ قراءة سورة تبارك تُنجي من عذاب القبر :

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سورةُ تباركَ هي المانعةُ من عذابِ القبرِ**»(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن سورةً من القرآنِ ثلاثون آية، شفعت لرجلٍ حتى غُفرَ له وهي: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾**»(٣) .

فهي تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت في جوفه وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر(٤) .

ولذلك كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأها كما في حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «**كان لا ينام حتى يقرأ ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾**»(٥) .

---

(١) «شرح الصدور» (١٥٠)، «اللمعة في خصائص الجمعة» ص(٥٧).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «طبقات الأصبهانيين» (٢٦٤) وسنده حسن، وقد أخرجه الحاكم عن طريق عبد الله أنبأ به سفيان موقوفًا أتم منه وهو في حكم المرفوع، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. كذا في «الصحيحة» للألباني (١٤٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٩١) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل سورة الملك، وقال حديث حسن. وأخرجه ابن ماجه (٣٧٨٦) كتاب الأدب: باب ثواب القرآن، وصححه الحافظ ابن عبد البر كما في «الروح» ص(١٠٨).
وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٧)، و«تخريج المشكاة» (٢١٥٣).

(٤) «الروح» ص(١٨٠).

(٥) الترمذي (٢٨٩٢) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل سورة الملك، الدارمي (٢/ ٤٥٥)، وأحمد (٣/ ٣٤٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٥٨٥).

٨ ـ الصدِّيقية: من مات صديقًا (قول القرطبي):

قال الإمام ابن القيم في كتابه «الروح» ص(١٠٩ ـ ١١٠):

«قال أبو عبد اللَّه القرطبي إذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطرًا أو أعظم أجرًا أن لا يفتن؛ لأنه مقدم ذكره في التنزيل على الشهداء، وقد صح في المرابط الذي هو دون الشهيد أنه لا يفتن فكيف بمن هو أعلى رتبة منه، ومن الشهيد. والأحاديث الصحيحة[1] ترد هذا القول وتبين أن الصديق يسأل في قبره كما يسأل غيره.

وهذا عمر بن الخطاب ﵁ رأس الصديقين، وقد قال للنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لما أخبره عن سؤال الملك في قبره فقال: «**وأنا على مثل حالتي هذه؟ فقال: نعم**»[1] وذكر الحديث.

ولا يلزم من هذه الخاصية التي اختُص بها الشهيد أن يشاركه الصديق في حكمها، وإن كان أعلى منه فخواص الشهداء قد تنتفي عمن هو أفضل منهم، وإن كان أعلى منهم درجة».

***

---

(١) لا يصح هذا الحديث.

الروح والنفس

يقول ابن تيمية: «الروح المدبِّرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»[١]، وقد أخطأ الذين فرقوا بين الروح والنفس واعتقدوا أنهما أمران مختلفان، ومن تأمل فيما سقناه في بحثنا من نصوص علم أن النفس هي التي تقبضها الملائكة، وتصعد بها إلى السماء، وتعد بها إلى الجسد، وتسأل، وتنعم وتعذب، وهي الروح أيضًا التي إذا خرجت من الجسد تبعها البصر كما ثبت في الأحاديث.

وهذا المخلوق الذي تكون به الحياة، وتفقد الحياة بفقده يسمى روحًا ونفسًا، ولا يمنع هذا أن تطلق كل من الروح والنفس إطلاقات أخرى، يقول ابن تيمية: «لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان: فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه، ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويداه الساري في العروق، وهو الذي تسميه الأطباء الروح، ويسمى الروح الحيواني، فهذان المعنيان غير الروح التي تفارق بالموت التي هي النفس، ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه، وقد يراد بلفظ النفس الدم الذي يكون في الحيوان، كقول الفقهاء: «ما له نفس سائلة، وما ليس له نفس سائلة» فهذان المعنيان بالنفس ليسا هما معنى الروح»[٢].

ويلاحظ «شارح الطحاوية» أن الروح والنفس وإن أطلقا على تلك اللطيفة الربانية، إلا أن «غالب ما يسمى نفسًا إذا كانت الروح متصلة بالبدن، وأما إذا

---

(١) «رسالة العقل والروح»، «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢/ ٣٦)، وانظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٤٤٥).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٩).

أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها»[١] .

ويقول ابن تيمية في هذا: «لكن تسمى نفسًا باعتبار تدبيره للبدن، وتسمى روحًا باعتبار لطفه، ولهذا يسمى الريح روحًا، وقال النبي ﷺ : «**الريح من روح الله**»[٢] أي: من الروح التي خلقها الله[٣] .

«لما كانت الروح مخلوقة من جنس لا نظير له في عالم الموجودات فإننا لا نستطيع أن نعرف صفاتها، فقد عرفنا الله أنها تصعد وتهبط، وتسمع وتبصر وتتكلم إلى غير ذلك، إلا أن هذه الصفات مخالفة لصفات الأجسام المعروفة، فليس صعودها وهبوطها وسمعها وبصرها وقيامها وقعودها من جنس ما نعرفه ونعلمه، فقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الروح يصعد بها إلى السماوات العلى، ثم تعاد إلى القبر، ساعة من الزمن، وقد أخبرنا أنها تنعم أو تعذب في القبر، ولا شك أن هذ النعيم على نحو مخالف لما نعلمه ونعرفه»[٤] .

* استقلال الروح عن البدن:

«يرى فريق من أهل الكلام المبتدع المحدث من الجهمية والمعتزلة أن الروح جزء من أجزاء البدن، أو صفة من صفاته، كقول بعضهم: إنها النفس أو الريح التي تردد في البدن، وقول بعضهم، إنها الحياة أو المزاج أو نفس البدن»[٥] .

«والفلاسفة المشاؤون يقرون بأن النفس تبقى إذا فارقت البدن، لكن يصفون

---

(١) «شرح الطحاوية» ص(٤٤٤).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود والحاكم.

(٣) «رسالة العقل والروح» لابن تيمية، «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢/ ٣٧).

(٤) «القيامة الصغرى» للأشقر ص(٨٧).

(٥) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣/ ٣١)، و«رسالة العقل والروح» لابن تيمية، انظر: «الرسائل المنيرية» (٢/ ٢١).

النفس بصفات باطلة فيدعون أنها إذا فارقت البدن كانت عقلاً، والعقل عندهم مجرد عن المادة وعلائق المادة، والمادة عندهم هي الجسم، والعقل عندهم قائم بنفسه لا يوصف بحركة ولا سكون ولا يتجدد له أحوال البتة»[١] .

وقد تخبط هؤلاء وهؤلاء في مقالاتهم في الروح، فأهل الكلام المبتدع المذموم الذين قالوا: إن الروح هي الحياة أو المزاج أو نفس البدن أنكر كثير منهم عذاب القبر، فليس هناك روح تنعم أو تعذب بعد الموت في البرزخ. ورفضوا النصوص التي أثبتت ذلك.

والفلاسفة الذين زعموا أن الروح إذا فارقت البدن تصبح عقلاً، قالوا: «إذا فارقت البدن لا يتجدد لها حال من الأحوال لا علوم ولا تصورات، ولا سمع ولا بصر، ولا إرادات، ولا فرح ولا سرور، ولا غير ذلك مما قد يتجدد ويحدث، بل تبقى عندهم على حال واحدة أزلاً وأبدًا، كما يزعمونه في العقل والنفس[٢] .

وفريق من الفلاسفة يصفونها بما يصفون به واجب الوجود عندهم، وهي أمور لا يتصف بها إلا ممتنع الوجود، فيقولون لا هي داخل البدن ولا خارجه، ولا مباينه له، ولا مداخلة له، ولا متحركة ولا ساكنة، ولا تصعد ولا تهبط، ولا هي جسم ولا عرض»[٣] .

والسبب الذي أوقع كلا الفريقين في هذا الخطأ أنهم اعتمدوا على عقولهم وما وضعوه من مقاييس في البحث في أمر غيبي، فالفريق الأول أنكر وجود روح مستقلة عن البدن، وهذا تكذيب للنصوص المتواترة، وإنكار لأمر معلوم

---

(١) «مجموعة الرسائل المنيرية»، «رسالة العقل والروح» (٢/ ٢١).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٢).

(٣) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣/ ٣١).

من الدين بالضرورة، والفلاسفة المشاؤون ومن سلك سبيلهم أثبتوا وجود الروح مستقلة عن البدن، ولكن لما كانت هذه الروح «ليست من جنس هذا البدن، ولا جنس العناصر والمولدات منها، بل هي جنس آخر مخالف لهذه الأجناس»(١) صعب عليهم تعريفها وتصورها، وضاقت تعبيراتهم ومقاييسهم عن حدها وتصورها، وقد هدى اللَّه الذين استجابوا للَّه ورسوله، وآمنوا بما أخبرهم به، فعلموا أن «الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي هذا الجسم اللطيف متشابكًا بهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح»(٢) .

● وهناك أدلة كثيرة تثبت أن الروح شيء مستقل عن البدن، كقوله تعالى: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾** [الزمر: ٤٢]، وقوله: **﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ**

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣/ ٣٢).

(٢) هذا تعريف ابن القيم للروح في كتابه «الروح»، وقد نقله عنه السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٢٩)، وعزاه إليه، وذكره بنصه شارح الطحاوية من غير عزو، انظر: «شرح الطحاوية» ص(٤٣٣)، وقد قال ابن القيم بعد سياقه لهذا التعريف: «وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة، وذكر مائة وخمسة عشر دليلاً فأجاد وأفاد وزيف كلام ابن سينا وابن حزم وأمثالهما.

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقوله: ﴿وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقوله: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦ ـ ٣٠]، وقوله: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٤]، فالذي يمسك، وتتوفاه الملائكة، ويبلغ الحلقوم، ويبلغ التراقي، والذي يساق ـ لا بد أن يكون شيئًا حقيقيًّا مخالفًا للجسد.

وقد سقنا الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ أن ملك الموت يقبض الروح، وأن الملائكة تضع تلك الروح في كفن في الجنة أو النار بحسب فلاحها أو فسادها، وأنه يذهب بها في رحلة علوية سماوية، حيث تفتح لها أبواب السماء إن كانت صالحة، وتغلق دونها إن كانت طالحة، وأنها تعاد إلى الجسد. وتسأل وتعذب أو تنعم، وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، وأرواح المؤمنين طير يعلق شجر الجنة، وأن الروح إذا قبض تبعه البصر، إلى غير ذلك من النصوص الدالة في مجموعها دلالة قاطعة على أن الأرواح شيء آخر غير الأبدان، وأنها تبقى بعد مفارقة البدن.

مَسكن الرُّوح في الجَسد

الروح تسري في بدن الإنسان كله، يقول ابن تيمية: «لا اختصاص للروح بشيء من الجسد، بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عرض في جميع الجسد، فإن الحياة مشروطة بالروح، فإذا كانت الروح في الجسد كان فيه حياة، وإذا فارقته الروح فارقته الحياة»[١].

(١) «رسالة العقل والروح»، «مجموعة الرسائل المنيرية» (٢/ ٤٧).

* تعلّق الروح بالبدن:

● قال شارح الطحاوية ص(٤٥١):

«الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرةُ الأحكام[١]:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا بحيث لا يبقي لها إليه التفات ألبتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلِّم[٢]، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه[٣].

وهذا الردّ إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة[٤].

---

(١) من «الروح» ص(٨٤).

(٢) في حديث أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«ما من أحد يسلم عليّ إلا رد اللَّه روحي حتى أرد عليه السلام»** أخرجه أبو داود في المناسك: باب زيارة القبور (٢/٢١٨/ح ٢٠٤١)، لكن انفرد به أبو صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد اللَّه بن قسيط، وصخر وإن كان من رجال مسلم إلا أنه اختلف فيه قول ابن معين، ويزيد بن قسيط، لا يصحح ما انفرد به جزمًا، وانظر: «تخريج الأرناؤوط» ص(٥٧٩).

(٣) وهذا خاص بوقت الدفن، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز: باب الصلاة على القبر بعد ما يدفن (٣/٢٠٤/ح ١٣٣٨)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/٢٢٠٠/ح ٢٨٧٠)، وانظر في إعادة الروح وقت السؤال ما جاء في كتاب «الروح» ص(٨٠) وما بعدها.

(٤) ومن ذلك رؤية الأنبياء ليلة الإسراء، فإنه ﷺ رأى أرواحهم دون أجسادهم، والأجساد في الأرض قطعًا إنما تبعث يوم بعث الأجساد، ولم تبعث قبل ذلك. وانظر في ذلك «الروح» ص(٨٥).

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدنُ معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا، فالنوم أخو الموت. فتأمل هذا يُزِحْ عنك إشكالات كثيرة».

* الروح مخلوقة:

● قال الشيخ الأشقر:

«ذهب فريق من الفلاسفة إلى أن الروح غير مخلوقة بل هي قديمة أزلية، ولكنها ليست من ذات الرب، ومقالتهم في الروح هي مقالتهم في العقول والنفوس الملكية، ويزعم من دخل من أهل الملل فيهم أنها هي الملائكة.

وذهب صنف آخر من زنادقة هذه الأمة وضلالها من المتكلمة والمتصوفة والمحدثة إلى أن الروح من ذات اللَّه، وهؤلاء ـ كما يقول ابن تيمية ـ أشرُّ قولاً من أولئك، وهؤلاء جعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت، وهو روحه، ونصف ناسوت وهو جسده: نصفه رب ونصفه عبد[1].

والحق الذي لا ينبغي أن يخالف فيه أن الروح مخلوقة مبتدعة، ويدل على ذلك أمور:

١ ـ الإجماع:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «روح الآدمي مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غيرُ واحد من أئمة المسلمين، مثل محمد بن نصر المروزي، الإمام المشهور، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف، أو من أعلمهم.

وكذلك أبو محمد بن قتيبة: قال في «كتاب اللقط» لما تكلم على خلق

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٤/ ٢٢٢).

الروح، قال: النسم الأرواح، قال: وأجمع الناس أن اللَّه خالق الجثة وبارئ النسمة، أي: الروح.

وقال أبو إسحاق بن شاقلا فيما أجاب به في هذه المسألة: سألت رحمك اللَّه عن الروح مخلوقة أو غير مخلوقة، قال: هذا مما لا يشك فيه من وفق للصواب، . . . إلى أن قال: والروح من الأشياء المخلوقة، وقد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة.

وصنف الحافظ أبو عبد اللَّه بن منده في ذلك كتابًا كبيرًا في (الروح والنفس) وذكر فيه من الأحاديث والآثار شيئًا كثيرًا، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي وغيره، والشيخ أبو يعقوب الخراز، وأبو يعقوب النهرجوري، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم، وقد نص على ذلك الأئمة الكبار، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في عيسى بن مريم، لا سيما في روح غيره كما ذكره أحمد في كتابه في «الرد على الزنادقة والجهمية»[(١)] .

٢ ـ الكتاب:

الأدلة من الكتاب الدالة على خلقها كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾، يقول شارح الطحاوية عقب استدلاله بهذه الآية: «فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما»[(٢)] ، ومن ذلك قول تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا** ﴾، وقوله جل وعلا لزكريا: ﴿ **وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا** ﴾ [مريم: ٩]، والإنسان اسم لروح الإنسان وبدنه، وخطاب

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٤/٢١٦).

(٢) «شرح الطحاوية» ص(٤٤٢).

اللَّه لزكريا لروحه وبدنه، يقول ابن تيمية: «الإنسان عبارة عن البدن والروح معا، بل هو بالروح أخص منه بالبدن، وإنما البدن مطية للروح.

٣ ـ **النصوص الواردة في السنة أن الأرواح تقبض**، وتوضع في كفن وحنوط تأتي بهما الملائكة، ويصعد بها، وتنعم وتعذب، وتمسك في النوم، وترسل، وكل هذا شأن المخلوق المحدث.

٤ ـ لو لم تكن مخلوقة مربوبة لما أقرت بالربوبية، وقد قال اللَّه للأرواح حين أخذ الميثاق على العباد وهم في عالم الذر ألست بربكم؟ قالوا: بلى، وذلك ما قرره الحق في قوله: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ...** ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وما دام هو ربهم فإنهم مربون مخلوقون.

٥ ـ لو لم تكن الأرواح مخلوقة فإن النصارى لا لوم عليهم في عبادتهم عيسى، ولا في قولهم إنه ابن اللَّه، أو هو اللَّه.

٦ ـ لو كانت الروح غير مخلوقة فإنها لا تدخل النار ولا تعذب، ولا تحجب عن اللَّه، ولا تغيب في البدن، ولا يملكها ملك الموت، ولما كانت صورة توصف، ولم تحاسب ولم تعذب، ولم تتعبد ولم تخف، ولم تَرج، ولأن أرواح المؤمنين تتلألأ، وأرواح الكفار سود مثل الفحم[1].

* أنواع النفوس:

أخبر الحق تعالى عن ثلاثة أنواع: النفس الأمّارة، والنفس المطمئنة، والنفس اللوامة، وليس المراد أن لكل إنسان ثلاثة نفوس، وإنما المراد أن هذه

---

(١) الأدلة الثلاثة الأخيرة استدل بها أبو سعيد الخراز، أحد أكابر المشايخ الأئمة من أقران الجنيد فيما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٢٠).

صفات وأحوال لذات واحدة.

وقال شارح الطحاوية بعد أن ذكر أنواع النفوس: «والتحقيق: أنها نفس واحدة، لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة»(١).

* بحث لابن القيم نفيس في موت النفوس:

● قال الإمام ابن القيم:

«المسألة الرابعة: أن الروح هل تموت أم الموت للبدن وحده؟

فقد اختلف الناس في هذا فقالت طائفة: تموت الروح وتذوق الموت؛ لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت، قالوا: وقد دلت الأدلة على أنه لا يبقى إلا اللَّه وحده قال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص: ٨٨]، قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت. قالوا: وقد قال تعالى عن أهل النار أنهم قالوا: ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين. فالموتة الأولى هذه المشهودة وهي للبدن والأخرى للروح، وقال آخرون: لا تموت الأرواح فإنها خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها اللَّه في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب، وقد قال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩].

---

(١) «شرح الطحاوية» ص(٤٤٥).

هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاقت الموت.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها. فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت. وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدمًا محضًا فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، كما سيأتي إن شاء اللَّه تعالى بعد هذا، وكما صرح به النص أنها كذلك حتى يردها اللَّه في جسدها.

وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله:

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخلف في الشجب

فقيل تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل تشرك جسم المرء في العطب»[1]

● ثم قال شيخ الإسلام ابن القيم:

فإن قيل: فعند النفخ في الصور هل تبقى الأرواح حية كما هي أو تموت ثم تحيى؟ قيل: قد قال تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ**﴾ [الزمر: ٦٨].

فقد استثنى اللَّه سبحانه بعض من في السماوات ومن في الأرض من هذا الصعق، فقيل: هم الشهداء، هذا قول أبي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير، وقيل: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وهذا قول مقاتل وغيره، وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم، ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها. قاله أبو إسحاق بن شاقلا من أصحابنا.

وقد نص الإمام أحمد على أن الحور العين والولدان لا يمتن عند النفخ في الصور، وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة لا يذوقون الموت فيها إلا الموتة الأولى،

---

(١) «الروح» ص(٤٥ ـ ٤٦)، وانظر: «شرح الطحاوية» ص(٤٤٦).

وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك الموتة الأولى، فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان، وأما قول أهل النار: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، فتفسير هذه الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

فكانوا أمواتًا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات، وصعق الأرواح عند النفخ في الصور ولا يلزم منه موتها»[1] .

● ثم يقول ـ رحمه اللَّه ـ:

ففي الحديث الصحيح: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور**» فهذا صعق في موقف القيامة إذا جاء اللَّه لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ تصعق الخلائق كلهم قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥].

ولو كان هذا الصعق موتًا لكانت موتة أخرى، وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال أبو عبد اللَّه القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور.

قال: وقد قال شيخنا أحمد بن عمرو: ظاهر حديث النبي صلى اللَّه عليه

---

(١) وقول ابن القيم هذا هو قول عبد اللَّه بن مسعود ﷺ وهو الراجح، وهو قول الجمهور، وتفسير آية غافر هو تفسير آية البقرة (٢٨).

وآله وسلم يدل على أن هذه الصعقة إنما هي بعد النفخة الثانية، نفخة البعث ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء، إنما هو بعد نفخة الصعق، ولما كان هذا قال بعض العلماء: يحتمل أن يكون موسى ممن لم يمت من الأنبياء وهذا باطل.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور حين تنشق السماوات والأرض قال: فتستقل الأحاديث والآثار. ورد عليه أبو العباس القرطبي فقال: يرد هذا قوله في الحديث الصحيح إنه حين يخرج من قبره يلقى موسى آخذًا بقائمة العرش. قال: وهذا إنما هو عند نفخة الفزع.

قال أبو عبد اللَّه: وقال شيخنا أحمد بن عمرو: والذي يزيح هذا الإشكال إن شاء اللَّه أن الموت ليس بعدم محض، وإنما انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا»[1].

• لطيفة:

«هناك أشياء لا يشملها حكم الفناء منها:

١ ـ الروح، فالروح لا تفنى.
٢ ـ الولدان المخلدون.
٣ ـ الحور العين.
٤ ـ خزان النار وخزنة الجنة.
٥ ـ العرش.
٦ ـ الكرسي.
٧ ـ الجنة.
٨ ـ النار.
٩ ـ اللوح.
١٠ ـ القلم.

(١) «الروح» لابن القيم ص(٤٥ ـ ٤٨).

١١ ـ عَجْب الذنب من الإنسان فمنها يركب الخلق يوم القيامة كما جاء في الحديث الصحيح.

١٢ ـ أجساد الأنبياء، جاء في «شرح النونية الكافية الشافية» (١/ ٩٧).

ثمانية حكم البقاء يعمّها ... من الخلق والباقون في حيّز العدم
هي العرش والكرسي ونار وجنة ... وشجب[١] وأرواح كذا الروح والقلم

● وقال الإمام ابن القيم في النونية:

«والعرش والكرسي لا يفنيهما ... أيضًا وأنهما لمخلوقان
والحور لا تفنى كذلك جنة الـ ... مأوى وما فيها من الولدان
ولأجل هذا قال جهم إنها ... عدم ولم تخلق إلى ذا الآن
والأنبياء فإنهم تحت الثرى ... أجسامهم حفظت من الديدان
ما للبلى بلحومهم وجسومهم ... أبدًا وهم تحت التراب يدان
وكذا عجب الظهر لا يبلى ... بلى منه تركب خلقة الإنسان»[٢]

مستقرّ الأرواح في البرزخ

● قال ابن القيم:

«وأما المسألة الخامسة عشرة وهي أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة؟ هل هي في السماء أم في الأرض؟ وهل هي في الجنة والنار أم لا؟ وهل تودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها فتنعم وتعذب فيها أم تكون مجردة؟.

---

(١) الشَّجب: الهلاك والحزن.

(٢) «النونية الكافية الشافية» لابن القيم (١/ ٩٥، ٩٦) شرح ابن عيسى.

فهذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها، وهي إنما تتلقى من السمع فقط، واختلف في ذلك:

● فقال قائلون: أرواح المؤمنين عند اللَّه شهداء كانوا أم غير شهداء، إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم، وهذا مذهب أبي هريرة وعبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهم.

● وقالت طائفة: هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها.

● وقالت طائفة: الأرواح على أفنية قبورها.

● وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت.

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد اللَّه: أرواح الكفار في النار. وأرواح المؤمنين في الجنة.

وقال أبو عبد اللَّه بن منده: وقال طائفة من الصحابة والتابعين: أرواح المؤمنين عند اللَّه عز وجل، ولم يزيدوا على ذلك. قال: وروي عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت بئر بحضرموت.

وقال صفوان بن عمرو: سألت عامر بن عبد اللَّه أبا اليمان: هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ فقال: إن الأرض التي يقول اللَّه تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. قال: هي الأرض التي يجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث، وقالوا: هي الأرض التي يورثها اللَّه المؤمنين في الدنيا.

● وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة. وأرواح

الكفار في سجين في الأرض السابعة تحت خد إبليس.

● وقالت طائفة: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكفار ببئر برهوت.

● وقال سلمان الفارسي: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، وأرواح الكفار في سجين. وفي لفظ عنه: «نسمة المؤمنين تذهب في الأرض حيث شاءت».

وقالت طائفة: أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله.

● وقالت طائفة أخرى، منهم ابن حزم: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها. قال: والذي نقول به في مستقر الأرواح هو ما قاله عز وجل ونبيه صلى اللَّه عليه وآله وسلم لا نتعداه، فهو البرهان الواضح، وهو أن اللَّه عز وجل قال: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**﴾ [الأعراف: ١١] فصح أن اللَّه تعالى خلق الأرواح جملة وكذلك أخبر صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**أن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»، وأخذ اللَّه عهدها وشهادتها بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة، قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم، وقبل أن يدخلها في الأجساد، والأجساد يومئذ تراب وماء، ثم أقرها حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المني، إلى أن قال: فصح أن الأرواح أجساد حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر، وأنها عارفة مميزة فيبلوهم اللَّه في الدنيا كما يشاء، ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول اللَّه صلى اللَّه

عليه وآله وسلم ليلة أسري به، عند سماع الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، وذلك عند منقطع العناصر ويعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة.

وقال: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي، عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلنا بعينه. قال: وعلى هذا أجمع أهل العلم. قال ابن حزم ـ وهو قول جميع أهل الإسلام ـ قال: وهذا هو قول اللَّه تعالى: ﴿**فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ**﴾ [الواقعة: ٨ ـ ١٤] ، وقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩] إلى آخرها. فلا تزال الأرواح هنالك؛ حتى يتم عدد الأرواح كلها بنفخها في الأجساد، ثم برجوعها إلى البرزخ، فتقوم الساعة ويعيد اللَّه عز وجل الأرواح إلى أجسادها ثانية، وهي الحياة الثانية ويحاسب الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير مخلدين أبدًا، انتهى.

● وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم.

● قول من قال: الأرواح على أفنية قبورها.

فإن أراد أن هذا أمر لازم لها لا تفارق أفنية القبور أبدًا، فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة من وجوه كثيرة، قد ذكرنا بعضها وسنذكر منها ما لم نذكره إن شاء اللَّه، وإن أراد أنها تكون على أفنية القبور وقتًا أو لها إشراف على قبورها وهي في مقرها فهذا حق، ولكن لا يقال مستقرها أفنية القبور.

وقد ذهب إلى هـذا المذهب جماعة منهـم أبو عمر بن عبد الـبر قال في كتابـيه في شرح حديـث ابن عمر: «إن أحدكم إذا مـات عرض عليه مـقعد، بالغداة والـعشي» وقد استدل به مـن ذهب إلى أن الأرواح على أفنيـة القبور، وهو أصح ما ذهب إليه في ذلك مـن طريق الأثر. ألا ترى أن الأحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة، وكذلك أحاديث السلام على القبور.

● قال ابن القيم:

«هذا القـول ترده السنة الصـحيحة والآثار الـتي لا مدفع لها، وقـد تقدم ذكرها وكل ما ذكره مـن الأدلة فهو يتناول الأرواح التي هي فـي الجنة بالنص. وفي الرفيق الأعلى وقد بينا أن عرض مقعد الميت عليه من الجنة أو النار لا يدل على أن الـروح في القبـر، ولا على فنائـه دائمًا من جمـيع الوجوه، بـل لها إشراف واتصال بالقبر وفنائه وذلك القدر مـنها يعرض عليه مقعده، فإن للروح شأنًا آخر تكون في الـرفيق الأعلى في أعلى عليين، ولها اتصـال بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على الميت رد اللَّه عليه روحه فيرد عليه السلام، وهي في الملأ الأعلى، وإنما يـغلط أكثر الناس في هـذا الموضع، حيث يعتـقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغـلت مكانًا لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض بل الروح تكون فوق الـسماوات في أعلى عليين، وترد إلى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلِّم، وهي في مكانها هناك وروح رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم في الرفيق الأعلى دائمًا، ويردها اللَّه سبحانه إلى القبر فترد السلام على من سـلم عليه، وتسمع كلامه، وقد رأى رسول الـلَّه صلى اللَّه عليـه وآله وسلم مـوسى قائمًـا يصلي فـي قبره ورآه في الـسماء الـسادسة أو السابعـة، فإما أن تكون سريـعة الحركة والانتقـال كلمح البصـر، وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء.

● وقال مجاهد: الأرواح على أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارق ذلك. والله أعلم.

● وقالت فرقة مستقرها العدم المحض، وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن. كحياته وإدراكه فتعدم بموت البدن، كما تعدم سائر الأعراض المشروطة بحياته، وهذا قول مخالف لنصوص القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين.

والمقصود: أن عند هذه الفرقة المبطلة أن مستقر الأرواح بعد الموت العدم المحض.

● وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أرواح أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الأرواح، فتصير النفس السبعية إلى أبدان السباع، والكلبية إلى أبدان الكلاب، والبهيمية إلى أبدان البهائم، والدنية والسفلية إلى أبدان الحشرات، وهذا قول المناسخة منكري المعاد، وهو قول خارج عن أقوال أهل الإسلام كلهم. فهذا ما تلخص لي من جمع أقوال الناس في مصير أرواحهم بعد الموت، ولا تظفر به مجموعًا في كتاب واحد، غير هذا ألبتة.

● وأما قول مجاهد ليست هي في الجنة، ولكن يأكلون ثمارها ويجدون ريحها، فقد يحتج لهذا القول بما رواه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية**»، وهذا لا ينافي كونهم في الجنة، فإن ذلك النهر من الجنة ورزقهم يخرج عليهم من الجنة، فهم في الجنة، وإن لم يصيروا إلى مقاعدهم منها، فمجاهد نفى الدخول الكامل من

كل وجه والتعبير يقصر عن الإحاطة بتمييز هذا من هذا وأكمل العبارة وأدلها على المراد عبارة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ثم عبارة أصحابه، وكلما علوت رأيت الشفاء والهدى والنور، وكلما نزلت رأيت الحيرة والدعاوى والقول بلا علم.

* الرأي الراجح:

بعد عرض ما سبق يترجح لنا أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت.

● **أولاً**: **أرواح الأنبياء**، وهذه تكون في خير المنازل في أعلى عليين، في الرفيق الأعلى، وقد سمعت السيدة عائشة الرسول ﷺ في آخر لحظات حياته يقول: «**اللَّهم الرفيق الأعلى**»[1] ، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء. وهذا قول ابن القيم وشارح الطحاوية.

قال ابن رجب: في «أهوال القبور» ص(١٢٤):

«أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فليس فيهم شك أن أرواحهم عند اللَّه في أعلى عليين».

●**ثانيًا**: **أواح الشهداء**، وهؤلاء أحياء عند ربهم يرزقون، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقد سأل مسروق عبد اللَّه بن مسعود عن هذه الآية، فقال: «إنا قد سألنا رسول اللَّه ﷺ عن ذلك، فقال: «**أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم**

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب الرقاق: باب من أحب لقاء اللَّه، «فتح الباري» (١١/ ٣٥٧).

تأوي إلى تلك القناديل» رواه مسلم في صحيحه[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللّه ﷺ : «**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل اللّه أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظل العرش، فلمّا وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ عنا إخواننا أنّا أحياء في الجنة نرزق، لئلا ينكلوا عن الحرب، ولا يزهدوا في الجهاد، قال: فقال اللّه عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل اللّه تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** [آل عمران: ١٦٩][٢] .

وفي «صحيح البخاري» عن أنس رضي الله عنه، قال: أصيب حارثة يوم بدر ـ وهو غلام ـ، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول اللّه قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة صبرت واحتسبت، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع؟ قال: «**ويحك أو هبلت؟ جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس**»[٣] .

وخرّج الترمذي، والحاكم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**رأيت في الجنة جعفر يطير مع الملائكة**»[٤] .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٨٧) في الإمارة: باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، والترمذي رقم (٣٠١٤ و٣٠١٥) في التفسير: باب ومن سورة آل عمران.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦)، وأبو داود رقم (٢٥٢٠) في الجهاد: باب ما جاء في فضل الشهادة، وصححه الحاكم (٢/ ٨٨)، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٣) البخاري رقم (٢٨٠٩) في الجهاد: باب من أتاه سهم غرب فقتله، ورقم (٣٩٨٢) في المغازي: باب فضل من شهد بدرًا ورقم (٦٥٥٠ و٦٥٦٧) في الرقاق: باب صفة الجنة والنار، والترمذي رقم (٣١٧٣) في «التفسير»: باب ومن سورة المؤمنين.

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٧٦٧) في المناقب: باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي سنده عبد اللّه بن جعفر بن نجيح السعدي، وهو ضعيف، وصححه الحاكم (٣/ ٢٠٩). قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٧٦): وله شاهد من حديث علي عند ابن سعد، وقال: أخرجه =

وقال رضي الله عنه: كان رسول اللَّه ﷺ تعجبه الرؤيا الحسنة، فكان فيما يقول: «**هل رأى أحد منكم رؤيا؟**»، فإذا رأى الرجل الذي لا يعرفه الرؤيا، سأل عنه، فإن أخبر عنه بمعروف كان أعجب لرؤياه. قال: فجاءت امرأة فقالت: يا رسول اللَّه رأيت في المنام كأني خرجت فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة ارتجت لها الجنة، فإذا أنا بفلان وفلان، حتى عدَّت اثني عشر رجلاً ـ وبعث رسول اللَّه ﷺ سريَّة قبل ذلك، فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم. فقال: اذهبوا بهم إلى نهر البرزخ، فغمسوا فيه، فأخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، وأتوا بكراسي من ذهب فأقعدوا عليها، وجيء بصفحة من ذهب فيها بسرة، فأكلوا من بسره ما شاؤوا، فما يقلبونها لوجه إلا أكلوا من فاكهة ما شاؤوا، قالت: وأكلتُ معهم. قال: فجاء البشير من تلك السرية، فقال: يا رسول اللَّه! كان كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلاً، فقال: عليّ بالمرأة، فقال: «**قصِّي رؤياك على هذا**». فقال الرجل: هو كما قالت، أصيب فلان وفلان»[1] وهذا كله للشهيد الذي يُقتل في سبيل اللَّه في القتال. وهذه أرواح بعض الشهداء لا كل الشهداء؛ لأن منهم من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، كما في «المسند» عن عبد اللَّه بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، ما لي إن قتلت في سبيل اللَّه؟ قال: «**الجنّة**»، فلما ولّى: قال: «**إلا الدين، سارني به جبريل آنفًا**»[2].

= الطبراني بإسناد حسن أن رسول اللَّه ﷺ قال لعبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب: «هنيئًا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء».

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٥و ٢٥٧)، وأبو يعلى (٦/ ٤)، وابن أبي الدنيا في «المنامات» ص(١٧٦) رقم (٣١١)، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٧٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٥٠)، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني في «تعليقه على شرح الطحاوية» ص(٤٤٥): صحيح.

● **الثالث: أرواح المؤمنين الصالحين**: تكون طيوراً تعلق شجر الجنة، ففي الحديث الذي يرويه عبد الرحمن بن كعب بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما نسمة المسلم طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها اللَّه إلى جسده إلى يوم القيامة**» رواه أحمد[1].

● قال ابن القيم ص(٩٠):

قال قائلون: أرواح المؤمنين عند اللَّه تعالى في الجنة، شهداء كانوا أم غير شهداء، إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دَيْن ويلقاهم ربهم بالعفو عنهم، وهذا مذهب أبي هريرة وعبد اللَّه بن عمر ﷺ.

● وقال الألباني في التعليق على «الآيات البينات» ص(٩٩) عند ذكر كلام ابن القيم:

قلت: وهو الصحيح من الأقوال الآتية؛ لأن غيره مما لا دليل عليه في السنة، أو في أثر صحيح تقوم به الحجة كما سترى، وهو الذي جزم به شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٤/ ٣٦٥) وقال: «ومع ذلك فتتصل بالبدن متى شاء اللَّه، وذلك في اللحظة، بمنزلة نزول الملك، وظهور الشعاع في الأرض، وانتباه النائم».

وللحافظ ابن رجب تفصيل جيد في ذلك، في كتابه «الأهوال» (ق ٩٥ - ٣/١١٣)، ولولا خشية الإطالة لنقلته برمته، فاكتفيت بالإشارة.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: إسناده عزيز عظيم، وصححه ابن رجب في «أهوال القبور»، وهو مسلسل بالأئمة أحمد عن الشافعي عن مالك، وأورده الشيخ ناصر الدين الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/ ٧٣٠/ح ٩٩٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ورواه ابن ماجه في «سننه»، ومالك في «موطئه»، والنسائي بلفظ: «**إن أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر، تعلق بشجر الجنة**».

والفـرق بين أرواح المـؤمنـين وأرواح الشـهداء، أن أرواح الـشهـداء في حواصل طير خضر تسرح متنقلة فـي رياض الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، أما أرواح المؤمنين فإنها في أجواف طيـر يعلق ثمر الجنة ولا ينتقل في أرجائها. وكون أرواح المـؤمنين طيرًا يعلق شـجر الجنة لا يشكل علـيه الحديث الآخر الذي يرويه أبو هريرة عن الرسـول ﷺ، وفيه أن الملائكة تقبض روح العبد المؤمن، وترقى به إلى السماء، فتقول الملائكة: «**ما أطيب هذه الـريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلـهم أشدُّ فرحًا من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه، فإنه كان في غم الدنيا، فيقول: قد مات، أما أتـاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية**»[1]، فـإن روح المؤمن تلتقي بأرواح المؤمنين في الجنّة.

● قال الإمـام ابن القيـم في كتابـه «الروح» ص(١٣٢) منبـهًا على فـضل الشهادة وعلو درجتها:

«نصيبهم - أي الشهداء من هذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت علـى فراشه أعلى درجة منهم، فله نعيم يختـص به ولا يشاركه فيه مـن هو دونه، ويدل على هذا أن اللّـه سبحانه جعل أرواح الشـهداء في أجواف طير خـضر، فإنهم بذلـوا أنفسهم للّـه حتى أتلفها أعداؤه فيه أعـاضهم منها في البرزخ أبدانًا خيرًا منهـا تكون فيها إلى يوم القيامة، ويـكون نعيمها بواسـطة تلك الأبدان أكمل من نـعيم الأرواح المجردة عنها، ولهـذا كانت نسمة المؤمن في صـورة طير أو كطير، ونسمة الـشهيد في جوف طير، وتأمل لفظ الحديثين فإنه قال: «**نسمة المؤمن طير**» فهذا يعم الشهيد

---

(١) رواه النسائي، كتاب الجنائز: باب ما يلقى المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه (٤/ ٨).

وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: «**في جوف طير**»، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فصلوات اللَّه وسلامة على من يصدق كلامه بعضه بعضًا، ويدل على أنه حق من عند اللَّه، وهذا الجمع أحسن من جمع أبي عمر وترجيحه رواية من روى أرواحهم، كطير خضر، بل الروايتان حق وصواب، فهي كطير خضر وفي أجواف طير خضر».

● قال ابن القيم في «الروح» ص(١٣٠ ـ ١٣١):

«نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» يتناول الشهيد وغيره ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها. وأما المقعد الخاص به والبيت الذي أعد له، فإنه إنما يدخله يوم القيامة ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد اللَّه لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعًا، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش، فإن الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة، ودخول الأرواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك.

ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدوًا وعشيًّا، فإذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم، التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ فتنعم الأرواح بالجنة في البرزخ شيء، وتنعمها مع الأبدان بها يوم القيامة شيء آخر، فغذاء الروح من الجنة في البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث. ولهذا قال: تعلق في شجر الجنة، أي تأكل العلقة، وتمام الأكل والشرب واللبس والتمتع فإنما يكون إذا ردت إلى أجسادها يوم القيامة، فظهر أنه لا يعارض هذا القول من السنن شيء، وإنما تعاضده السنة وتوافقه.

«وأما النصوص والآثار التي ذكرت في رزق الشهداء وكون أرواحهم في الجنة، فكلها حق، وهي لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة، ولا

سيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس، فيقال لهؤلاء: ما تقولون في أرواح الصديقين هل هي في الجنة أم لا؟ فإن قالوا: إنها في الجنة ولا يسوغ لهم غير هذا القول، فثبت أن هذه النصوص لا تدل على اختصاص أرواح الشهداء بذلك».

● قال الإمام ابن رجب الحنبلي في بحثه الطيب في «أهوال القبور» ص(١٦٥):

«والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشهداء تخلق لها أجساد، وهي الطير التي تكون في حواصلها، ليكمل بذلك نعيمها، ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل اللَّه، فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ.

والثاني: أنهم يرزقون في الجنة، وغيرهم لم يثبت له في حقه مثل ذلك، فإنه جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة. وروي يعلقون بفتح اللام وضمها، فقيل: إنهما بمعنى وأنَّ المراد الأكل من الشجر. قال ابن عبد البر. وقيل: بل رواية الضم معناها الأكل، ورواية الفتح معناها التعلق. وهو التستر. وبكل حال فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعمهم بالأكل، واللَّه أعلم».

● **تنبيه هام**: أجاد العلاّمة ابن رجب في بحثه الطيب في مقر الأرواح في البرزخ عندما تكلم عن غير الشهداء من المؤمنين وقسمهم إلى قسمين:

أ ـ غير مكلفين.　　ب ـ مكلفين.

وعند حديثه على المكلفين نقل المنصوص عن أحمد: أن أرواح المؤمنين في الجنة. . . ».

* أطفال المؤمنين في الجنة حكى الإمام أحمد الإجماع على ذلك:

● قال الإمام ابن رجب الحنبلي في «أهوال القبور» (١٣٢ ـ ١٣٧):

«بقيّة المؤمنين سوى الشهداء ينقسمون إلى: أهل تكليف، وغير أهل تكليف، فهذان قسمان.

أحدهما: غير أهل التكليف: كأطفال المؤمنين.

فالجمهور على أنهم في الجنة. وقد حكى الإمام أحمد الإجماع على ذلك.

وقال ـ في رواية جعفر بن محمد ـ: ليس فيهم اختلاف، يعني: أنهم في الجنة.

وقال ـ في رواية الميموني ـ: لا أحد يشكّ أنهم في الجنة.

وذكر الخلال، من طريق حنبل، عن أحمد، قال: نحن نقر بأن الجنة قد خلقت، ونؤمن بها والجنة والنار مخلوقتان، قال اللَّه عز وجل: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ [غافر: ٤٦]، لآل فرعون، وقال: أرواح ذراري المسلمين، في أجواف طير خضر، تسرح في الجنة، يكفلهم أبوهم إبراهيم، فيدل هذا على أنهما قد خلقتا.

وكذلك نص الشافعي على أن أطفال المسلمين في الجنة.

وجاء صريحًا عن السلف على أن أرواحهم في الجنة ويدل على صحة ذلك ما في «صحيح مسلم» عن أنس قال: لما توفي إبراهيم عليه السلام، قال النبي ﷺ: «**إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظِئْرَيْن فيكملان**

رضاعه في الجنة»[1] . وخرج ابن ماجه نحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم عليه السلام في الجنة»**[2] .

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«أولاد المسلمين في جبل في الجنة، يكفلهم إبراهيم وسارة - عليهما السلام - فإذا كان يوم القيامة دُفِعوا إلى آبائهم»**[3] .

وعند البخاري: عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى في منامه جبرائيل وميكائيل أتياه فانطلقا به، وذكر حديثًا طويلاً، وفيه: **«فإذا روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وإذا شيخ في أصلها حوله صبيان، فصعدا بي الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فإذا فيها رجال وشيوخ وشباب وفيها نساء وصبيان»**، وذكر الحديث وفيه: **«قالا: فأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة فذاك إبراهيم وأما الصبيان الذي رأيت حوله فأولاد الناس»**، وفي رواية: **«فكل مولود مات على الفطرة، وأما الدار التي دخلت أولاً فدار عامة المؤمنين، وأما الدار الأخرى فدار عامة الشهداء»**[4] .

---

(١) مسلم رقم (٢٣١٦) في الفضائل: باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه، من حديث أنس رضي الله عنه، وابن ماجه رقم (١٥١١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأحمد (٤/ ٢٨٤ و٢٨٥ و٢٩١ و٣٠٠ و٣٠٢ و٣٠٤) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما. ورواه أيضًا البخاري رقم (١٣٨٢) و(٣٢٥٥) و(٦١٩٥) من حديث البراء.

(٢) ابن حبان رقم (١٨٢٦) «موارد»، والحاكم (٢/ ٣٧٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٦)، وهو حديث حسن «الأحاديث الصحيحة» رقم (٦١٣).

(٣) صححه الحاكم (١/ ٣٨٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) البخاري رقم (٨٤٥) و(٤٧ - ٢٧) في التعبير: باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، وفي =

● وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**بينا أنا نائم انطلق بي إلى جبل وعر**»، فذكر الحديث، وفيه: «**ثم انطلق بي حتى أشرفت على غلمان يلعبون بين نهرين، قلت: من هؤلاء؟ قال: ذراري المؤمنين يحضنهم أبوهم إبراهيم عليه السلام، ثم انطلق بي حتى أشرفت على ثلاثة نفر، قلت: من هؤلاء؟ قال: إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وهم ينتظرونك**»[1] .

وذهبت طائفة إلى أنه يشهد لأطفال المؤمنين عمومًا أنهم في الجنة ولا يشهد لآحادهم، كما يشهد للمؤمنين عمومًا أنهم في الجنة، ولا يشهد لآحادهم وهو قول إسحاق بن راهويه، نقله عنه إسحاق بن منصور وحرب في مسائلهما. ولعل هذا يرجع إلى الطفل المُعَيَّن لا يُشْهَد لأبيه بالإيمان، فلا يُشْهَد له حينئذ أنه من أطفال المؤمنين، فيكون الوقف في آحادهم كالوقف في إيمان آبائهم.

وحكى ابن عبد البر عن طائفة من السلف القول بالوقف في أطفال المؤمنين، وسمى منهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، وإسحاق، وهذا بعيد جداً. ولعله أخذ ذلك من عمومات كلام لهم، وإنما أرادوا بها أطفال المشركين.

وكذلك اختار القول بالوقف طائفة منهم: الأثرم، والبيهقي، وذكر أنّ ابن عباس رجع إليه. والإمام أحد ذكر أن ابن عباس إنما قال ذلك في أطفال المشركين، وإنما أخذه البيهقي من عموم لفظ رُوي عنه، كما أنه روي في بعض ألفاظ حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ سُئِل عن الأطفال، فقال: «**اللَّه أعلم**

كتب أخرى، ومسلم رقم (٢٢٧٥) في الرؤيا: باب رؤيا النبي ﷺ، والترمذي رقم (٢٢٩٥)، وأحمد (٨/٥).

(١) الطبراني في «الكبير»، وصححه الحاكم (٢/ ٢١٠)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

بما كانوا عاملين»[١] ـ ولكن الحفاظ الثقات ذكروا أنه سئل عن أطفال المشركين.

واستدل القائلون بالوقف، بما أخرجه مسلم، من حديث فضيل بن عمرو، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين ﵂، قالت: توفي صبي، فقلت: طوبى له، عصفور من عصافير الجنة. فقال رَسول اللَّه ﷺ: «**أو لا تدرين أن اللَّه خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً، ولهذه أهلاً**»[٢].

وخرّجه مسلم ـ أيضًا ـ، من طريق طلحة بن يحيى، عن عمّته عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين ﵂، قالت: دُعي رسول اللَّه ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول اللَّه طوبى لهذا، عصفور من عصافير أهل الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه. قال رسول اللَّه ﷺ: «**أو غير ذلك يا عائشة، إن اللَّه خلق للجنَّة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**»[٣].

ويعارض هذا ما خرّجه مسلم، من حديث أبي السليل، عن أبي حسان، قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنتان، فما أنت محدثي عن رسول اللَّه ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا، قال: نعم، صغارهم دَعَامِيص أهل الجنة، يتلقى أحدهم أباه ـ أو قال أبويه ـ فيأخذ بثوبه، أو قال

---

(١) البخاري رقم (١٣٨٤) في الجنائز: باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (٦٥٩٨، ٦٦٠٠) في القدر: باب اللَّه أعلم بما كانوا فاعلين، ومسلم رقم (٢٦٥٩) في القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، والنسائي (٤/ ٥٨) في الجنائز: باب أولاد المشركين.

(٢) مسلم رقم (٢٦٦٢) في القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، والنسائي (٤/ ٥٧) في الجنائز: باب الصلاة على الصبيان، وأبو داود رقم (٤٧١٣) في السنة: باب في ذراري المشركين، وأحمد (٦/ ٤١ و٢٠٨)، وابن ماجه رقم (٨٢).

(٣) مسلم رقم (٢٦٦٢) (٣٠).

بيده - كما آخذ أنا بصَنِفة ثوبك هذا - فلا يتباهى أو قال: فلا ينتهي حتى يدخله اللَّه وأباه الجنة»[١] .

وفي «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث إلا أدخله اللَّه الجنة بفضل رحمته إياهم**»[٢] . ولهذا قال الإمام أحمد: «هو يرجى لأبويه، فكيف يُشك فيه. يعني: أنه يرجى لأبويه بسببه دخول الجنة.

ولعل النبي صلى الله عليه وسلم نهى أولاً عن الشهادة لأطفال المسلمين بالجنة قبل أن يطلع على ذلك؛ لأن الشهادة على ذلك تحتاج إلى علم به، ثم اطلع على ذلك فأخبر به، واللَّه أعلم.

● **الرابع: أرواح العصاة**: سبق أن أوردت النصوص التي تبين ما يلاقيه العصاة من العذاب، فمن ذلك أن الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق يعذب بكلوب من حديد يدخل في شدقه حتى يبلغ قفاه، والذي نام على الصلاة المكتوبة يشدخ رأسه بصخرة، والزناة والزواني يعذبون في ثقب مثل التنور ضيق أعلاه وأسفله واسع، توقد النار من تحته، والمرابي يسبح في بحر من دم، وعلى الشط من يلقمه حجارة. وقد ذكرنا الأحاديث التي تتحدث عن عذاب الذي لم يكن يستنزه من بوله، والذي يمشي بالنميمة بين الناس، والذي غلَّ من الغنيمة ونحو ذلك.

---

(١) مسلم رقم (٢٦٣٥) في البر والصلة والآداب: باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه.

(٢) البخاري رقم (١٢٤٨) في الجنائز: باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ورقم (١٣٨٢) باب ما قيل في أولاد المسلمين، والنسائي (٤/ ٢٤) في الجنائز: باب ثواب من احتسب ثلاثة من صلبه.

● قال ابن القيم:

«ومنهم من يكون محبوسًا في قبره، كحديث صاحب الشملة التي غَلّها ثم استشهد، فقال الناس: هنيئًا له بالجنة، فقال له النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلّها لتشتعل عليه نارًا في قبره**»[(١)] .

● قال ابن رجب الحنبلي ص(١٤٦ - ١٤٧):

وإنما تدخل أرواح المؤمنين والشهداء الجنة إذا لم يمنع من ذلك مانع، من كبائر تستوجب العقوبة، أو حقوق آدميين حتى يبرأ منها.

● وعن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «**من فارق الروحُ الجسد، وهو بريء من ثلاث، دخل الجنة: من الكبر، والغلول، والدَّين**»[(٢)] .

● **الخامس:**

● قال ابن القيم: «ومنهم: مَن يكون محبوسًا على باب الجنة كما في الحديث الآخر: «**رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنة**».

وعن سمرة بن جندب، قال: صلى بنا رسول اللَّه ﷺ فقال: «**ها هنا أحد من بني فلان؟**» ثلاثًا، فلم يجبه أحد، ثم أجابه رجل، فقال: «**إن فلانًا الذي توفي احتبس عن الجنة من أجل الدَّين الذي عليه، فإن شئتم فافْتَكُّوه، أو فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب اللَّه عز وجل**»[(٣)] .

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، ومالك في «الموطأ»، وأبو داود، والنسائي.

(٢) أحمد في «المسند» (٥/ ٢٨١ و٣٧٦)، والترمذي رقم (١٥٧٢ و١٥٧٣) في السير: باب ما جاء في الغلول، وابن ماجه رقم (٢٤١٢) في الصدقات: باب التشديد في الدين، وهو حديث صحيح. انظر: «المشكاة» رقم (٢٩٢١).

(٣)أبو داود رقم (٣٣٤١) في البيوع: باب في التشديد في الدين، والنسائي (٧/ ٣٢٥) فيه: باب التغليظ في الدين، والحاكم (٢/ ٢٥) وإسناده حسن. انظر: «جامع الأصول» رقم (٢٥٣٣).

● **السادس: من يكون مقرّه باب الجنة:**

● قال ابن القيم في «الروح» ص(١٥٤):

ومنهم: من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس: «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية**» رواه أحمد، وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله اللَّه من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

● **السابع: أرواح الكفار:** في حديث أبي هريرة عند النسائي بعد وصف حال المؤمن إلى أن يبلغ مستقره في الجنة، ذكر حال الكافر، وما يلاقيه عند النزع، وبعد أن تقبض روحه «**تخرج منه كأنتن ريح، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح، حتى يأتون به أرواح الكفار**»[1] .

● قال ابن القيم في كتاب «الروح» ص(١٥٤ ـ ١٥٥):

«ومنهم: من يكون محبوسًا في الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى، فإنها كانت روحًا سفلية أرضية، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية، كما لا تجامعها في الدنيا والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه، بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك، كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة اللّه وذكره والتقرب إليه والأنس به، تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة، واللَّه تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ، ويوم المعاد، كما تقدم في الحديث. ويجعل روحه

---

(١) رواه النسائي في «سننه»، كتاب الجنائز: باب ما يلقي المؤمن الكرامة عند خروج نفسه (٨/٤).

ـ يعني المؤمن ـ مع النسيم الطيب، أي: الأرواح الطيبة المشاكلة لروحه، فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وإخوانها وأصحاب عملها، فتكون معهم هناك».

• **الثامن: أطفال المشركين والراجح أنهم في الجنة:**

اختلف العلماء في الأطفال الذين ماتوا وهم صغار.

• قال ابن حجر في «الفتح»:

اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في هذه المسألة على أقوال:

أحدها: أنهم في مشيئة اللَّه تعالى، وهو منقول عن الحمادين، وابن المبارك، وإسحاق، ونقله البيهقي عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة، قال ابن عبد البر، وهو مقتضى صنيع مالك، وليس عنده في هذه المسألة شيء منصوص.

ثانيها: أنهم تبع لآبائهم، فأولاد المسلمين في الجنة وأولاد الكفّار في النار وحكاه ابن حزم عن الأزارق من الخوارج.

ثالثها: أنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار؛ لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة، ولا سيئات يدخلون بها النار.

رابعها: خدم أهل الجنة.

خامسها: أنهم يصيرون ترابًا.

سادسها: هم في النار حكاه عياض عن أحمد، وغلّطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ولا يُحفظ عن الإمام أصلاً.

سابعها: أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم نار، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن أَبَى عُذِّب. وقد صحّت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في «كتاب

الاعتقاد» بأنه المذهب الصحيح.

ثامنها: أنهم في الجنة. قال النووي: **وهو المذهب الصحيح المختار** الذي صار إليه المحققون، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ وإذا كان لا يعذب العاقل كونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى ـ وهو الذي صار إليه البخاري.

ـ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهوّدناه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه...**»[1].

ـ ولحديث سمرة وفيه: «... **والشيخ بأصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله أولاد الناس**»، وقد أخرجه البخاري في التعبير بلفظ: «**وأما الولدان الذين حوله فكل مولود يُولد على الفطرة**». فقال بعض المسلمين: وأولاد المشركين؟ فقال: «**وأولاد المشركين**».

ـ وروى أحمد من طريق خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمتها قالت: «قُلت: يا رسول اللّه مَن في الجنة؟ قال: «**النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة**» إسناده حسن.

ـ وروى أبو يعلى من حديث أنس مرفوعًا: «**سألتُ ربي اللاّهين من ذرية البشر ألاّ يعذبهم فأعطانيهم**» إسناده حسن، وورد تفسير «اللاهين» بأنهم الأطفال من حديث ابن عباس مرفوعًا أخرجه البزّار.

تاسعها: الوقف.

عاشرها: الإمساك وفي الفرق بينهما دقة»[2].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز: باب ما قيل في أولاد المشركين.

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

* قول نفيس للشيخ الدكتور ياسر برهامي للَّه دره:

● قال الشيخ الحبيب في كلامه على حديث سمرة بن جندب في كتابه «حياة القبر» ص(١٠): «وفي هذا الحديث الدليل الواضح لمذهب مَن قال: إن أطفال الكفار الذين يموتون دون البلوغ يموتون على الفطرة، وفي بعض طرق الحديث: «قالوا: يا رسول اللَّه! وأولاد المشركين؟ فقال: **«وأولاد المشركين»**. فيكونون في الجنة مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذا القول هو أرجح الأقوال. ولم تثبت الأحاديث الواردة في امتحان الأطفال وكلها روايات ضعيفة، وإنما الصحيح امتحان من لم تبلغه الدعوة والهرم والأصم، والأحمق. وأما الأحاديث الصحيحة في قول النبي ﷺ عنهم: **«اللَّه أعلم بما كانوا عاملين»**، فليس فيه محاسبتهم على ما علم اللَّه أنهم كانوا يفعلونه لو عاشوا بل فيه توقفُ النبي ﷺ وردُّ العلم إلى اللَّه، بل قد ثبت هذا أيضًا في حق أولاد المسلمين في حديث عائشة في «الصحيح» في صبي من صبيان الأنصار.

وقد استفاضت الأدلة على أن أبناء المسلمين في الجنة ولا خلاف فيه عند أهل السنة كما ذكره الإمام أحمد وغيره. وأما حديث: **«الوائدة والموءودة في النار»** فقد فسره العلماء بأن معناه: «الموءودة له» أي: زوجها الذي رضي بذلك وأمر به. وهذا التأويل لا بدّ منه لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**﴾ [التكوير: ٨، ٩] فأنكر عز وجل عليهم قتلها بلا ذنب فلا يدخلها النار بلا ذنب واللَّه أعلم.

وأما حديث ابن عباس عن الغلام الذي قتله الخضر: «وأما الغلام فطُبع يوم طُبع كافرًا» أي: لو كان كبر لكان كافرًا وليس فيه أنه يعذب على ما كان

سيفعله لو كبر بل هذا من أبناء المسلمين وقد ذكرنا عدم الخلاف فيهم والله تعالى أعلم».

* من دُرر ابن قيم الجوزية في «النونية»:

قال ـ رحمه الله ـ:

فالشأن للأرواح بعد فراقها ... أبدانها والله أعظم شان
إما عذاب أو نعيم دائم ... قد نعمت بالروح والريحان
وتصير طيراً سارحًا مع شكلها ... تجني الثمار بجنة الحيوان
وتظل واردة لأنهار بها ... حتى تعود لذلك الجثمان
لكن أرواح الذي استشهدوا ... في جوف طير أخضر ريانِ
فلهم بذلك مزية في عيشهم ... ونعيمهم بالروح والأبدانِ
بذلوا جسومهم لربهم فأعاضهم ... أجسام تلك الطير بالإحسانِ
ولها قناديل إليها تنتهي ... مأوى لها كمساكن الإنسانِ
فالروح بعد الموت أكمل حالة ... منها بهذي الدار في جثمانِ
وعذاب أشقاها أشد من الذي ... قد عاينت أبصارنا بعيانِ

* عَود الأرواح إلى الأبدان في القبور مع كونها في الجنة أو النيران:

حاول ابن حزم أن يضعف الأحاديث التي تذكر إعادة الروح إلى البدن في القبر، ولكن ليس الأمر كذلك، فإن ما ضعفه ابن حزم وهو حديث زادان عن البراء حديث صحيح، وهناك أحاديث كثيرة صحيحة متواترة تدل على عود الروح إلى البدن كما يقول ابن تيمية [١]، وفي التوفيق بين النصوص يقول

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/٤٤٦).

ابن تيمية: «وأرواح المؤمنين في الجنــة، وإن كانت مع ذلك قد تعاد إلى البدن، كما أنها قــد تكون في البدن، ويعرج بــها إلى السماء كما فــي حال النوم، أما كونهــا في الجنة فــفيه أحاديث عــامّة، وقد نص علــى ذلك أحمد وغــيره من العلماء، واحتجوا بالأحاديث المأثورة العامة وأحاديث خاصة في النوم وغيره»(١) ثم ذكر بعض هذه الأحــاديث التي سقناها من قبــل، وأورد حديث أبي هريرة الذي رواه ابن حبان وغيره، والذي يذكر فيــه أن المؤمن يرى بعد السؤال مقعده من الجنة، ومقعده من الــنار لو كان كافرًا، قال: «**ثم يفسح له فــي قبره سبعون ذراعًا، وينور له فــيه، ويعاد جسده كما بــدئ، وتجعل نسمته في نــسم طيب، وهي طير تعلق في شجر الجنّة**»، وفي لفظ: «**وهو طير يعلق في شجر الجنة**»، وفي لفظ: «**ثم يعاد جسده إلــى ما بدئ منه**»(٢) فالروح ـ كما يدل عليه الحديث تعاد إلى الجسد بعد الرحلة إلى السماء، ثم تــسأل، ثم تكون طيرًا يعلق شجر الجنة إلى أن يبعــث العباد، ومع كونهــا في الجنة فإنه يبقــى لها تعلق بالجــسد، كحال الإنسان فــي النوم، فإنهــا تجول في ملــكوت السماوات والأرض، مــع أن لها تعلق بالجسد، وفقه هذا مبني على معرفة أن الروح مخالفة للأجساد وللمعهود من حال المخلوقات الدنــيوية، يقول ابن تيمية ـ رحمه اللَّــه تعالى ـ بعد أن ذكر أن مستقر أرواح المؤمنــين الجنة: «ومع ذلك تتصل بالبدن متــى شاء اللَّه تعالى، وهي في تــلك(٣) اللحظة بمنزلة نزول الملــك، وظهور الشعاع في الأرض وانتباه النائم»(٤).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٤٧).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٤٨).

(٣) في الأصل: وذلك في اللحظة.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٦٥).

وقال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٩٢):

«إن الروح تبقى بعد مفارقة البدن خلافًا لضُلاّل المتكلمين، وأنها تصعد وتنزل خلافًا لضلاّل الفلاسفة».

● قال الإمام ابن القيم:

«المسألة السادسة: هل تُعاد الروح في قبره وقت السؤال أم لا؟ فقد كفانا رسول اللَّه ﷺ أمر هذه المسألة وأغنانا عن أقوال الناس حيث صرّح بإعادة الروح إليه...»، ثم ساق حديث البراء...

ثم ذكر كلام ابن حزم في نفي إعادة الروح للجسد، فقال: «ونفيه خطأ، وقد دلّ عليه النص الصحيح والصريح وهو قوله ﷺ: «**فتعاد روحه في جسده**»[1].

● قال ابن القيم في «الروح» ص(٦٧):

«قال شيخ الإسلام - أي ابن تيمية - الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح إلى البدن وقت السؤال، وسؤال البدن بلا روح قول طائفة من الناس، وأنكره الجمهور، وقابلهم آخرون، فقالوا: السؤال للروح بلا بدن، وهذا قاله ابن مرّة، وابن حزم وكلاهما غلط، والأحاديث الصحيحة ترده، ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص».

* رؤيته ﷺ الأنبياء ليلة الإسراء:

● قال ابن القيم في كتابه «الروح» ص(٥٨ - ٦٠):

«وأما إخبار النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم عن رؤية الأنبياء ليلة أسري به، فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذي رآه أشباحهم وأرواحهم، قال:

---

(١) «الروح» ص(٥٤، ٥٧).

فإنهم أحـياء عند ربهم، وقـد رأى إبراهيم مسنـدًا ظهره إلى البيـت المعمور، ورأى موسى قائمًا فـي قبره يصلي. وقد نعت الأنبياء لمـا رآهم نعت الأشباح، فرأى موسى آدمًا ضربًا طوالاً كأنه من رجـال شنوءة، ورأى عيسى يقطر رأسه كأنما أخرج من ديماس، ورأى إبراهيم فشبهـه بنفسه ونازعهم في ذلك آخرون، وقالوا: هذه الرؤية إنما هي لأرواحـهم دون أجسادهم، والأجساد في الأرض قطعًا، إنمـا تبعث يوم بعـث الأجساد، ولم تبعـث قبل ذلك، إذ لو بعـثت قبل ذلك لكانت قد انشـقت عنها الأرض قبل يوم القيامة وكـانت تذوق الموت عند نفخة الصور، وهذه موتة ثالثة، وهذا باطل قطعًا، ولو كانت قد بعثت الأجساد من القبور لم يعدهم اللَّه إليها، بـل كانت في الجنة. وقد صح عن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أن اللَّه حرم الجنة عـلى الأنبياء حتى يدخلها هو، وهو أول من يستفتح باب الجنة، وهو أول من تـنشق عنه الأرض على الإطلاق لم تنشق عن أحد قبـله، ومعلوم بالـضرورة أن جسده صلى الـلَّه عليه وآله وسـلم في الأرض طري مطـرًا، وقد سأله الـصحابة كـيف تعرض صـلاتنا علـيك وقد أرمت؟ فقال: إن اللَّه حرم على الأرض أن تأكـل أجساد الأنبياء، ولو لـم يكن جسده في ضريحه لما أجاب بهذا الجواب.

وقد صح عنه أن اللَّه وكل بقبره ملائكة يبلغونه عن أمته السلام.

وصح عنه أنه خرج بين أبي بكر وعمر وقال: هكذا نبعث. هذا مع القطع بأن روحه الكريمة في الرفيق الأعلى فـي أعلى عليين، مع أرواح الأنبياء، وقد صح عنه أنـه رأى موسى قائمًا يصلـي في قبره ليلة الإسراء، ورآه فـي السماء السادسة أو السابعـة، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالـبدن في القبر وإشراف عليه، وتعـلق به بحيث يصلي فـي قبره ويرد سلام من سلم عـليه، وهي في الرفيق الأعلـى ولا تنافي بين الأمرين، فإن شـأن الأرواح غير شأن الأبدان،

وأنت تجد الروحين المتماثلتين المتناسبتين في غاية التجاور والقرب، وإن كان بينهما بعد المشرقين، وتجد الروحين المتنافرتين المتباغضتين بينهما غاية البعد وإن كان جسداهما متجاورين متلاصقين، وليس نزول الروح وصعودها وقربها وبعدها من جنس ما للبدن، فإنها تصعد إلى ما فوق السماوات، ثم تهبط إلى الأرض ما بين قبضها ووضع الميت في قبره وهو زمن يسير، لا يصعد البدن وينزل في مثله، وكذلك صعودها وعودها إلى البدن في النوم، واليقظة، وقد مثلها بعضهم بالشمس وشعاعها، فإنها في السماء وشعاعها في الأرض.

قال شيخنا: وليس هذا مثلاً مطابقًا، فإن نفس الشمس لا تنزل من السماء والشعاع الذي على الأرض ليس هو الشمس ولا صفتها، بل هو عرض حصل بسبب الشمس والجرم المقابل لها والروح نفسها تصعد وتنزل.

وأما قول الصحابة للنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في قتلى بدر: كيف تخاطب أقوامًا قد جيفوا - مع إخباره بسماعهم كلامه - فلا ينفي ذلك رد أرواحهم إلى أجسادهم ذلك الوقت ردًّا يسمعون به خطابه والأجساد قد جيفت. فالخطاب للأرواح المتعلقة بتلك الأجساد التي قد فسدت.

* هل أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟

- قال الإمام ابن القيم:

«المسألة الثانية في أن أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟»

فهي أيضًا مسألة شريفة كبيرة القدر وجوابها أن الأرواح قسمان: أرواح معذَّبة، وأرواح مؤمنة.

- **فالمعذّبة**: في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي.
- **والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة**: تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان

منها في الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها، وروح نبينا ﷺ في الرفيق الأعلى. قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وهذه المعية ثابتة في الدنيا، وفي البرزخ، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة».

● عن أبي حازم عن أبي هريرة ـ أحسبه رفعه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين، فودّ لو خرجتْ ـ يعني: نفسه ـ واللَّه يحب لقاءه، وإن المؤمن يُصعد بروحه إلى السماء، فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الأرض، فإذا قال: تركتُ فلانًا في الدنيا أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فلانًا قد مات، قالوا: ما جيء به إلينا.**

وإن المؤمن يُجلَس في قبره فيُسأل: من ربه؟ فيقول: ربي اللَّه. فيُقال: مَن نبيك؟ فيقول: نبيي محمد ﷺ **. قال: فما دينك؟ قال: ديني الإسلام. فيُفتح له باب في قبره فيقول أو يُقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبر، فكأنما كانت رقدة.**

فإذا كان عدواً للَّه نزل به الموت وعاين ما عاين، فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبدًا، واللَّه يبغض لقاءه، فإذا جلس في قبره أو أُجلس، فيُقال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري! فيُقال: لا دَرَيْت. فيُفتح له باب من جهنم، ثم يُضرب ضربة تُسمِع كل دابة إلا الثقلين، ثم يُقال له: نَمْ كما ينام المنهوش ـ فقلت لأبي هريرة: ما المنهوش؟ قال: الذي ينهشه الدواب والحيّات ـ **ثم يُضَيَّق عليه قبره**»[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البزار في «مسنده»، وقال السيوطي في «شرح الصدور» ص(٣٨): سنده صحيح. قال الألباني: الحديث صحيح، انظر: «الصحيحة» (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥/ ح ٢٦٢٨).

● وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال:

«إذا قُبضت نفْس العبد تلقّاه أهل الرحمة من عباد اللَّه كما يلقون البشير في الدنيا، فيقبلون عليه ليسألوه، فيقول بعضهم لبعض: أنْظروا أخاكم حتى يستريح؛ فإنه كان في كرب، فيقبلون عليه؛ فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلتْ فلانة؟ هل تزَوّجتْ؟ فإذا سألوا عن الرجل قد مات قبله، قال لهم: إنه قد هلك، فيقولون: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربية. قال: فيُعرض عليهم أعمالهم، فإذا رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا سوءًا قالوا: اللَّهم راجع بعبدك»[1].

● وعن أبي قتادة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إذا ولي أحدكم أخاه فليُحسن كفنه، فإنهم يتزاورون في قبورهم»**.

* هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا؟

● قال الإمام ابن القيم:

«المسألة الثالثة: هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا؟

فشواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلا اللَّه تعالى، والحس والواقع من أعدل الشهود بها، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي

---

(١) **صحيح موقوف على أبي أيوب الأنصاري وله حكم الرفع:** أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٤٩/٤٤٣). وقال الألباني: إسناده صحيح «الصحيحة» رقم (٢٧٥٨)، ثم قال: وكونه موقوفًا لا يضرّ فإنه يتحدث عن أمور غيبية لا يمكن أن تُقال بالرأي، فهو في حكم المرفوع يقينًا.

(٢) **صحيح:** رواه ابن أبي الدنيا، والترمذي، وابن ماجه، ولم يذكر «فإنهم يتزاورون في قبورهم»، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في «صحيح ابن ماجه» رقم (١٢٠٥).

أرواح الأحياء، وقد قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الزمر: ٤٢].

قال أبو عبد اللَّه ابن منده: ثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، ثنا عبد اللَّه ابن حسين الحراني، ثنا جدي أحمد بن شعيب، ثنا موسى بن أعين عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة[1] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال: بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم، فيمسك اللَّه أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها.

وقال ابن أبي حاتم في «تفسيره»: ثنا أحمد بن سليمان، ثنا الحسين، ثنا عامر، ثنا أسباط عن السدي في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا** ﴾. قال: يتوفاها في منامها فيلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان، قال: فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس وهذا أحد القولين في الآية، وهو أن الممسكة من توفيت وفاة الموت أولاً، والمرسلة من توفيت وفاة النوم. والمعنى على هذا القول أنه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى. والقول الثاني في الآية أن الممسكة والمرسلة في الآية كلاهما توفي وفاة النوم، فمن استكملت أجلها أمسكها عنده، فلا يردها إلى جسدها ومن لم تستكمل أجلها ردها إلى جسدها لتستكمله. واختار شيخ الإسلام هذا القول وقال: عليه يدل

---

(١) قال الشيخ الألباني في تعليقه على «الآيات البينات» ص(١٠٦): «فيه جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي، وهو صدوق يهم كما قال الحافظ ابن حجر».

القرآن والسنة، قال: فإنه سبحانه ذكر إمساك التي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفاها وفاة النوم، وأما التي توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا بإرسال، بل هي قسم ثالث، والذي يترجح هو القول الأول؛ لأنه سبحانه أخبر بوفاتين وفاة كبرى وهي: وفاة الموت، ووفاة صغرى وهي: وفاة النوم. وقسم الأرواح قسمين: قسمًا قضى عليها بالموت فأمسكها عنده، وهي: التي توفاها وفاة الموت، وقسمًا لها بقية أجل فردها إلى جسدها إلى استكمال أجلها، وجعل سبحانه الإمساك والإرسال حكمين للوفاتين المذكورتين أولاً، فهذه ممسكة وهذه مرسلة. وأخبر أن التي لم تمت هي: التي توفاها في منامها، فلو كان قد قسم وفاة النوم إلى قسمي وفاة موت ووفاة نوم - ولم يقل: والتي لم تمت في منامها - فإنها من حين قبضت ماتت، وهو سبحانه قد أخبر أنها لم تمت فكيف يقول بعد ذلك: فيمسك التي قضى عليها الموت؟ ولمن نصر هذا القول أن يقول قوله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ بعد أن توفاها وفاة النوم فهو سبحانه توفاها أولاً وفاة نوم، ثم قضى عليها الموت بعد ذلك.

والتحقيق: أن الآية تتناول النوعين فإنه سبحانه ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت، وذكر إمساك المتوفاة وإرسال الأخرى، ومعلوم أنه سبحانه يمسك كل نفس ميت سواء مات في النوم، أو في اليقظة، ويرسل نفس من لم يمت فقوله: ﴿يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يتناول من مات في اليقظة ومن مات في المنام(١)، وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحي، فيصادف خبره كما أخبر في الماضي

(١) وبذلك فسرها ابن كثير (٤/ ٥٥).

والمستقبل وربما، أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه، وربما أخبره بدين عليه وذكر له شواهده وأدلته.

● وقال ابن كثير عند تفسير الآية السابقة [الزمر: ٤٢] (٤/ ٥٥):

«فيه دلالة على أنها تتجمع في الملأ الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره».

● وقال ابن القيم:

«وهذا باب طويل جداً، فإن لم تسمح نفسك بتصديقه، أو قلت: هذه منامات هي غير معصومة، فتأمل من رأى صاحبًا له، أو قريبًا، أو غيره فأخبره بأمر لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا، أو أخبره بمال دفنه أو حذره من أمر يقع، أو بشره بأمر يوجد فوقع كما قال، أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا وكذا، فيقع كما أخبر أو أخبره بخصب أو جدب أو عدو أو نازلة، أو مرض، أو بغرض له فوقع كما أخبره، والواقع من ذلك لا يحصيه إلا اللَّه والناس مشتركون فيه.

وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب. وأبطل من قال: إن هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم، وهذا عين الباطل والمحال، فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التي يخبر بها الميت، ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا أمارة بوجه ما؟ ونحن لا ننكر أن الأمر قد يقع كذلك. وإن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصورة الاعتقاد، بل كثير من مرآئي الناس إنما هي مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق».

● وقال ابن القيم:

«وبالجملة فهـذا أمر لا ينكره إلا من هو أجهل النـاس بالأرواح وأحكامها وشأنها»[١] .

● وفي وصية ثابت بن قيس بعد موته خير دليل.

فإنه لما قتل في يوم اليمامة، وعليه درع له نفيسة، فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه، فقال له: أوصيك بوصية فإياك أن تقول هـذا حلم فتضيّعه، إني لما قتلت أمس مرّ بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله، وقد كفأ على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل، فأت خالدًا فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها، وإذا قدمت إلى المدينة على خليفة رسول اللَّه ﷺ - يعني أبا بكر الصديق - فقل له: إن عليّ من الدّيْن كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان. فأتى الرجل خالدًا فأخبره فبعث إلى الدرع فأتي بها وحدّث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته.

أنفذ أبو بكر ﵁ وصية ثابت بن قيس التي أوصى بها في المنام بعد الممات.

ولا نعلم أحدًا أُجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس - رحمه اللَّه -.

فقد اتفق خالد وأبو بكر الصديق والصحابة معه على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ الوصية بها، وانتزاع الدرع ممّن هي في يده بها وهذا محض الفقه»[٢] .

● وللَّه در الصالحين:

قال حمّاد بن زيد: قال هشام بن حسان، حدثتني أم عبد اللَّه - وكانت

---

(١) انظر: كتاب «الروح» وفيه هذه المسألة بالتفصيل (٢٦ - ٤٥).

(٢) «الروح» ص(١٩).

من خيار نساء أهل البصرة ـ قالت: رأيت فيما يرى النائم كأني دخلت دارًا حسنة، ثم دخلت بستانًا، فذكرت من حسنه ما شاء اللَّه. فإذا أنه فيه برجل متكئ على سرير من ذهب وحوله الوصفاء بأيديهم الأكاويب، قالت: فإني لمتعجبة من حسن ما أرى، إذ قيل: هذا مروان المحملي أقبل، فوثب فاستوى جالسًا على سريره، قالت: واستيقظت من منامي، فإذا جنازة مروان قد مرّ بها على بابي الساعة»(١).

* عرض أعمال الأحياء على الموتى:

مر قبل ذلك في حديث أبي أيوب الذي صححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٧٥٨): **«فيُعرض عليهم أعمالهم، فإذا رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا، وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا سوءًا، قالوا: اللَّهم راجع بعبدك»**.

وقال الشيخ في نهاية تحقيقه لهذا الحديث: «وكذا الحديث (٨٦٣) من حديث أنس ﷺ يُنقل إلى هنا؛ لأن معناه في عرض الأعمال على الأموات في آخر حديث الترجمة». أي أن الشيخ الألباني رجع عن تضعيف حديث أنس الآتي وصححه لحديث أبي أيوب.

● عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إنّ أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيرًا استبشروا، وإن كان غير ذلك، قالوا: اللَّهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا»**(٢).

---

(١) «الروح» ص(٢٤).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٨٦٣)، ثم عاد عن ذلك، وصححه في «الصحيحة» (٦/ ١/ ٦٠٥/ ح ٢٧٥٨).

● وعن أبي الدرداء قال: «إن أعمالكم تُعرض على موتاكم فيُسرّون، ويساءون»[(١)] .

فكان أبو الدرداء يقول عند ذلك: اللَّهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبد اللَّه بن رواحة»[(٢)] .

* ما ورد في أن الموتى يسألون عن الأحياء ويعرفون أقوالهم وأعمالهم، ومعرفتهم بزيارة الأحياء وسلامهم:

قال ابن عبد البر: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يمرّ على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا ردّ اللَّه عليه روحه؛ حتى يردّ عليه السلام**».

● وصح عن عمرو بن دينار أنه قال: «ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده، وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم».

وصح عن مجاهد أنه قال: «إن الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده من بعده»[(٣)] .

قال ابن القيم في كتابه «الروح»:

«في «الصحيحين» عنه ﷺ من وجوه متعدده: «أنه أمر بقتلى بدر فألقوا في قليب، ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم: «**يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا، فإنيّ وجدت ما وعدني ربي حقًا**»، فقال له عمر: يا رسول اللَّه، ما تخاطب من أقوام قد جيفوا، فقال:

---

(١) قال الألباني في «الصحيحة» (٦/ ١/ ٦٠٧): وهذا إسناد رجاله ثقات.

(٢) «أهوال القبور» ص(١١٧).

(٣) «الروح» ص(١٥).

«والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابًا».

وثبت عنه ﷺ : **«أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين إذا نصرفوا عنه»**.

● وقد شرع النبي ﷺ لأمته إذا سلّموا على أهل القبور أن يسلّموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل. ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد. والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به.

● ويكفي في هذا تسمية المسلّم عليهم زائرًا ولولا أنهم يشعرون به لما صحّ تسميته زائرًا، فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يُقال زاره، هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم، وكذلك السلام عليهم أيضًا، فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم مُحال، وقد علم النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: «**سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، يرحم اللَّه المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل اللَّه لنا ولكم العافية**».

وهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد، وإن لم يسمع المسلم الرد، وإذا صلى الرجل قريبًا منهم شاهدوه وعلموا صلاته وغبطوه على ذلك.

وقد ثبت في «الصحيح» أن الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه فروى مسلم في «صحيحه»... عن عمرو بن العاص وهو في سياق الموت..»، **«ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم»**[1] .

(١) «الروح» لابن القيم ص(٥ ـ ١٢).

* سماع الموتى:

● قال ابن القيم:

«وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] فسياق الآية يدل على أن المراد منها: أن الكافر الميت القلب لا تقدر على إسماعهم إسماعًا ينتفع به، كما أن من في القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعًا ينتفعون به ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئًا ألبتة، كيف وقد أخبر النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين؟ وأخبر أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه. وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع. وأخبر أن من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام. وهذه الآية نظير قوله: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، وقد يقال نفي إسماع الصم مع نفي إسماع الموتى، يدل على أن المراد عدم أهلية كل منهما للسماع. وأن قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماء كان إسماعها ممتنعًا بمنزلة خطاب الميت والأصم، وهذا حق ولكن لا ينفي إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالأبدان في وقت ما، فهذا غير الإسماع المنفي واللَّه أعلم.

وحقيقة المعنى أنك لا تستطيع أن تسمع من لم يشأ اللَّه أن يسمعه، ﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾.. أي إنما جعل اللَّه لك الاستطاعة على الإنذار الذي كلفك إياه لا على إسماع مَن لم يشأ اللَّه إسماعه»(١) .

● قال العلامة ابن رجب الحنبلي:

«أما سماع الموتى لكلام الأحياء: ففي «الصحيحين»، عن أنس، عن

---

(١) «الروح» لابن القيم ص(٦٠ ـ ٦١).

أبي طلحة، قال: لما كان يوم بدر وظهر عليهم رسول اللَّه ﷺ أمر ببضعة وعشرين رجلاً، وفي رواية أربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فألقوا في طوىً من أطواء بدر، وإن رسول اللَّه ﷺ ناداهم قال: «**يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا**». فقال عمر: يا رسول اللَّه ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها، فقال: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»(١).

وفي «صحيح مسلم»، من حديث أنس نحوه من غير ذكر أبي طلحة، وفي حديثه قال: «**والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**»(٢).

وفيه ـ أيضًا ـ عن أنس، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ هذه القصة بمعناها(٣).

وفي «الصحيحين»(٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: اطّلع رسول اللَّه ﷺ على أهل القليب، فقال: «**وجدتم ما وعدكم حقًّا**»، فقيل له: أتدعو أمواتًا؟ قال: «**ما أنتم بأسمع منهم، ولكنهم لا يجيبون**»! وفي رواية قال: «**إنهم الآن**

---

(١) البخاري رقم (٣٠٦٥ و٣٩٧٦) في المغازي: باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش، ومسلم رقم (٢٨٧٥) في الجنة وصفة نعيمها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٢) مسلم رقم (٢٨٧٤).

(٣) مسلم رقم (٢٨٧٣).

(٤) البخاري رقم (١٣٧٠) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ورقم (٣٩٨٠) في المغازي: باب قتل أبي جهل، ورقم (٤٠٢٦): باب شهود الملائكة بدرًا، ومسلم رقم (٩٣٢) في الجنائز: باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

يسمعون ما أقول».

وقد أنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك، كما في «الصحيحين»[١] عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ما قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «**إنهم ليسمعون الآن ما أقول، وقد وهم - يعني: ابن عمر - إنما قال: «إنهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم، إنه حق»**، ثم قرأت قوله: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾ [فاطر: ٢٢].

وقد وافق عائشة على نفي سماع الموتى كلام الأحياء، طائفة من العلماء، ورجّحه القاضي أبو يعلى من أصحابنا، في كتاب «الجامع الكبير» له، واحتجوا بما احتجت به عائشة رضي الله عنها، وأجابوا عن حديث قليب بدر بما أجابت به عائشة رضي الله عنها، وبأنه يجوز أن يكون ذلك معجزة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره، وهو سماع الموتى لكلامه»[٢].

وفي «صحيح البخاري»[٣] عن قتادة قال: أحياهم اللّه تعالى يعني: أهل

---

(١) البخاري رقم (١٣٧١) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ورقم (٣٩٧٩ و٣٩٨١) في المغازي: باب قتل أبي جهل، ومسلم رقم (٩٣٢) (٢٧) في الجنائز: باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٢) قال الإمام القرطبي:

اعلم رحمك اللّه أن عائشة رضي الله عنها قد أنكرت هذا المعنى واستدلت بقوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾، وقوله: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾، ولا تعاض بينهما؛ لأنه جائز أن يكونوا يسمعون في وقت ما أو في حال ما، فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص. وقد وجد هنا بدليل ما ذكرناه، وقد تقدم وبقوله عليه الصلاة والسلام: «إنه ليسمع قرع نعالهم»، وبالمعلوم من سؤال الملكين للميت في قبره وجوابه لهما وغير ذلك مما لا ينكر، وقد ذكر ابن عبد البر في كتاب «التمهيد والاستذكار» من حديث ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام» صححه أبو محمد عبد الحق ا.هـ «التذكرة» ص(١٤٥).

(٣) البخاري، عقب حديث (٣٩٧٦) في المغازي: باب قتل أبي جهل.

القليب حتى أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا.

وذهب طوائف من أهل العلم إلى سماع الموتى في الجملة، قال ابن عبد البر: ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم ـ وهم الأكثرون ـ، وهو اختيار الطبري وغيره، ويعني: بالطبري: ابن جرير، وكذلك ذكره ابن قتيبة وغيره من العلماء، وهؤلاء يحتجون بحديث القليب، كما سبق، وليس هو بوهم ممن رواه، فإن عمر وأبا طلحة وغيرهما ممن شهد القصة حكاه عن النبي ﷺ، وعائشة لم تشهد ذلك، وروايتها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنهم ليعلمون الآن، أن ما كنت أقول لهم حق**»، ويؤيّد رواية من روى: إنهم ليسمعون، ولا ينافيه، فإن الميِّت إذا جاز أن يعلم جاز أن يسمع؛ لأن الموت ينافي العلم، كما ينافي السمع. والبصر، فلو كان مانعًا من البعض لكان مانعًا من الجميع.

ـ وقد مرت الأحاديث الواردة بسماع الموتى سلام من يسلم عليهم.

وأما قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾ [فاطر: ٢٢]، فإن السماع يطلق ويراد به إدراك الكلام وفهمه، ويراد به أيضًا الانتفاع به، والاستجابة له. والمراد بهذه الآية نفي الثاني دون الأول، فإنها في سياق خطاب الكفار الذين لا يستجيبون للهدى ولا للإيمان إذا دعوا إليه، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٧٩]، الآية في نفي السماع والإبصار عنهم؛ لأن الشيء قد ينفَى لانتفاء فائدته وثمرته، فإذا لم ينتفع المرء بما سمعه وأبصره، فكأنه لم يسمع ولم يبصر، وسماع الموتى هو بهذه المثابة، وكذلك سماع الكفار لمن

دعاهم إلى الإيمان والهدى.

وقول قتادة في أهل القليب: أحياهم اللَّـه تعالى حتى أسمعهم، قوله يدل على أن الميت لا يسمع القول إلا بعد إعادة الروح إلى جسده»[1].

● وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية في «شرحه» ص(٥٨):

«من قال: إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده، باعتبار سماعه كلام اللَّه فهذا لم يصح عن أحد من الأئمة المشهورين: ولا شك في سماعه ولكن انتفاعه بالسماع لا يصح[2]، فإن ثواب الاستماع مشوط بالحياة، فإنه عمل اختياري، وقد انقطع بموته، بل ربما يتضرر ويتألم، لكونه لم يمتثل أوامر اللَّه ونواهيه، أو لكونه لم يزدد من الخير».

● وقال شيخ الإسلام الكافيجي الحنفي في كتابه «منازل الأرواح» ص(٥٧):

«ثم إن الميت يسمع ويفهم. قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنه يسمع قرع نعالكم**»، وقال عليه السلام: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن ـ كان يعرفه في الدنيا ـ فيسلم عليه إلا عرفه، وردّ عليه السلام**»[3] إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾، قوله: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾ فيجوز فيه التأويل بحمل سلب الإسماع على عدم الإسماع في وقت دون وقت، وفي حال دون حال. إلى غير ذلك من التأويلات. فإذًا لا تدافع هنا أصلاً».

(١) «أهوال القبور» لابن رجب (١٠٠ ـ ١٠٣).

(٢) وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية خطأ من قال بانتفاع الميت بسماع القرآن كما ذكر في «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٠٠، ٣١٧).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور»، وابن الجوزي (٢/ ٤٢٩)، في «العلل المتناهية»، وابن =

● وللعلامة الألوسي في «تفسيره» «روح المعاني» بحث طيب عند تفسير آية الروم: (٥٢) قال في نهايته: «والحق أن الموتى يسمعون في الجملة وهذا على أحد وجهين:

● **أولهما**: أن يخلق اللَّه عز وجل في بعض أجزاء الميت قوة يسمع بها متى شاء اللَّه تعالى السلام ونحوه مما يشاء اللَّه سبحانه سماعه إياه ولا يمنع من ذلك كونه تحت أطباق الثرى، وقد انحلت منه هاتيك البنية وانفصمت العرى ولا يكاد يتوقف في قبول ذلك من يجوز أن يرعى أعمى الصين بقة أندلس.

● **وثانيهما**: أن يكون ذلك السماع للروح بلا واسطة قوة في البدن ولا يمتنع أن تسمع بل أن تحس وتدرك مطلقًا بعد مفارقتها البدن بدون وساطة قوى فيه، وحيث كان لها على الصحيح تعلق لا يعلم حقيقته وكيفيته إلا اللَّه عز وجل بالبدن كله أو بعضه بعد الموت وهو غير التعلق بالبدن الذي كان لها قبله أجرى اللَّه سبحانه عادته بتمكينها من السمع وخلقه لها عند زيارة القبر، وكذا عند حمل البدن إليه وعند الغسل مثلاً، ولا يلزم من وجود ذلك التعلق والقول بوجود قوة السمع ونحوه فيها نفسها أن تسمع كل مسموع لما أن السماع مطلقًا وكذا سائر الإحساسات ليس إلا تابعًا للمشيئة فما شاء اللَّه بسماعه من السلام ونحوه، وهذا الوجه هو الذي يترجّح عندي ولا يلزم عليه التزام القول بأن أرواح الموتى مطلقًا في أفنية القبور كما أن مدار السماع على مشيئة اللَّه والتعلق لا يعلم كيفيته وحقيقته إلا هو عز وجل»[1] .

= عبد البر في «التمهيد»، والخطيب في «تاريخه»، وقال ابن رجب: منكر «أهوال القبور» ص(٨٢)، وانظر: «لسان الميزان» (٣/ ٢٧٩)، وصححه أبو محمد عبد الحق الأشبيلي، وابن عبد البر.

(١) «روح المعاني» (٢١/ ٥٧ ـ ٥٨).

● قال الألوسي: «نُقل عن العلاّمة ابن الهمام أنه قال: أكثر مشايخنا على أن الميت لا يسمع استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ ونحوها يعني من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ ولذا لم يقولوا بتلقين القبر، وقالوا: لو حلف لم يكلف فلانًا فكلمه ميتًا لا يحنث»[1].

* القائلون بعدم سماع الموتى:

ذهب جمع من أهل العلم إلى نفي سماع الأموات وممن ذهب إلى ذلك ابن عابدين، وابن الهمام، وابن نجيم والحصفكي وغيرهم من أئمة الأحناف، والمازري والباجي والقاضي عياض من المالكية والقاضي أبو يعلى من الحنابلة ومال إليه الشيخ الألباني في تحقيقه «للآيات البينات» في عدم سماع الأموات. وأدلتهم:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، فقد شبههم اللَّه تعالى - أعني موتى الأحياء من الكفار بالصمِّ أيضًا، فهل هذا يقتضي في المشبه بهم (الصم) أنهم يسمعون أيضًا، ولكن سماعًا لا انتفاع فيه أيضًا! أم أنه يقتضي أنهم لا يسمعون مطلقًا، كما هو الحق الظاهر الذي لا خفاء فيه. وفي التفسير المأثور ما يؤيد هذا الذي نقول فقال ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٣٦) لهذه الآية:

«هذا مَثَل معناه: فإنك لا تقدر أن تُفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم اللَّه على أسماعهم، فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواعظ تنزيله، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين سلبهم اللَّه أسماعهم، بأن تجعل لهم أسماعًا.

وقوله: ﴿وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ يقول: كما لا تقدر أن تسمع الصم

(١) «روح المعاني» (٢١/ ٥٥).

الذين قد سلبوا السمع إذا ولوا عنك مدبرين، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم اللَّه فهم آيات كتابه لسماع ذلك وفهمه».

ثم روى بإسناده الصحيح عند قتادة قال:

«هذا مثل ضربه اللَّه للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكافر، ﴿**وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ...**﴾ يقول: لو أن أصم ولّى مدبرًا، ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما سمع».

فثبت من هذه النقول عن كتب التفسير المعتمدة أن الموتى في قبورهم لا يسمعون، كالصم إذا ولوا مدبرين!.

وهذا هو الذي فهمته السيدة عائشة ﵂، واشتهر ذلك عنها في كتب السنة وغيرها، وهذا ما فهمه عمر بن الخطاب.

● **الدليل الثاني**: قوله تعالى: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

قلت: فهذه الآية صريحة في نفي السمع عن أولئك الذين كان المشركون يدعونهم من دون اللَّه تعالى، وهم موتى الأولياء والصالحين الذين كان الذين كان المشركون يمثلونهم في تماثيل وأصنام لهم، يعبدونهم فيها، وليس لذاتها، كما يدل على ذلك آية سورة (نوح) عن قومه: ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾، ففي التفسير المأثور عن ابن عباس وغيره من السلف: أن هؤلاء الخمسة أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي

كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخَ العلم (أي: علُم تلك الصور بخصوصها) عُبدت. رواه البخاري.

ومما يؤيد أن المقصود بقوله في الآية المتقدمة: ﴿**لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ**﴾ إنما هم المعبودون من دون اللَّه أنفسهم، وليست ذوات الأصنام تمام الآية: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ**﴾، والأصنام لا تبعث؛ لأنها جمادات غير مكلفة كما هو معلوم، بخلاف العابدين والمعبودين فإنهم جميعًا محشورون.

قال القرطبي (١٤/ ٣٣٦)، والشوكاني (٤/ ٣٣٣):

«ويجوز أن يرجع ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ..**﴾ وما بعده إلى من يعقل ممن عبدهم الكفار كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين، والمعنى أنهم يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقًّا وينكرون أنهم أمروكم بعبادتهم، كما أخبر عن عيسى عليه السلام بقوله: ﴿**مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**﴾».

فتبين مما تقدم وجه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿**إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ**﴾ على أن الصالحين لا يسمعون بعد موتهم، وغيرهم مثلهم بداهة، بل ذلك من باب أولى كما لا يخفى، فالموتى كلهم إذن لا يسمعون، واللَّه الموفق.

الدليل الثالث: حديث قليب بدر، وله روايات مختصرة ومطولة، أجتزئ هنا على روايتين منها:

الأولى: حديث ابن عمر قال:

«وقف النبي ﷺ على قَليب بدر، فقال: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟**» **ثم** قال: «**إنهم الآن يسمعون ما أقول**»، فَذُكِر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ: «**إنهم الآن يعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق**»، ثم قرأت:

﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ حتى قرأت الآية».

أخرجه البخاري (٧/ ٢٤٢) «فتح الباري»، والنسائي (١/ ٦٩٣)، وأحمد (٢/ ٣١) من طريق أخرى عن ابن عمر.

والأخرى: حديث أبي طلحة أن نبي اللَّه ﷺ أمر يوم بدرٍ بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طويٍّ من أطواء بدر خبيث مُخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرصَة ثلاث ليالٍ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلُها ثم مشى، واتبعه أصحابه وقالوا: ما نُرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الرَّكي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: **«يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان! أيسركُم أنكم أطعتم اللَّه ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟»** قال: فقال عمر: يا رسول اللَّه! ما تُكلم من أجساد لا أرواح فيها؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«والذي نفسُ محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»**. قال قتادة: أحياهم اللَّه حتى أسمعهم قوله توبيخًا، وتصغيرًا، ونقمة، وحسرة، وندمًا. أخرجه الشيخان وغيرهما.

ووجه الاستدلال بهذا الحديث يتضح بملاحظة أمرين:

الأول: ما في الرواية الأولى منه من تقييده ﷺ سماع موتى القليب بقوله: **«الآن»**[1]، فإن مفهومه أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت. وهو المطلوب. وهذه فائدة هامة نَبَّه عليها العلامة الألوسي - والد المؤلف رحمهما اللَّه - في كتابه «روح المعاني» (٦/ ٤٥٥)، ففيه تنبيه قوي على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون، ولكن أهل القليب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء

---

(١) ولها شاهد صحيح في حديث عائشة في «صحيح البخاري»: باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش... «وإن أهله ليبكون عليه الآن».

النبي ﷺ وبإسماع اللَّه تعالى إياهم خرقًا للعادة ومعجزة للنبي ﷺ كما ورد عن بعض العلماء الحنفية، وغيرهم من المحدثين. وفي «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٣٢):

«قال ابن عطية: فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ في أن ردَّ اللَّه إليهم إدراكًا سمعوا به مقاله، ولولا إخبار رسول اللَّه ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين».

والأمر الآخر: أن النبي ﷺ أقر عمر وغيره من الصحابة على ما كان مستقرًّا في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لا يسمعون، بعضهم أومأ إلى ذلك إيماءً، وبعضهم ذكر ذلك صراحة، لكن الأمر بحاجة إلى توضيح فأقول:

أما الإيماء فهو في مبادرة الصحابة لما سمعوا نداءه ﷺ لموتى القليب بقولهم: «ما تُكلِّم أجسادًا لا أرواح فيها؟».

فلولا أنهم كانوا على علم بذلك سابق تلقوه منه ﷺ، ما كان لهم أن يبادروه بذلك. وهب أنهم تسرعوا، وأنكروا بغير علم سابق، فواجب التبليغ حينئذ يوجب على النبي ﷺ أن يبين لهم أن اعتقادهم هذا خطأ، وأنه لا أصل له في الشرع، ولم نر في شيء من روايات الحديث مثل هذا البيان، وغاية ما قال لهم: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**». وهذا ـ كما ترى ـ ليس فيه تأسيس قاعدة عامة بالنسبة للموتى جميعًا تخالف اعتقادهم السابق، وإنما هو إخبار عن أهل القليب خاصة، على أنه ليس ذلك على إطلاقه بالنسبة إليهم أيضًا إذا تذكرت رواية ابن عمر التي فيها: «**إنهم الآن يسمعون**»، كما تقدم شرحه، فسماعهم إذن خاص بذلك الوقت، وبما قال لهم النبي ﷺ فقط، فهي واقعة عين لا عموم لها، فلا تدل على أنهم يسمعون دائمًا وأبدًا، وكلَّ

ما يقال لهم، كما لا تشمل غيرهم من الموتى مطلقًا، وهذا واضح إن شاء الله تعالى. ويزيده وضوحًا ما يأتي:

وأما الصراحة فهي فيما رواه أحمد (٣/ ٢٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه قال: «... فسمع عمر صوته، فقال: يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث؟ وهل يسمعون؟ يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾، فقال: **«والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا»**. وسنده صحيح على شرط مسلم[1]. فقد صرح عمر رضي الله عنه أن الآية المذكورة هي العمدة في تلك المبادرة، وأنهم فهموا من عمومها دخول أهل القليب فيه، ولذلك أشكل عليهم الأمر، فصارحوا النبي ﷺ بذلك ليزيل إشكالهم؟ وكان ذلك ببيانه المتقدم.

ومنه يتضح أن النبي ﷺ أقرّ الصحابة ـ وفي مقدمتهم عمر ـ على فهمهم للآية على ذلك الوجه العام الشامل لموتى القليب وغيرهم؛ لأنه لم ينكره عليهم، ولا قال لهم: أخطأتم فالآية لا تنفي مطلقًا سماع الموتى، بل إنه أقرهم على ذلك، ولكن بين لهم ما كان خافيًا عليهم من شأن القليب، وأنهم سمعوا كلامه حقًّا، وأن ذلك أمر خاص مستثنى من الآية، معجزة له ﷺ كما سبق.

الدليل الرابع: قول النبي ﷺ: **«إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»**[2].

أقول: ووجه الاستدلال به أنه صريح في أن النبي ﷺ لا يسمع سلام

---

(١) وأصله عنده (٨/ ١٦٣ ـ ١٦٤) والزيادة له، وهو رواية لأحمد (٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٢) وهو صحيح.

المسلمين عليه، إذ لو كان يسمعه بنفسه، لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه، كما هو ظاهر لا يخفى على أحد إن شاء اللَّه تعالى. وإذا كان الأمر كذلك، فبالأولى أنه ﷺ لا يسمع غير السلام من الكلام، وإذا كان كذلك فلأن لا يسمع السلام غيرُه من الموتى أولى وأحرى.

ثم إن الحديث مطلق يشمل حتى من سلم عليه ﷺ عند قبره، ولا دليل يصرح بالتفريق بينه وبين من صلى عليه بعيداً عنه، والحديث المروي عن ذلك موضوع.

وهذا الاستدلال لم أره لأحد قبلي، فإذا كان صوابًا ـ كما أرجو ـ فهو فضل من اللَّه ونعمة، وإن كان خطأً فهو من نفسي، واللَّه تعالى أسأل أن يغفره لي وسائر ذنوبي»[1].

● قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ: «لم أر من صرح بأن الميت يسمع سماعًا مطلقًا كما كان شأنه في حياته، ولا أظن عالمًا يقول به».

● ويقول ـ رحمه اللَّه ـ:

«**وخلاصة البحث والتحقيق**: أن الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة الحنفية غيرهم ـ كما ستراه في الكتاب مبسوطًا ـ على أن الموتى لا يسمعون، وأن هذا هو الأصل، فإذا ثبت أنهم يسمعون في بعض الأحوال، كما في حديث خفق النعال، أو أن بعضهم سمع في وقت ما، كما في حديث القليب، فلا ينبغي أن يجعل ذلك أصلاً، فيقال: إن الموتى يسمعون كما فعل بعضهم[2] كلا، فإنها قضايا جزئية، لا تشكل قاعدة كلية، يعارض بها الأصل

(١) انتهى النقل ملخصًا من مقدمة الألباني لكتاب «الآيات البينات في عدم سماع الأموات» وهو عمدة القائلين بعدم سماع الأموات.
(٢) انظر: «الأضواء» (٦/ ٤٢٥).

المذكور، بل الحق أنه يجب أن تستثنى منه، على قاعدة استثناء الأقل من الأكثر، أو الخاص من العام، كما هو المقرر في علم أصول الفقه، ولذلك قال العلاّمة الألوسي في «روح المعاني» بعد بحث مستفيض في هذه المسألة (٦/ ٤٥٥):

«والحق أن الموتى يسمعون في الجملة، فيقتصر على القول بسماع ما ورد السمع بسماعه».

وهذا مذهب طوائف من أهل العلم، كما قال الحافظ ابن رجب الحنبلي، وما أحسن ما قاله ابن التين ـ رحمه اللَّه ـ:

«إن الموتى لا يسمعون بلا شك، لكن إذا أراد اللَّه تعالى إسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ**﴾، الآية، وقوله: ﴿**فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا**﴾»، الآية.

فإذا علمت أيها القارئ الكريم! أن الموتى لا يسمعون، فقد تبين أنه لم يبق هناك مجال لمناداتهم من دون اللَّه تعالى، ولو بطلب ما كانوا قادرين عليه وهم أحياء، بحكم كونهم لا يسمعون النداء، وأن مناداة من كان كذلك والطلب منه سخافة في العقل، وضلال في الدين، وصدق اللَّه العظيم، القائل في كتابه الكريم: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ** ۝٥ **وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ**﴾ [الأحقاف: ٥ ـ ٦].

● قال الطحطاوي في حاشيته على «الدر المختار» (٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢): «إن الميت لا يسمع ولا يفهم».

● وقال ابن عابدين في كتابه «رد المحتار على الدر المختار» (٣/ ١٨٠):

«وأما الكلام فالمقصود منه الإفهام، والموت ينافيه... ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ**

﴿الْمَوْتَىٰ﴾ شبّه فيه الكفار بالموتى لإفادة بُعد سماعهم وهو فَرع عدم سماع الموتى».

وقال إمام الحنفية ابن الهمام في «فتح القدير» حاشية الهداية:

«أكثر مشايخنا على أن الميت لا يسمع عندهم، وصرحوا به في كتاب «الإيمان» في باب اليمين بالضرب»: «لو حلف لا يكلمه فكلّمه ميتًا لا يحنث؛ لأنها تنعقد على ما بحيث يفهم، والميت ليس كذلك لعدم السماع».

● قال الشيخ نعمان بن الشيخ محمود شكري الألوسي في كتابه «الآيات البينات في عدم سماع الأموات».

فتبين من «تنوير الأبصار»، وشرحه «الدر المختار» و«حاشيته» للطحطاوي، ولابن عابدين، ومن «فتح القدير»، و«الهداية»، ومن «مراقي الفلاح»، و«حاشيته»، و«شروح الكنز»، ومن سائر المتون المبنية على المفتى به من قول الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، ومشايخ المذهب: أن الميت لا يسمع بعد خروج روحه، كما قالت عائشة، وتبعها طائفة من أهل العلم والمذاهب الأخرى، وأن الحنفية لم يحكوا خلافًا في حكمهم هذا عن أحد من علماء المذهب[1].

* تفسير العلامة الشنقيطي لآيات هامة تتعلق بمسألة سماع الموتى:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠].

● قال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان» (٦/ ٤١٤ ـ ٤٤١):

اعلم أن التحقيق الذي دلت عليه القرائن القرآنية واستقراء القرآن، أن معنى

---

(١) ص(٦١ ـ ٦٢).

قوله هنا: إنك لا تسمع الموتى لا يصح فيه من أقوال العلماء، إلا تفسيران:

الأول أن المعنى: إنك لا تسمع الموتى: أي: لا تسمع الكفار، الذين أمات اللَّه قلوبهم، وكتب عليهم الشقاء في سابق علمه إسماع هدى وانتفاع؛ لأن اللَّه كتب عليهم الشقاء، فختم على قلوبهم، وعلى سمعهم، وجعل على قلوبهم الأكنة، وفي آذانهم الوقر، وعلى أبصارهم الغشاوة، فلا يسمعون الحق سماع اهتداء وانتفاع: ومن القرائن القرآنية الدالة على ما ذكرنا أنه جل وعلا قال بعده: ﴿ **إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ** ﴾.

فاتضح بهذه القرينة أن المعنى: إنك لا تسمع الموتى أي: الكفار الذين هم أشقياء في علم اللَّه إسماع هدى وقبول للحق ما تسمع ذلك الإسماع، إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون، فمقابلته جل وعلا بالإسماع المنفي في الآية عن الموتى بالإسماع المثبت فيها، لمن يؤمن بآياته، فهو مسلم دليل واضح على أن المراد بالموت في الآية: موت الكفر والشقاء لا موت مفارقة الروح للبدن، ولو كان المراد بالموت في قوله: ﴿ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ** ﴾ مفارقة الروح للبدن لما قابل قوله: إنك لا تسمع الموتى بقوله: إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا، بل لقابله بما يناسبه كأن يقال: إن تسمع إلا من لم يمت: أي: يفارق روحه بدنه كما هو واضح..

وإذا علمت أن هذه القرينة القرآنية دلت على أن المراد بالموتى هنا الأشقياء الذين لا يسمعون الحق سماع هدى وقبول.

فاعلم أن استقراء القرآن العظيم يدل على هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنعام: ٣٦]، وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم أن المراد

بالموتى في قوله: والموتى يبعثهم اللَّه: الكفار، ويدل له مقابلة الموتى في قوله: والموتى يبعثهم اللَّه بالذين يسمعون في قوله: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ**﴾ ويوضح ذلك قوله تعالى قبله: ﴿**وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ**﴾ أي: فافعل، ثم قال: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ**﴾ الآية، وهذا واضح فيما ذكرنا، ولو كان يراد بالموتى من فارقت أرواحهم أبدانهم لقابل الموتى بما يناسبهم كأن يقال: إنما يستجيب الأحياء: أي: الذين لم تفارق أرواحهم أبدانهم.

وكقوله تعالى: ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.

فقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا**﴾: أي كافرًا، فأحييناه: أي: بالإيمان والهدى. وهذا لا نزاع فيه، وفيه إطلاق الموت، وإرادة الكفر بلا خلاف. وكقوله: ﴿**لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾. وكقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ**﴾ أي: لا يستوي المؤمنون والكافرون.

واعلم أن آية النمل هذه جاءت آيتان أخريان بمعناها:

الأولى منهما: قوله تعالى في سورة الروم: ﴿**فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ**﴾، ولفظ: آية الروم هذه كلفظ آية النمل

التي نحن بصددها، فيكفي في بيان آية الروم ما ذكرنا في آية النمل.

والثانية منهما قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ** ﴾ وآية فاطر هذه كآية النمل والروم المتقدمتين؛ لأن المراد بقوله فيها: من في القبور الموتى، فلا فرق بين قوله: ﴿ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ** ﴾ وبين قوله: ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ** ﴾؛ لأن المراد بالموتى ومن في القبور واحد كقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ** ﴾، أي: يبعث جميع الموتى من قبر منهم ومن لم يقبر، وقد دلت قرائن قرآنية أيضًا على أن معنى آية: فاطر هذه كمعنى آية الروم، منها قوله تعالى قبلها: ﴿ **إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ** ﴾ الآية؛ لأن معناها: لا ينفع إنذارك إلا من هداه اللَّه ووفقه فصار ممن يخشى ربه بالغيب، ويقيم الصلاة وما أنت بمسمع من في القبور: أي: الموتى أي: الكفار الذين سبق لهم الشقاء كما تقدم. ومنها قوله تعالى أيضًا: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ** ﴾ أي: المؤمن والكافر. وقوله تعالى قبلها: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ** ﴾ أي: المؤمنون والكفار. ومنها قوله تعالى بعده: ﴿ **إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ** ﴾ أي: ليس الإضلال والهدى بيدك ما أنت إلا نذير: أي: وقد بلغت.

التفسير الثاني: هو أن المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل، ولكن المراد بالسماع المنفي في قوله: ﴿ **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ** ﴾ خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به، وأن هذا مثل ضرب للكفار، والكفار يسمعون الصوت، لكن لا يسمعون سماع قبول بفقه واتباع كما قال تعالى: ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً** ﴾، فهكذا الموتى الذين ضرب بهم المثل لا يجب أن ينفى عنهم جميع أنواع السماع كما لم

ينف ذلك عن الكفار، بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا، وهذا التفسير الثاني جزم به واقتصر عليه العلامة أبو العباس ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ.

● ثم قال الشنقيطي:

اعلم أن الذي يقتضي الدليل رجحانه هو أن الموتى في قبورهم يسمعون كلام من كلمهم، وأن قول عائشة ﵂ ومن تبعها: إنهم لا يسمعون استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ وبما جاء بمعناها من الآيات غلط منها ﵂، وممن تبعها.

وإيضاح كون الدليل يقتضي رجحان ذلك مبني على مقدمتين.

الأولى منهما: أن سماع الموتى ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث متعددة، ثبوتًا لا مطعن فيه. ولم يذكر ﷺ أن ذلك خاص بإنسان ولا بوقت.

والمقدمة الثانية: هي أن النصوص الصحيحة عنه ﷺ في سماع الموتى لم يثبت في الكتاب ولا في السنة شيء يخالفها، وتأويل عائشة ﵂ بعض الآيات، على معنى يخالف الأحاديث المذكورة، لا يجب الرجوع إليه؛ لأن غيره في معنى الآيات أولى بالصواب منه، فلا ترد النصوص الصحيحة عن النبي ﷺ بتأويل بعض الصحابة بعض الآيات، وسنوضح هنا إن شاء اللَّه صحة المقدمتين المذكورتين، وإذا ثبت بذلك أن سماع الموتى ثابت عنه ﷺ من غير معارض صريح. علم بذلك رجحان ما ذكرنا، أن الدليل يقتضي رجحانه.

أما المقدمة الأولى وهي: ثبوت سماع الموتى عن النبي ﷺ، فقد قال

البخاري في «صحيحه»: حدثني عبد الله بن محمد، سمع روح بن عبادة، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك، عن أبي طلحة: «أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقذفوا في طويّ من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر عل قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يا فلان ابن فلان، يا فلان ابن فلان: أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟**» قال: فقال عمر: يا رسول الله ﷺ ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»، قال قتادة: أحياهم الله له؛ حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة، وندمًا. فهذا الحديث الصحيح أقسم فيه النبي ﷺ: أن الأحياء الحاضرين ليسوا بأسمع لما يقول ﷺ من أولئك الموتى بعد ثلاث.

وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى، ولم يذكر ﷺ في ذلك تخصيصًا، وكلام قتادة الذي ذكره عنه البخاري اجتهاد منه فيما يظهر.

وقال البخاري في «صحيحه» أيضًا: حدثني عثمان، حدثنا عبدة بن هشام، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟**»، ثم قال: «**إنهم الآن يسمعون ما أقول**». فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ: «**إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق**»، ثم قرأت: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ حتى

قرأت الآية» انتهى من «صحيح البخاري». وقد رأيته أخرج عن صحابيين جليلين، هما ابن عمر، وأبو طلحة تصريح النبي ﷺ بأن أولئك الموتى يسمعون ما يقول لهم، ورد عائشة لرواية ابن عمر بما فهمت من القرآن مردود كما سترى إيضاحه إن شاء اللَّه تعالى.

وقد أوضحنا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ أن ردها على ابن عمر أيضًا روايته عن النبي ﷺ، أن الميت يعذب ببكاء أهله بما فهمت من الآية مردود أيضًا، وأوضحنا أن الحق مع ابن عمر في روايته لا معها فيما فهمت من القرآن. وقال البخاري في «صحيحه» أيضًا: عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان: له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد** ﷺ ؟ **فيقول: أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك اللَّه به مقعداً في الجنة**» الحديث، وقد رأيت في الحديث الصحيح، تصريح النبي ﷺ بأن الميت في قبره، يسمع قرع نعال من دفنوه إذا رجعوا، وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى، ولم يذكر ﷺ فيه تخصيصًا.

وقال مسلم بن الحجاج ـ رحمه اللَّه ـ في «صحيحه»: عن ثابت قال: قال أنس: كنا مع عمر بين مكة المدينة فتراءينا الهلال. والحديث. وفيه: فقال: إن رسول اللَّه ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس. يقول: «**هذا مصرع فلان غداً**[1] **إن شاء اللَّه**». قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما

---

(١) لا يخالف هذا قوله تعالى: ﴿**وما تدري نفس بأي أرض تموت**﴾ مع قول النبي ﷺ عن مفاتيح الغيب الخمس المذكورة في الآية «خمس لا يعلمهن إلا اللَّه»؛ وذلك لأنه قد=

اخطأوا الحدود التي حد رسول اللَّه ﷺ فجعلوا في بئر بعضهم على بعض، فانطلق رسول اللَّه ﷺ حتى انتهى إليهم، فقال: «**يا فلان ابن فلان، يا فلان ابن فلان: أيسركم أنكم أطعتم اللَّه ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟**» قال عمر: يا رسول اللَّه ﷺ كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها، قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئًا**»، وعن أنس بن مالك: «أن رسول اللَّه ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثًا، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: «**يا أبا جهل ابن هشام، يا أمية بن خلف، ياعتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعدكم اللَّه حقًّا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا**»، فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه كيف يسمعوا، وأنى يجيبوا وقد جيفوا؟ قال: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**»، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر»، ثم ذكر مسلم بعد هذا رواية أنس عن أبي طلحة، التي ذكرناها عن البخاري، فترى هذه الأحاديث الثابتة في «الصحيح» عن عمر وابنه وأنس وأبي طلحة رضي الله عنهم فيها التصريح من النبي ﷺ، بأن الأحياء الحاضرين ليسوا بأسمع من أولئك الموتى لما يقوله ﷺ، وقد أقسم ﷺ على ذلك ولم يذكر تخصيصًا، وقال مسلم - رحمه اللَّه - في «صحيحه» أيضًا: عن أنس بن مالك قال: قال نبي اللَّه

= علّق الأمر على مشيئة اللَّه تعالى. فهذه المفاتيح الخمس لا يعلمها علمًا قطعيًا بلا استثناء ولا تعليق ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإنما يعلمهم اللَّه بما شاء من ذلك معلقًا على مشيئته، أو يبقى شيء من تفاصيل ذلك من توقيته، أو صفة وقوعه وحقيقة كيفيته مجهولاً للخلق ولا يعلمه علمًا كاملاً قاطعًا إلا اللَّه وحده.

ﷺ : «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال: يأتيه ملكان فيقعدانه**» الحديث. وفيه تصريح النبي ﷺ بسماع الميت في قبره قرع النعال، وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى، وظاهره العموم في كل من دفن وتولى عنه قومه، كما ترى.

● ومن الأحاديث الدالة على عموم سماع الموتى ما رواه مسلم في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ كلما كان ليلتها من رسول اللَّه ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، اللَّهم اغفر لأهل بقيع الفرقد**»، وفي رواية في «صحيح مسلم» عنها قالت: كيف أقول لهم يا رسول اللَّه ﷺ قال قولي: «**السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم اللَّه المستقدمين منا والمستأخرين. وإنا إن شاء اللَّه بكم للاحقون**»، ثم قال مسلم ـ رحمه اللَّه ـ: عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال كان رسول اللَّه ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول في رواية أبي بكر: السلام على أهل الديار وفي رواية: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء اللَّه بكم للاحقون نسأل اللَّه لنا ولكم العافيه» انتهى من «صحيح مسلم». وخطابه ﷺ لأهل القبور بقوله: «**السلام عليكم**»، وقوله: «**وإنا إن شاء اللَّه بكم**»، ونحو ذلك يدل دلالة واضحة على أنهم يسمعون سلامه؛ لأنهم لو كانوا لا يسمعون سلامه وكلامه لكان خطابه لهم من جنس خطاب المعدوم ولا شك أن ذلك ليس من شأن العقلاء فمن البعيد جداً صدوره منه ﷺ، وسيأتي إن شاء اللَّه ذكر حديث عمرو بن العاص الدال على أن الميت في قبره يستأنس بوجود الحي عنده.

وإذا رأيت هذه الأدلة الصحيحة الدالة على سماع الموتى، فاعلم أن الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾، وقوله: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾ لا تخالفها. وقد أوضحنا الصحيح من أوجه تفسيرها وذكرنا دلالة القرائن القرآنية عليه، وأن استقراء القرآن يدل عليه.

وممن جزم بأن الآيات المذكورة لا تنافي الأحاديث الصحيحة التي ذكرنا أبو العباس ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فقد قال في الجزء الرابع من «مجموع الفتاوى» من صحيفة خمس وتسعين ومائتين إلى صحيفة تسع وتسعين ومائتين ما نصه: وقد تعاد الروح إلى البدن في غير وقت المسألة كما في الحديث الذي صححه ابن عبد البر عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من رجل يمر بقبر الرجل الذي كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه؛ حتى يرد عليه السلام**» وفي «سنن أبي داود» وغيره عن أوس بن أبي أوس الثقفي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن خير أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي**»، قالوا: يا رسول الله: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»، وهذا الباب فيه من الأحاديث والآثار، ما يضيق هذا الوقت عن استقصائه مما يبين أن الأبدان التي في القبور تنعم وتعذب إذا شاء الله ذلك كما يشاء وأن الأرواح باقية بعد مفارقة البدن ومنعمة أو معذبة. ولذا أمر النبي ﷺ بالسلام على الموتى، كما ثبت في «الصحيح» و«السنن»: أنه كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم**»، وقد

انكشف لكثير من الناس ذلك حتى سمعوا صوت المعذبين في قبورهم، ورأوهم بعيونهم، يعذبون في قبورهم في آثار كثيرة معروفة، ولكن لا يجب أن يكون دائمًا على البدن في كل وقت، بل يجوز أن يكون في حال.

وفي «الصحيحين» عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثًا، ثم أتاهم فقام عليهم فقال: «**يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعدكم اللَّه حقًّا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا**»، فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه كيف يسمعون، وقد جيفوا؟ قال: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**»، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر»، وقد أخرجاه في «الصحيحين»، عن ابن عمر ﷺ، أن النبي ﷺ وقف على قليب بدر، فقال: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟**»، ثم قال: «**إنهم الآن يسمعون ما أقول**». فذكر ذلك لعائشة فقالت: وهم ابن عمر إنما قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنهم ليعلمون الآن أن الذي كنت أقول لهم هو الحق**»، ثم قرأت: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ حتى قرأت الآية».

وأهل العلم بالحديث اتفقوا على صحة ما رواه أنس وابن عمر وإن كانا لم يشهدا بدرًا، فإن أنسًا روى ذلك عن أبي طلحة، وأبو طلحة شهد بدرًا.

● وقول قتادة: أحياهم اللَّه حتى أسمعهم توبيخًا، وتصغيرًا، ونقمة، وحسرة، وتنديمًا، وعائشة قالت فيما ذكرته كما تأولت.

والنص الصحيح عن النبي ﷺ مقدم على تأويل من تأول من أصحابه وغيره، وليس في القرآن ما ينفي ذلك. فإن قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾، إنما أراد به السماع المعتاد الذي ينفع صاحبه، فإن هذا مثل

ضربه اللَّه للكفار، والكفار تسمع الصوت، لكن لا تسمع سماع قبول بفقه، واتباع كما قال تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً**﴾، فهكذا الموتى الذين ضرب بهم المثل لا يجب أن ينفي عنهم جميع أنواع السماع، بل السماع المعتاد كما لم ينف ذلك عن الكفار، بل انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به. وأما سماع آخر فلا ينفي عنهم، وقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن الميت يسمع خفق نعالهم، وإذا ولوا مدبرين، فهذا موافق لهذا فكيف يرفع ذلك؟. انتهى محل الغرض من كلام أبي العباس ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ وقد تراه صرح فيه بأن تأويل عائشة لا يرد به النص الصحيح عنه ﷺ، وأنه ليس في القرآن ما ينفي السماع الثابت للموتى في الأحاديث الصحيحة.

وإذا علمت به أن القرآن ليس فيه ما ينفي السماع المذكور، علمت أنه ثابت بالنص الصحيح، ومن غير معارض.

والحاصل: أن تأول عائشة رضي الله عنها بعض آيات القرآن، لا ترد به روايات الصحابة العدول الصحيحة الصريحة عنه ﷺ، ويتأكد ذلك بثلاثة أمور:

الأول: هو ما ذكرناه الآن من أن رواية العدل لا ترد بالتأويل.

الثاني: أن عائشة رضي الله عنها لما أنكرت رواية ابن عمر عن النبي ﷺ إنهم ليسمعون الآن ما أقول. قالت: إن الذي قاله ﷺ: «**إنهم ليعلمون الآن أن الذي كنت أقول لهم هو الحق**»، فأنكرت السماع ونفته عنهم، وأثبتت لهم العلم، ومعلوم أن من ثبت له العلم صح منه السماع كما نبه عليه بعضهم.

الثالث: هو ما جاء عنها مما يقتضي رجوعها، عن تأويلها المذكور إلى الروايات الصحيحة.

قال ابن حجر فـي «فتح الباري»: «ومن الغريـب أن في «المغازي» لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيـد، عن عائشة مثل حديث أبي طلحة وفيه: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»، وأخرجه أحمد بإسناد حسن. فإن كان محفوظًا فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، لكونها لم تشهد القصة. انتهـى منه، واحتمال رجوعها لما ذكر قوي؛ لأن ما يقتضي رجوعها ثبت بإسنادين.

قال ابن حجر: إن أحدهما جيد. والآخر حسن، ثم قال ابن حجر: قال الإسماعيلي: كان عند عائشة من الـفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم، ما لا مزيد عليه، لـكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله يدل عـلى نسخه أو تخصيصـه، أو استحالته. انتهى مـحل الغرض من كلام ابن حجر.

● ثم ذكر حديث عمرو بن العاص عنـد موته ومعلوم أن له حكم الرفع وقال: فكلام ابن القيـم هذا الطويل الذي ذكرنا بعضه جملة وبـعضه تفصيلاً فيه مـن الأدلة المقنـعة ما يكفـي في الدلالة عـلى سماع الأمـوات، وكذلك الكلام الذي نقلنا عن شيخه أبي العباس بن تيمية ـ رحمهما اللَّه تعالى ـ وفي كلامهما الذي نقلـنا عنهما أحاديث صحيحة، وآثار كثـيرة، ومرائي متواترة، وغير ذلك».

وقد انتصر ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير سورة الروم في كلامه على قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فَهُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ لسماع الموتى وأورد في ذلك كثيـرًا من الأدلة التي قدمنا في كلام ابن القيم، وابن أبي الدنيا، وغيرهما وكثيراً من المرائي الدالة على ذلك، وقد قدمنا الحـديث الدال على أن المرائـي إذا تواترت أفادت الحجة. وممـا قال في

كلامه المذكور، وقد استدلت أم المؤمنين عائشة ﵂ بهذه الآية ﴿**فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ على توهيم عبد الله بن عمر ﵄ في روايته مخاطبة النبي ﷺ القتلى الذين ألقوا في قليب بدر، بعد ثلاثة أيام، إلى أن قال: والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر ﵄، لما لها من الشواهد على صحتها، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححًا له عن ابن عباس مرفوعًا: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه**» الحديث.

وقد قدمناه في هذا البحث مرارًا وبجميع ما ذكرنا في هذا المبحث في الكلام على آية النمل هذه تعلم أن الذي يرجحه الدليل: أن الموتى يسمعون سلام الأحياء وخطابهم سواء قلنا: إن الله يرد عليهم أرواحهم؛ حتى يسمعوا الخطاب ويردوا الجواب، أو قلنا: إن الإرواح أيضًا تسمع وترد بعد فناء الأجسام؛ لأنا قد قدمنا أن هذا ينبني على مقدمتين، ثبوت سماع الموتى بالسنة الصحيحة، وأن القرآن لا يعارضها على التفسير الصحيح الذي تشهد له القرائن القرآنية، واستقراء القرآن، وإذا ثبت ذلك بالسنة الصحيحة من غير معارض من كتاب، ولا سنة ظهر بذلك رجحانه على تأول عائشة ﵂، ومن تبعها بعض آيات القرآن كما تقدم إيضاحه، وفي الأدلة التي ذكرها العلامة ابن القيم في كتاب «الروح». على ذلك مقنع للمصنف، وقد زدنا عليها ما رأيت، والعلم عند الله تعالى».

● قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤١٢ ـ ٤١٣):

«إن الله تعالى بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء... وثبت عنه ﷺ لأمته إذا سلّموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول المسلم: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**»، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة

خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا. وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر... وقد شرع السلام على الموتى، والسلام على من لم يشعر ولا يعلم بالمسلِّم محال... ثم قال: فهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد واللَّه أعلم».

● **لطيفة:**

«دخل عبّاد بن عبّاد على إبراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال عظني، قال: بم أعظك أصلحك اللَّه؟ بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر ما يُعرض على رسول اللَّه ﷺ من عملك فبكى إبراهيم حتى أخضل لحيته»[1].

● قال الشيخ عمر الأشقر في «القيامة الصغرى»:

«ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الميت يسمع قرع نعال أصحابه، بعد وضعه في قبره، فعن أنس بن مالك، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم...**»[2] ووقف الرسول ﷺ بعد ثلاثة أيام من معركة بدر على قتلى بدر من المشركين فنادى رجالاً منهم، فقال: «**يا أبا جهل بن هشام، يا أميّة بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا**»، فقال عمر بن الخطاب: «يا رسول اللَّه! كيف يسمعوا أنى يجيبوا وقد

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤١٣).

(٢) «رواه مسلم، كتاب الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٣/ ح ٢٨٧٤).

جيفوا»[1] قال: «**والذي نفسي بيده! ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**»، ثم أمر فسحبوا، فألقوا في قليب بدر»[2].

وقد ساق ابن تيمية جملة من الأحاديث التي تدل على أن الموتى يسمعون، ثم قال: «فهذه النصوص وأمثالها تُبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا، بل قد يسمع في حال دون حال، كما قد يعرض للحي، فإنه يسمع أحيانًا خطاب من يخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرض له»[3] . وقد أجاب شيخ الإسلام على إشكال من يقول: إن اللَّه نفى السماع عن الميت في قوله: ﴿**فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾، وكيف تزعمون أن الموتى يسمعون؟ فقال: «وهذا السمع سمع إدراك، ليس يترتب عليه جزاء، ولا هو السمع المنفي بقوله: ﴿**فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾، فإن المراد بذلك: سمع القبول والامتثال، فإن اللَّه جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه، وكالبهائم التي تسمع الصوت، ولا تفقه المعنى، فالميت وإن سمع الكلام وفقه المعنى، فإنه لا يمكنه إجابة الداعي، ولا امتثال ما أمر به، ونهى عنه، فلا ينتفع بالأمر والنهي، وكذلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهي، وإن سمع الخطاب وفهم المعنى، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ**﴾، وقد جاءت النصوص دالة أيضًا على أن الميت مع سماعه يتكلم، فإن منكرًا ونكيرًا يسألونه، فالمؤمن يوفق للجواب الحق، والكافر

---

(١) أي: أنتنوا، وصاروا جيفًا.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ورواه مسلم في كتاب الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٠/ح ٢٨٧٠)، ورواه أبو داود، والنسائي أيضًا، انظر: «جامع الأصول» (١١/ ١٨٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٤).

والمنافق يضل عن الجواب، ويتكلم أيضًا في غير سؤال منكر ونكير، وكل هذا مخالف لما عهده أهل الدنيا من كلام، فإن الذي يسأل ويتكلم الروح، وهي التي تجيب وتقعد وتعذب وتنعم، وإن كان لها نوع اتصال بالجسد، وقد سبق القول أن بعض الناس قد يسمعون الكلمة من الميت، وأن الرسول ﷺ كان يسمع من هذا شيئًا كثيرًا»(١).

* بيان حديث: الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق هل هي صعقة موت؟

● قال ابن القيم في كتابه «الروح»:

«وفي الحديث الصحيح: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور**» فهذا صعق في موقف القيامة إذا جاء اللَّه لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ تصعق الخلائق كلهم قال تعالى: ﴿**فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ**﴾ [الطور: ٤٥]، ولو كان هذا الصعق موتًا لكان موتة أخرى، وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال أبو عبد اللَّه القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور قال: وقد قال شيخنا أحمد بن عمرو: ظاهر حديث النبي ﷺ يدل على أن هذه الصعقة إنما هي بعد النفخة الثانية، نفخة البعث ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق، ولما كان هذا قال بعض العلماء: يحتمل أن يكون موسى ممن لم يمت من الأنبياء وهذا باطل.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٤).

حين تنشق السماوات والأرض قال: فتستقل الأحاديث والآثار. ورد عليه أبو العباس القرطبي فقال: يرد هذا قوله في الحديث الصحيح أنه حين يخرج من قبره يلقى موسى آخذًا بقائمة العرش. قال: وهذا إنما هو عند نفخة الفزع.

قال أبو عبد اللَّه: وقال شيخنا أحمد بن عمرو: والذي يزيح هذا الإشكال إن شاء اللَّه أن الموت ليس بعدم محض، وإنما انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء في الدنيا.

وإذا كان هذا في الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى، مع أنه قد صح عن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء**». وأنه ﷺ: اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء، وخصوصًا بموسى، وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد اللَّه عليه روحه حتى يرد عليه السلام. إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم. وإذا تقرر أنهم أحياء فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السماوات والأرض إلا من شاء اللَّه، فأما صعق غير الأنبياء فموت. وأما صعق الأنبياء فالأظهر أنه غشية، فإذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيي، ومن غشي عليه أفاق، ولذلك قال صلى اللَّه عليه وآله وسلم في الحديث المتفق علي صحته: «**فأكون أول من يفيق**» فنبينا أول من يخرج من قبره قبل جميع الناس إلا موسى. فإنه حصل فيه تردد هل بعث قبله من غشيته أو بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقًا؛ لأنه

حوسب بصعقة يـوم الطور، وهذه فضيلة عظيمة لموسى ولا يـلزم من فضيلة واحدة أفضلـيته على نبـينا مطلقًا؛ لأن الـشيء الجزئي لا يوجب أمـرًا كليًا. انتهى.

قال أبو عـبد اللَّه الـقرطبي: إن حمـل الحديث علـى صعقة الخـلق يوم القيامة فلا إشكال، وإن حمل على صعقة الموت عند النفخ في الصور فيكون ذكر يوم القيامة يراد بـه أوائله، فالمعنى «**إذا نفخ في الـصور نفخة البعث كنت أول من يرفع رأسه فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبل أم جوزي بصعقة الطور**».

قـلـت: وحمل الحديث عـلى هذا لا يصح؛ لأنه صلى اللَّـه عليه وآله وسلم تردد هـل أفاق موسى قبله أم لم يـصعق، بل جوزي بصعـقة الطور، فالمعنى: لا أدري أصعق أم لم يصعق. وقد قال في الحديث: «**فأكون أول من يفيق**».

وهذا يدل على أنه صلى اللَّه عليه وآلـه وسلم يصعق فيمن يصعق، وأن التردد حصل في موسى: هل صعق وأفاق قبله من صعقته أم لم يصعق؟ ولو كان المراد به الصعـقة الأولى وهي: صعقة الموت، لكان صلى الـلَّه عليه وآله وسلم قد جزم بموته. وتردد هل مـات موسى أم لا يمت، وهذا باطل لوجوه كثيرة.

فعلم أنها صعـقة فزع لا صعقة موت، وحينئذ فلا تـدل على الآية على أن الأرواح كلها تموت عـند النفخة الأولى، نعم تدل عـلى أن موت الخلائق عند النفخة الأولى، وكل من لم يذق الموت قبلها فإنه يذوقه حينئذ، وأما من ذاق الموت أو من لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على أنه يموت مرة ثانية، واللَّه أعلم.

فإن قيل: فكيف تصنعون بقوله في الحديث: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش**»؟

قيل: لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا، ومنه نشأ الإشكال، ولكنه دخل فيه على الراوي حديث في حديث فركب بين اللفظين فجاء هذا والحديثان هكذا.

أحدهما: أن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق.

والثاني هكذا: أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.

ففي الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، فدخل على الراوي هذا الحديث في الحديث الآخر، وكان شيخنا أبو الحجاج الحافظ يقول ذلك.

فإن قيل: فما تصنعون بقوله: فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى اللَّه عز وجل، والذين استثناهم اللَّه إنما هم مستثنون من صعقة النفخة لا من صعقة يوم القيامة، كما قال اللَّه تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ**﴾ [الزمر: ٦٨]. ولم يقع الاستثناء من صعقة الخلائق يوم القيامة.

قيل: هذا واللَّه أعلم غير محفوظ، وهو وهم من بعض الرواة، والمحفوظ ما تواطأت الروايات الصحيحة من قوله: «**فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**»، فظن بعض الرواة أن هذه الصعقة هي صعقة النفخة،

وأن موسى داخل فيمن استثني منها، وهذا لا يلتئم على مساق الحديث قطعًا فإن الإفاقة حينئذ هي إفاقة البعث، فكيف يقول: لا أدري أبعث قبلي أم جوزي بصعقة الطور. فتأمله. وهذا بخلاف الصعقة التي يصعقها الخلائق يوم القيامة إذا جاء اللَّه سبحانه لفصل القضاء بين العباد وتجلى لهم، فإنهم يصعقون جميعًا. وأما موسى ﷺ فإن كان لم يصعق معهم فيكون قد حوسب بصعقته يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكًا، فجعلت صعقة هذا التجلي عوضًا من صعقة الخلائق لتجلي الرب يوم القيامة، فأمل هذا المعنى العظيم ولو لم يكن في الجواب إلا كشف هذا الحديث وشأنه لكان حقيقًا أن يعض عليه بالنواجذ، وللَّه الحمد والمنة وبه التوفيق»(١) .

* نفيسة يعض عليها بالنواجذ:

الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، وكذا يصلي الصالحون.

● عن ثابت البناني عن أنس مرفوعًا: «**الأنبياء ـ صلوات اللَّه عليهم أحياء في قبورهم يصلون**»(٢) .

قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ١٩٠ ـ ١٩١):

«قد كنت برهة من الدهر أرى أن هذا الحديث ضعيف لظني أنه مما تفرّد به ابن قتيبة ـ كما قال البيهقي ـ ولم أكن قد وقفت عليه في «مسند أبي

(١) «الروح» لابن القيم ص(٤٨ ـ ٥٠).

(٢) قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ١٨٧/ ح ٦٢١)، أخرجه البزار في «مسنده» (٢٥٦)، وتمام الرازي في «الفوائد» وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وابن عدي في «الكامل»، والبيهقي في «حياة الأنبياء».

يعلى» و«أخبار أصبهان»: فلما وقفت على إسناده فيهما تبين لي أنه إسناد قوي، وأن التفرد المذكور غير صحيح، ولذلك بادرت إلى إخراجه في هذا الكتاب تبرئة للذمة، وأداء للأمانة العلمية، ولو أن ذلك قد يفتح الطريق لجاهل أو حاقد إلى الطعن والغمز واللمز، فلست أُبالي بذلك ما دمت أني أقوم بواجب ديني أرجو ثوابه من اللَّه تعالى وحده.

فإذا رأيت أيها القاريء الكريم في شيء من تآليفي خلاف هذا التحقيق فاضرب عليه، واعتمد هذا وعض عليه بالنواجذ، فإني لا أظن أنه يتيسر لك الوقوف على مثله واللَّه وليّ التوفيق».

● وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«مررت على موسى، وهو قائم يصلي في قبره»**[1] وفي رواية: **«أتيت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره»**[1].

● وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لقد رأيتني في الحجر وأنا أُخبر قريشًا عن مسراي فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أُثبتها فكَرُبت كربًا ما كربت مثله قط، فرفعه اللَّه عز وجل لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضَرْب جعْد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم** - يعني: نفسه - **فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٣٧٥/ ١٦٤) «الفضائل، والنسائي في «المجتبى»، وفي «سننه الكبرى» (١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ١٤٨، ٢٤٨)، و(٣/ ١٢٠)، وأبو يعلى، وابن حبان في «صحيحه»، والبغوي في «شرح السنة»، وأبو نعيم في «الحلية».

قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه، فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلام»(١).

● قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وأما كونه رأى موسى قائمًا يصلي في قبره، ورآه في السماء أيضًا فهذا لا منافاة بينهما فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة في اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك، ليست في ذلك كالبدن.

وهذه الصلاة ونحوهما مما يتمتع بها الميت، ويتنعم بها كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح، فإنهم يلهمون التسبيح كما يلهم الناس في الدنيا النفس، فهذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به.

وقول النبي ﷺ : «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**»، يريد به العمل الذي يكون له ثواب، ويتنعمون بذكره وتسبيحه، ويتنعمون بقراءة القرآن، ويقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها.

ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته، وإن كانت هذه الأمور في الدنيا أعمالاً يترتب عليها الثواب فهي في الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه، وهذه كلها أعمال أيضًا، والأكل والشرب والنكاح

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٧٢/٢٧٨) «الإيمان»، والنسائي في «تفسيره» رقم (٣٠٤، ٥٠٠)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢١٥)، وابن منده في «الإيمان» رقم (٧٤٠)، وأبو عوانة (١/ ١٣١)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٩٧).

في الدنيا مما يؤمر به ويثاب عليه مع النية الصالحة، وهو في الآخرة نفس الثواب الذي يتنعّم به والله أعلم»(١) .

* قول ابن التين: «الموتى لا يصلون» خطأ وليس بصحيح:

● قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في «أحكام الجنائز» ص(٢٧٢ ـ ٢٧٣):

«قول ابن التين: «الموتى لا يصلون» ليس بصحيح؛ لأنه لم يرد نص في الشرع بنفي ذلك، وهو من الأمور الغيبيّة التي لا ينبغي البت فيها إلا بنص وذلك مفقود، بل قد جاء ما يُبطل إطلاق القول به، وهو صلاة موسى عليه الصلاة والسلام في قبره كما رآه رسول الله ﷺ ليلة أسري به على ما رواه مسلم في «صحيحه»، وكذلك صلاة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقتدين به في تلك الليلة كما ثبت في «الصحيح»، بل ثبت عنه أنه قال: **«الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»**.

بل قد جاء عنه ﷺ ما هو أعمّ مما ذكرنا، وذلك في حديث أبي هريرة في سؤال الملكين للمؤمن في القبر:

ـ عن النبي ﷺ قال: **«إن الميت يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه وكان الصوم عن يمينه وكانت الزكاة عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول: الصلاة ما قِبلي مدخل، ويؤتى عن يمينه فيقول الصوم: ما قِبلي مدخل، ويُؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ويؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات: ما قِبلي مدخل، فيُقال له: اقعد فيقعد**

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» ص(٣٢٩، ٣٣٠).

فتمثل له الشمس وقد دنت للغروب، فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به؟ فيقول: دعوني أصلي، فيقولون: إنك ستفعل ولكن أخبرنا عما نسألك عنه، قال: وعم تسألوني عنه؟ فيقولون: أخبرنا ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم؟ وما تشهد عليه؟ فيقول: محمداً أشهد أنه عبد اللَّه وأنه جاء بالحق من عند اللَّه، فيُقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء اللَّه». أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧٨١)، والحاكم (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي! وإنما هو حسن فقط؛ لأن فيه محمد بن عمرو ولم يحتج به مسلم وإنما روى له مقرونًا أو متابعة فهذا الحديث صريح في أن المؤمن أيضًا يصلي في قبره فبطل بذلك القول بأن الموتى لا يُصلّون».

● **وعن يوسف بن عطية قال: سمعت ثابتًا يقول لحميد الطويل: هل بلغك أن أحدًا يصلي في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا. قال: ثابت: اللَّهم إنْ أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لثابت أن يصلي في قبره»**[1] .

● **وأخرج ابن سعد في «الطبقات»، وابن أبي شيبة في «المسند» عن ثابت البناني قال: «اللَّهم إن كنت أعطيت أحدًا الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري»**[2] .

● **وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن سعيد بن جبير قال:**

«أنا ـ واللَّه الذي لا إله إلا هو ـ أَدخلْت ثابتًا البَنَاني لحده، ومعي حميد الطويل، فلما سوّينا عليه اللبن، سقطت لبنة، فإذا أنا به يصلي في قبره،

---

(١) **سنده صحيح**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣١٩). انظر: «التحرير المرسّخ في أحوال البرزخ» لمحمد بن طولون الصالحي ص(٢٤٢).

(٢) **سنده حسن**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣١٩).

وكان يقول في دعائه: «اللَّهم إن كنتَ أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة في قبره فأعطينيها فما كان اللَّه تعالى ليردَّ دعاءه»[١].

* ويتزاور الموتى في قبورهم.

● عن أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا ولي أحدكم أخاه، فليحسن كفنه، فإنهم يتزاورون في قبورهم»[٢].

● وعن جابر ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«حسنوا أكفان موتاكم، فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم»[٣].

● قال السيوطي في «شرح الصدور» ص(١٨٩):

«قال الحافظ زين الدين ابن رجب في كتاب «أهل القبور»: قد يكرم اللَّه بعض أهل البرزخ بأعمال صالحة في البرزخ وإن لم يحصل له بذلك ثواب لانقطاع عمله بالموت، لكنه إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر اللَّه وطاعته، كما تنعم بذلك الملائكة، وأهل الجنة في الجنة، وإن لم يكن على ذلك ثواب؛ لأن نفس الذكر والطاعة أعظم نعيمًا عند أهلها من جميع نعيم أهل

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣١٩)، وابن رجب في «أهوال القبور»، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٢٢)، والسيوطي في «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» ص(٧٢).

(٢) أخرج الشطر الأول مسلم، وأحمد، وأبو داود، والبغوي في «شرح السنة»، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»، والحاكم في «المستدرك»، والنسائي في «المجتبى».

وأخرجه من حديث أبي قتادة: الترمذي في «أبواب الجنائز»: باب منه رقم (٩٩٥)، وابن ماجه في كتاب الجنائز: باب ما جاء فيما يستحب من الكفن، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والحديث صحيح. انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (١٤٢٥).

(٣) قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص(٢٦٩):

«قيل: لا يصح». وقال في «اللآلئ» (٢/ ٢٣٤): بل هو حسن صحيح، له طرق وشواهد كثيرة.

الدنيا ولذتها، فما تنعم المتنعمون بمثل ذكر اللَّه وطاعته».

● **تنبيه**: قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ في «الصحيحة» (٢/ ١٩٠):

«اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث[1] للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إنما هي حياة برزخية، ليست من حياة الدنيا في شيء، ولذلك وجب الإيمان بها، دون ضرب الأمثال لها ومحاولة تكييفها وتشبيهها بما هو المعروف عندنا في حياة الدنيا. هذا هو الموقف الذي يجب أن يتخذه المؤمن في هذا الصدد: الإيمان بما جاء في الحديث دون الزيادة عليه بالأقيسة والآراء كما يفعل أهل البدع الذين وصل الأمر ببعضهم إلى ادعاء أن حياته ﷺ في قبره حياة حقيقية! قال: «يأكل ويشرب ويجامع نساءه[2]. وإنما هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا اللَّه سبحانه وتعالى.

● وقال الشيخ سليمان بن سحمان في «الصواعق المرسلة الشهابية» ص(٨٢):

«ومن المعلوم أنه لم يكن ﷺ حيًّا في قبره كالحياة الدنيوية المعهودة التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه ويحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس والنكاح وغير ذلك، بل حياته ﷺ حياة برزخية، وروحه في الرفيق الأعلى».

* للَّه در السلف فعقيدتهم وسطية:

اعلم يا أخي أن الناس متفاوتون في هذه الأرواح فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانيًّا، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيًّا بهيميًّا.

---

(١) حديث «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

(٢) راجع: «مراقي الفلاح».

وإذا جاء نهر اللَّه بطل نهر معقل وعقيدة السلف وسط بين غال وجاف.

بين فريق يدعي أن أهل القبور يتناكحون ويأكلون ويشربون ويدعون أن الأنبياء لا يموتون وأن حياتهم في البرزخ مثل حياتهم الدنيوية سواء بسواء وبين الجهمية وأفراخهم الذين يقولون: «إن الروح عرض من أعراض البدن كالحياة، وصفات الحي مشروطة بها، فإذا زالت بالموت تبعتها صفاتها فزالت بزوالها، ونجا متأخروهم من هذا الإلزام، وفرّوا إلى القول بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم، فجعلوا لهم معادًا يختص بهم قبل المعاد الأكبر، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت» ا.هـ. من «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم.

قال أبو محمد بن حزم في «الفصل» (١/ ١٦١، ١٦٢): «فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب ليس هو الآن رسول اللَّه ﷺ، ولكنه كان رسول اللَّه ﷺ ... وهذه مقالة خبيثة مخالفة للَّه تعالى ولرسوله ﷺ ولما أجمع عليه أهل الإسلام مذ كان الإسلام إلى يوم القيامة، وإنما حملهم على هذا القول الفاسد: أن الروح عرض، والعرض يفنى أبدًا، ويحدث ولا يبقى وقتين، فروح النبي ﷺ عندهم قد فنيت وبطلت، ولا روح له الآن عند اللَّه تعالى، وأما جسده ففي قبره موات فبطلت نبوته عندهم بذلك ورسالته.

* * *

مع درر ابن القيم من
«النونية الكافية الشافية»

إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ ... لا بِالقِيَاسِ القَائِمِ الأَرْكَانِ
هَذَا مَعَ النَّهْيِ المؤَكَّدِ أَنَّنَا ... نَدْعُوهُ مَيْتًا ذَاكَ فِي القُرْآنِ
وَنِسَاؤُهُ حِلٌّ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ ... وَالمَالُ مَقْسُومٌ عَلَى السُّهْمَانِ
هَذَا وَأَنَّ الأَرْضَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ ... وَسِبَاعُهَا مَعْ أُمَّةِ الدِّيدَانِ
لَكِنَّهُ مَعَ ذَاكَ حَيٌّ فَارِحٌ ... مُسْتَبْشِرٌ بِكَرَامَةِ الرَّحْمَنِ
فَالرُّسْلُ أَوْلَى بِالحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعْ ... مَوتِ الجُسُومِ وَهَذِهِ الأَبْدَانِ
وَهِيَ الطَّرِيَّةُ فِي التُّرَابِ وَأَكْلُهَا ... فَهْوَ الحَرَامُ عَلَيْهِ بِالبُرْهَانِ
وَلِبَعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا ... أَيْضًا وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأْيَ عِيَانِ
فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِمُ ... حَرْفًا بِحَرْفٍ ظَاهِرِ التِّبْيَانِ
لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ خُصَّ نِسَاؤُهُ ... بِخَصِيصَةٍ عَنْ سَائِرِ النِّسْوَانِ
خُيِّرْنَ بَيْنَ رَسُولِهِ وَسِوَاهُ فَاخْـ ... ـتَرْنَ الرَّسُولَ لِصِحَّةِ الإِيمَانِ
شَكَرَ الإِلَهُ لَهُنَّ ذَاكَ وَرَبُّنَا ... سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ذُو شُكْرَانِ
قَصْرُ الرَّسُولِ عَلَى أُولَئِكَ رَحْمَةً ... مِنْهُ بِهِنَّ وَشُكْرَ ذِي الإِحْسَانِ
وَكَذَاكَ أَيْضًا قَصْرُهُنَّ عَلَيْهِ مَعْـ ... ـلُومٌ بِلاَ شَكٍّ وَلا حُسْبَانِ
زَوْجَاتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الـ ... أُخْرَى يَقِينًا وَاضِحَ البُرْهَانِ
فَلِذَا حَرُمْنَ عَلَى سِوَاهُ بَعْدَهُ ... إِذْ ذَاكَ صَوْنٌ عَنْ فِرَاشٍ ثَانِ
لَكِنْ أَتَيْنَ بِعِدَّةٍ شَرْعِيَّةٍ ... فِيهَا الحِدَادُ وَمَلْزَمُ الأَوْطَانِ
هَذَا وَرُؤْيَتُهُ الكَلِيمَ مُصَلِّيًا ... فِي قَبْرِهِ أَثَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ

فِي القَلْبِ مِنْهُ حَسِيكَةٌ هَلْ قَالَهُ ... فَالحَقُّ مَا قَدْ قَالَه ذُو البُرْهَانِ
وَلِذَاكَ أعْرَضَ فِي الصَّحِيحِ مُحَمَّدٌ ... عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ بِلا نِسْيَانِ
وَالدَّارَقُطْنِيُّ الإِمَامُ أعَلَّهُ ... بِرِوَايَةٍ مَعْلُومَةِ التِّبْيَانِ
أنَسٌ يَقُولُ رَأى الكَلِيمَ مُصَلِّيًا ... فِي قَبْرِهِ فَاعْجَبْ لِذَا الفُرْقَانِ
فَرَوَاهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ بِالـ ... ـمَرْفُوعِ وَا شَوْقًا إِلى العِرْفَانِ
بَيْنَ السِّيَاقِ إِلَى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ ... لا تَطْرَحَنْهُ فَمَا هُمَا سِيَّانِ
لَكِنْ تُقَلِّدُ مُسْلِمًا وَسِوَاهُ مِمَّـ ... ـنْ صَحَّ هَذَا عِنْدَهُ بِبَيَانِ
فَرُوَاتُهُ الأثْبَاتُ أعْلامُ الهُدَى ... حُفَّاظُ هَذَا الدِّينِ فِي الأزْمَانِ
لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِهِ ... وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانِ
فَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ الصَّدُوقُ وَغَيْرُهُ ... خَبَرًا صَحِيحًا عِنْدَهُ ذَا شَانِ
فِيهِ صَلاةُ العَصْرِ فِي قَبْرِ الَّذِي ... قَدْ مَاتَ وَهُوَ مُحَقِّقُ الإِيمَانِ
فَتُمَثَّلُ الشَّمْسُ الَّذِي قَدْ كَانَ يَرْ ... عَاهَا لأجْلِ صَلاةِ ذِي القُرْبَانِ
عِنْدَ الغُرُوبِ يَخَافُ فَوْتَ صَلاتِهِ ... فَيَقُولُ لِلمَلَكَيْنِ هَلْ تَدَعَانِ
حَتَّى أصَلِّي العَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِهَا ... قَالا سَتَفْعَلُ ذَاكَ بَعْدَ الآنِ
هَذَا مَعَ المَوْتِ المحَقَّقِ لا الَّذِي ... حُكِيَتْ لَنَا بِثُبُوتِهِ القَوْلانِ
هَذَا وَثَابِتٌ البُنَانِيُّ قَدْ دَعَا الـ ... ـرَّحْمَنَ دَعْوَةَ صَادِقِ الإِيقَانِ
أنْ لا يَزَالُ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ ... إِنْ كَانَ أعْطِيَ ذَاكَ مِنْ إِنْسَانِ
لَكِنَّ رُؤْيَتَهُ لِمُوسَى لَيْلَةَ الـ ... ـمِعْرَاجِ فَوقَ جَمِيعِ ذِي الأكْوَانِ
يَرْوِيهِ أصْحَابُ الصِّحَاحِ جَمِيعُهُمْ ... وَالقَطْعُ مُوجَبُهُ بِلا نُكْرَانِ
وَلِذَاكَ ظُنَّ مُعَارِضًا لِصَلاتِهِ ... فِي قَبْرِهِ إِذْ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ أَسْرِي بِهِ لِيَرَاهُ ثَمَّ مُشَاهِداً بِعَيَانِ
فَرَآهُ ثَمَّ وَفِي الضَّرِيحِ وَلَيْسَ ذَا بِتَنَاقُضٍ إِذْ أَمْكَنَ الوَقْتَانِ
هَذَا وَرَدُّ نَبِيِّنَا التَّسْلِيمَ مَنْ يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الإِحْسَانِ
مَا ذَاكَ مُخْتَصًّا بِهِ أَيْضًا كَمَا قَدْ قَالَهُ المَبْعُوثُ بِالقُرْآنِ
مَنْ زَارَ قَبْرَ أَخٍ لَهُ فَأَتَى بِتَسْـ ـلِيمٍ عَلَيْهِ وَهُوَ ذُو إِيمَانِ
رَدَّ الإِلَهُ عَلَيْهِ حَقًّا رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ رَدَّ بَيَانِ
وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ لَمَّا يَصِحَّ وَظَاهِرُ النُّكْرَانِ
فَانْظُرْ إِلَى الإِسْنَادِ تَعْرِفْ حَالَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَذَا الشَّانِ
هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ هُمْ أَحْيَاءُ لَـ ـكِنْ عِنْدَنَا كَحَيَاةِ ذِي الأَبْدَانِ
وَالتُّرْبُ تَحْتَهُمُ وَفَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَعَنِ الشَّمَائِلِ ثُمَّ عَنْ أَيْمَانِ
مِثْلَ الَّذِي قَدْ قُلْتُمُوهُ مَعَاذُنَا بِاللَّهِ مِنْ إِفْكٍ وَمِنْ بُهْتَانِ
بَلْ عِنْدَ رَبِّهِمُ تَعَالَى مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي الشُّهَدَاءِ فِي القُرْآنِ
لَكِنْ حَيَاتُهُمْ أَجَلُّ وَحَالُهُمْ أَعْلَى وَأَكْمَلُ عِنْدَ ذِي الإِحْسَانِ
هَذَا وَأَمَّا عَرْضُ أَعْمَالِ العِبَا دِ عَلَيْهِ فَهُوَ الحَقُّ ذُو إِمْكَانِ
وَأَتَى بِهِ أَثَرٌ فَإِنْ صَحَّ الحَدِيـ ـثُ بِهِ فَحَقٌّ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِهِ أَيْضًا بِآثَارٍ رُوِيْنَ حِسَانِ
فَعَلَى أَبِي الإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعْيُهُ وَعَلَى أَقَارِبِهِ مَعَ الإِخْوَانِ
إِنْ كَانَ سَعْيًا صَالِحًا فَرِحُوا بِهِ وَاسْتَبْشَرُوا يَا لَذَّةَ الفَرْحَانِ
أَوْ كَانَ سَعْيًا سَيِّئًا حَزِنُوا وَقَا لُوا رَبِّ رَاجِعْهُ إِلَى الإِحْسَانِ
وَلِذَا اسْتَعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى هَذَا الحَدِيثَ عَقِيبَهُ بِلِسَانِ
يَا رَبِّ إِنِّي عَائِذٌ مِنْ خِزْيَةٍ أَخْزَى بِهَا عِنْدَ القَرِيبِ الدَّانِي

ذَاكَ الشَّهِيدُ المُرْتَضَى ابْنُ رَوَاحَةَ الـ ـمَحْبُوُّ بِالغُفْرَانِ وَالرِّضْوَانِ
لَكِنَّ هَذَا ذُو اخْتِصَاصٍ وَالَّذِي لِلْمُصْطَفَى مَا يَعْمَلُ الثَّقَلانِ
هَذِي نِهَايَاتٌ لأقْدَامِ الوَرَى فِي ذَا المَقَامِ الضَّنْكِ صَعْبِ الشَّانِ
وَالحَقُّ فِيهِ لَيْسَ تَحْمِلُهُ عُقُو لُ بَنِي الزَّمَانِ لِغِلْظَةِ الأذْهَانِ
وَلِجَهْلِهِمْ بِالرُّوحِ مَعْ أحْكَامِهَا وَصِفَاتِهَا لِلإلْفِ بِالأبْدَانِ
فَارْضَ الَّذِي رَضِيَ الإلَهُ لَهُمْ بِهِ أتُرِيدُ تَنْقُضُ حِكْمَةَ الدَّيَّانِ
هَلْ فِي عُقُولِهِمُ بِأنَّ الرُّوحَ فِي أعْلَى الرَّفِيقِ مُقِيمَةٌ بِجِنَانِ
وَتَرُدُّ أوْقَاتَ السَّلامِ عَلَيْهِ مِنْ أتْبَاعِهِ فِي سَائِرِ الأزْمَانِ
وَكَذَاكَ إنْ زُرْتَ القُبُورَ مُسَلِّمًا رُدَّتْ لَهُمْ أرْوَاحُهُمْ لِلآنِ
فَهُمُ يَرُدُّونَ السَّلامَ عَلَيْكَ لَـ ـكِنْ لَسْتَ تَسْمَعُهُ بِذِي الأذُنَانِ
هَذَا وَأجْوَافُ الطُّيُورِ الخُضْرِ مَسْـ ـكَنُهَا لَدَى الجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ
مَنْ لَيْسَ يَحْمِلُ عَقْلُهُ هَذَا فَلا تَظْلِمْهُ شَأنُ الرُّوحِ أعْجَبُ شَانِ
لِلرُّوحِ شَأنٌ غَيْرُ ذِي الأجْسَامِ لا تُهْمِلْهُ شَأنُ الرُّوحِ أعْجَبُ شَانِ
وَهُوَ الَّذِي حَارَ الوَرَى فِيهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ غَيْرُ الفَرْدِ فِي الأزْمَانِ
هَذَا وَأمْرٌ فَوقَ ذَا لَوْ قُلْتُهُ بَادَرْتَ بِالإنْكَارِ وَالعُدْوَانِ
فَلِذَاكَ أمْسَكْتُ العِنَانَ وَلَوْ أرَى ذَاكَ الرَّفِيقَ جَرَيْتُ فِي المَيْدَانِ
هَذَا وَقَوْلِي أنَّهَا مَخْلُوقَةٌ وَحُدُوثُهَا المَعْلُومُ بِالبُرْهَانِ
هَذَا وَقَوْلِي أنَّهَا لَيْسَتْ كَمَا قَدْ قَالَ أهْلُ الإفْكِ وَالبُهْتَانِ
لا دَاخِلٌ فِينَا وَلا هِيَ خَارِجٌ عَنَّا كَمَا قَالُوهُ فِي الدَّيَّانِ
وَاللَّهِ لا الرَّحْمَنِ أثْبَتُّمْ وَلا أرْوَاحَكُمْ يَا مُدَّعِي العِرْفَانِ
عَطَّلْتُمُ الأبْدَانَ مِنْ أرْوَاحِهَا وَالعَرْشَ عَطَّلْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

حَرّم اللَّه على الأرض أكْل أجساد الأنبياء

● عن أوس بن أوس الثقفي قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خُلِق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ**»، قالوا: وكيف تُعرَض صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ - يقولون بَليت - فقال: «**إن اللَّه قد حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام**»(١).

وذهب الشيخ عمر الأشقر في «الرسل والرسالات» أن هذا خاص بالأنبياء عليهم السلام.

«حرم اللَّه على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في «السنن». وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره ويحتمل أن يبلى مع طول المدة، واللَّه أعلم. وكأنه - واللَّه أعلم - كلما كانت الشهادة أكمل والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول»ا.هـ. من «شرح الطحاوية».

أخرج البخاري عن جابر أنه قال: «لما حضر أحد دعاني أبي من الليل قال: ما أراني إلا مقتولاً في من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك، غير نفس رسول اللَّه ﷺ، وإن عليَّ دينًا

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود رقم (١٠٤٧، ١٥٣١)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ٩١ - ٩٢)، وفي «سننه الكبرى» رقم (١٦٦٦)، وابن ماجه رقم (١٠٨٥، ١٦٣٦)، وأحمد (٤/ ٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ١٤٩، ٥١٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٣٣)، وابن حبان في «صحيحه»، والطبراني في «الكبير» (١/ ٢١٦ - ٢١٧) رقم (٥٨٩)، وصححه الحاكم في «مستدركه» (١/ ٢٧٨)، ووافقه الذهبي، والبيهقي في «سننه»، وصححه النووي في «الأذكار» (١٧٢).

فاقض، واستوص بأخواتك خيرًا، فأصبحنا، فكان أول قتيل، ودفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته غير هنية في أذنه. وأخرجه في كتاب الجنائز: باب هل يُخرج الميت من القبر واللحد لعلة (٣/ ٢١٤/ح ١٣٥١)، وفي خبر آخر أنه أخرجه بعد ٤٦ سنة وهو يتَثَنَّى كأنما دفن بالأمس، وانظر: «فتح الباري» (٣/ ٢١٦).

* أعمار هذه الأمة:

عن أبي هريرة ﵁ مرفوعًا: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلّهم من يجوز ذلك**»[1].

* تمثل الأعمال للميت في قبره:

مرّ عن قريب حديث أبي هريرة الذي رواه ابن حبان والحاكم عن أسماء ﵄ عن النبي ﷺ قال:

«**إذا أُدخل الإنسان في قبره، فإذا كان مؤمنًا، أحفّ به عمله: الصلاة والصوم، فيأتيه الملك من نحو الصلاة، فترده، ومن نحو الصوم، فيردّه، فيناديه: اجلس، فيجلس، فيقول: ما تقول في هذا الرجل؟ قال: مَنْ؟ قال: محمد. فيقول: أشهد أنه رسول اللَّه ﷺ.**

فيقول: ما يُدريك؟ أدركته؟ قال: أشهد أنه رسول اللَّه. قال: يقول: على ذلك

---

(١) رواه الترمذي (٢/ ٢٧٢)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم (٢/ ٤٢٧)، والخطيب (٦/ ٣٩٧) و(١٢/ ٤٢)، وابن منده في «التوحيد» وقال: هذا إسناد حسن.

وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي. قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٣٩٧/ ح ٧٥٧)، والصواب أنه حسن لذاته، صحيح لغيره.

عِشتَ، وعليه مت، وعليه تُبعث».

وفي حديث البراء: «يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من اللَّه، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت فبشرك اللَّه بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح... ـ وعن العاصي ـ ويمثل له رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: وأنت فبشّرك اللَّه بالشر، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر! فيقول: أنا عملك الخبيث»(١) . نؤمن بهذا ولا نؤوله ولا نحرفه.

* رفع إدريس بروحه وجسده إلى السماء لا يصح فيه حديث بل هو من الإسرائيليات:

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال ابن كثير: «هو كما ثبت في «الصحيحين» من حديث الإسراء أن رسول اللَّه ﷺ مرّ به وهو في السماء الرابعة. وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ رفع إلى السماء السادسة فمات بها. وهكذا قال الضحاك، والحديث المتفق عليه من أنه في السماء الرابعة أصح وهو قول مجاهد وغير واحد.

وذكر ابن كثير رواية كعب.. وكون ملك الموت قبض روحه في السماء الرابعة.. وقال: وهذا من الإسرائيليات وفي بعضه نكارة.

● قول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٥١): ورجال أحمد رجال الصحيح، والحديث حسّنه العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/ ٢١٥).

إدريس رُفع ولم يمت كما رُفع عيسى إن أراد أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر، وإن أراد أنه رفع حيًّا إلى السماء ثم قبض هناك فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأحبار.

قال البخاري: «ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس»[1] .

● **لطائف:**

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٢٨، ٣٢٩):

«أما رؤيته ـ أي آدم ـ ورؤية غيره من الأنبياء ليلة المعراج إلى السماء.. فهذا رأى أرواحهم مصورة في أجسادهم مصورة في أبدانهم. وقد قال بعض الناس: لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور، وليس هذا بشيء».

٢ ـ قال السيوطي:

«أسئلة تتعلق بهذا الباب سُئلها شيخ الإسلام وحافظ العصر أبو الفضل ابن حجر:

سُئل عن الميت إذا سُئل هل يقعد أم يُسئل وهو راقد؟ فأجاب: يقعد.

● وسئل عن الروح هل تلبس حينئذ الجثة كما كانت؟ فأجاب: نعم لكن ظاهر الخبر أنها تحل في نصفه الأعلى.

وسُئل: هل يكشف له حتى يرى النبي ﷺ؟ فأجاب: إنه لم يرد حديث، وإنما ادعاه من لا يحتج به بغير مستند سوى قوله في هذا الرجل،

---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٩٢ ـ ٩٣).

ولا حجة فيه؛ لأن الإشارة إلى حاضر في الذهن.

● وسُئل عن الأطفال هل يُسألون؟ فأجاب: بأن الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفًا»[١].

قال السيوطي في «شرح الصدور» (١٤٦):

«وقع في فتاوى شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البلقيني أن الميت يجيب السؤال في القبر بالسريانية، ولم أقف لذلك على مستند، وسُئل الحافظ ابن حجر عن ذلك، فقال: ظاهر الحديث أنه بالعربي. قال: ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كل أحد بلسانه».

٣ ـ قال ابن كثير:

«ما ذكره وهب ابن منبه وغيره أن إلياس عليه السلام لما دعا ربه عز وجل أن يقبضه إليه لما كذبوه وآذوه فجاءته دابة لونها لون النار فركبها وجعل اللَّه له ريشًا وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكيًّا بشريًّا سماويًّا أرضيًّا ففي هذا نظر وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بعيدة واللَّه أعلم»[٢].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس: ٥٢].

قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٦/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠):

«التحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدل دلالة لا لبس فيها، على أنهم ينامون نومة قبل البعث كما قاله غير واحد، وعند بعثهم

(١) «شرح الصدور» للسيوطي ص(١٤٥).
(٢) «البداية والنهاية» (١/ ٣١٥).

أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون».

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٣٧): ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ هذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد.

قال أبي بن كعب رضي الله عنه ومجاهد والحسن وقتادة: ينامون نومة قبل البعث، قال قتادة: وذلك بين النفختين فلذلك يقولون: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون، قاله غير واحد عن السلف».

٥ ـ ذهب أبو الفرج ابن الجوزي وابن عقيل من الحنابلة إلى أن السؤال والنعيم والعذاب للروح خاصة.

* عليون وسجين:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨ ـ ٢١].

● قال الطبري ـ رحمه الله ـ: «الصواب أن يقال: إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حد قد علم الله عز وجل منتهاه، ولا علم عندنا بغايته غير أن ذلك لا يقصر عن السماء السابعة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك».

وقال ابن كثير: «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾: يعني: الجنة، وفي رواية العوفي عنه: أعمالهم في السماء عند الله، وكذا قال الضحاك، وقال قتادة: عليون ساق العرش اليمنى، وقال غيره: عليون عند سدرة المنتهى.

والظاهر أن عليين مأخوذ من العلوّ وكلما علا الشيء وارتفع عظم

واتسع» ا.هـ. من «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٨٧).

● **أما سجين:**

فقد قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿**كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**﴾: أي: مصيرهم ومأواهم لفي سجين فقيل: من السجن وهو الضيق ا.هـ. من «تفسير ابن كثير» (٤/٤٦٨).

والحديث يدل على أن سجنهم في الأرض السفلى وهي الأرض السابعة أو تحت الأرض السابعة.

قال كعب: سجين: الأرض السابعة السفلى.

* لا نجزم لأحد أنه مات على الإيمان إلا ما جزم به النبي ﷺ:

● لا نقطع لمعين بأنه مات على الإيمان إلا من جزم له رسول الله ﷺ بذلك. فنشهد لمن جاء نص في حقه ولا نجزم لأحد بالشهادة مثلما ترجم البخاري في «الصحيح».

أما من لم يأت نص فيه «فلا نجزم بموتهم بالإيمان، وإن ظهر منهم خوارق العادات، وكمال الحالات، وجمال أنواع الطاعات، فإن مبني أمره على العيان، وهو مستور عن أفراد الإنسان»[1].

* عجب الذنب منه خلق ابن آدم وفيه يركب:

في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة قوله ﷺ: «.. **ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذَّنب**[2]، **ومنه يُركّب الخلق**

(١) «المقدمة السالمة في خوف الخاتمة» للشيخ علي سلطان القاري ص(١٨، ١٩) ـ دار عمار.
(٢) وهو العظم الذي بين الأليتين الذي في أسفل الصلب.

يوم القيامة»، وفي رواية لمسلم قال: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خُلق، وفيه يُركّب**».

* ونؤمن بإسرافيل عليه السلام الموكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور:

وهو الذي ينفخ في الصور بأمر ربه نفخات ثلاث:

أولاهن: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة البعث.

قال ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له**»، ولفظ الترمذي: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ؟**» فقالوا: يا رسول اللَّه! وما تأمرنا؟ قال: «**قولوا: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل**»[١] .

● وقال ﷺ: «**ما طرف صاحب الصور مذ وُكِّل به ناظر نحو العرش كأن عينيه كوكبان دريان مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه**» صححه الألباني.

نؤمن بإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور، والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور، ويجازى الكفور. فذاك ذنبه مغفور، وسعيه مشكور. وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور وهو يدعو بالويل والثبور.

* * *

---

(١) رواه أحمد، والترمذي عن أبي سعيد الخدري.